

الظرف والظرفاء

((أبي الطيب محمد بن اسحق بن يحي الوشاء))
أحد أئمة الأدب فى القرن الثالث

﴿ الطبعة الثانيه ﴾

سنة ١٣٢٤

على نفقة حضرة مصطفى افندي فهمى
الكتبي بجوار الأزهر بمصر

مطبعة التقدم بشارع محمد على بمصر



رب يسر وأعن باسم الله يكون الابتداء * وبعونه تتم الاشياء *
وبمشيئته تتصرف الدهور * وعلى ارادته تنقلب الامور * ومنه
التوفيق والتأييد * وبيده الاعانة والتسديد * ولا حول ولا قوة الا
بالله * وبتوفيقه ارشاده

قال أبو الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشى

(نقول) ونستعين بالله على السداد ونستهديه * ونستفتح له استفتاح
اللاجي اليه ونستكفيه * يجب على المتأدب اللبيب * والمتظرف الاديب *
المتخلق بأخلاق الادباء * والمتحلى بحلية الظرفاء * أن يعرف قبل هجوم
على مالا يعلمه * وقبل تعاطيه مالا يفهمه * تبيين الظرف وشرائع
المروءة وحدود الادب فانه لا أدب لمن لا مروءة له ولا مروءة لمن
لا ظرف له ولا ظرف لمن لا أدب له

وقد وصفنا في كتابنا هذا على قدر مابلغه علمنا * واحتوى عليه

قدرنا * وجعلناه حدوداً محدودة * ومعالم مقصورة * وشرائع بينة * وأبواباً نيرة * وشريطتنا على قارئ كتابنا الاقصار عن طلب عيوب خطائنا والصفح عما يقف عليه من اغفالنا * والتجاوز عما يتدعي اليه من اهمالنا * وان أداه التصفح الى صواب نشره * أو الى خطاء ستره * لانه قد تقدمنا بالاقرار * ولا بد للانسان من زلل وعثار * وليس كل الادب عرفناه وعلينا في ذلك الاجتهاد * والى الله الارشاد * وقلما نجا مؤلف لكتاب من راصد بمكيدة * أو باحث عن خطيئة * وقد كان يقال من ألف كتاباً فقد استشرف * واذا أصاب فقد استهدف واذا ما أخطأ فقد استقذف * وكان يقال لا يزال الرجل في فسحة من عقله مالم يقل شعراً أو يضع كتابا * وقال الشاعر في ذلك

لا تعرضن للشعر مالم يكن علمك في أبحره جسرا
فلن يزال المرء في فسحة من عقله مالم يقل شعرا

وأنشد في ذلك

الشعر عقل المرء يعرضه والقول مثل مواقع النبل
منها المقصر عن رميته ونوافذ يذهبن بالخصل

* وكان يقال اختيار الرجل وافد عقله فقال لا بل مبلغ عقله * وقيل دل على عاقل اختياره * وقيل لبعض العلماء اختيار الرجل قطعة من عقله * وقال الخليل بن أحمد لا يحسن الاختيار الا من يعلم مالا يحتاج اليه من الكلام * وقال الشعبي ذل العلم كثير والعمر قصير فخذوا من العلم أروحه ودعوا طروقه * وقال ابن عباس العلم أكثر من أن يحصي فخذوا من كل شيء أحسنه (ونحن) نستعين الله ونودع كتابنا هذا جملة من حدود الادب والمروءة والظرف ونجعل ذلك أبواباً مختصرة * وفصولا محبرة * على غير نقص منا لما في كل باب * لئلا

يطول به تأليف الكتاب * ولأن غرضنا فى الاختصار * لما عليه النفوس من ملل الاكثار * ولتنجوا من مقالة حاسد * أو اعتراض معاند * على أنه لابد للحاسد وان لم يجد سبيلا الى وهن * ولا سبباً الى طعن * أن يحتال لذلك بحسب ماركب عليه طبعه * وتضمنه صدره * حتى يخلص الى غفلة * أو يصل الى ذلة * فيتشبث بالمعنى الحقير * ويتسبب بالحرف الصغير * الى ذكر المثالب * وتغطية المناقب * ولأن من طبع أهل الحسد * وأرباب المعاندة والنكد * لتغطية محاسن من حسدوه * واظهار مساوي من عاندوه * وقد أخبر أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح وبشر بن موسي بن صالح الاسدي قالا حدثنا الاصمعي قال حدثني العلاء بن أسلم قال حدثنا رؤبة بن العجاج قال قال لى فلان قصرت وعرفت ثم قال لى يارؤبة عساك مثل أقوام ان سكت لم يسئلوني وان تكلمت لم يعوا عني قلت أرجو أن أكون كذلك قال فما أعداء المروءة قلت تخبرني قال بنو عم السوء أن رأوا خيراً ستروه وان رأوا شراً أذاعوه * أنشدنى أبو العباس محمد بن يزيد المبرد

عين الحسود عليك الدهر حارسة   تبدى المساوى والاحسان تخفيه
يلقاك بالبشر يبديه مكاشرة   والقلب مضطمن فيه الذى فيه
إن الحسود بلا جرم عداوته   فليس يقبل عذراً فى تجنيه

وأنشدني أبو جعفر فى مثل ذلك

إن يعلموا الخير يخفوه وان علموا   شراً أذيع وان لم يعلموا كذبوا

وأنشدني محمد بن ابراهيم القارىء

وترى اللبيب محسداً لم يجترم   شتم الرجال وعرضه مشتوم
حسدوا الفتى اذلم ينالوا سعيه   فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها   حسداً وبغياً أنه لدميم

قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير

ماضرني حسد اللئام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو النقصان

يا بؤس قوم ليس جرم عدوهم الا تظاهر نعمة الرحمان

* وخبرت أن المنصور قال لبعض ولد المهلب بن أبي صفرة ما أسرع الناس الى قومك فقال ياأمير المؤمنين

ان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

كم حاسد لهم قد رام سعيهم ما نال مثل مساعيهم ولا كادا

ويروى أن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه كان يتمثل بهذين البيتين

قوم سنان أبوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا

محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

وأنشدنا أحمد بن عبيد قال أنشدنا العتبي عن أبيه

إني نشأت وحسادي ذوو عدد ياذا المعارج لاتنقص لهم عددا

ما زلت أقدم أفراسي مكلمة حتى اتخذت على حسادهن يدا

وأنشدت

كل العداوة قد ترجى إماتتها الا عداوة من عاداك من حسد

وبلغ محمد بن عبد الله بن طاهر أن قوماً من الموالى يحسدونه فقال

إن يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم مابي وما بهم ومات أكثرهم غيظاً بما يجد

أنا الذي يجدوني في صدورهم لاأرتقي صدراً منها ولا أرد

* وقال أزدشير بن بابك كل خصلة رديئة فهي دون الحسد لان الحسود يسعي على من أحسن اليه ويبغى الغوائل لمن أنعم عليه * وقال الاصمعي سمعت أعرابياً ذكر بعض الحساد فقال مارأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد حزن لازم ونفس دائم وعقل هائم * وقال حاتم طيء

يا كعب ما أن ترى من بيت مكرمة   الا له من بيوت الشر حسادا

والتحرز من الحساد مالا سبيل لنا اليه * والتحفظ من ألسنتهم مالا نقدر عليه * لكن أقول كما قال الشاعر

ما يضر البحر أمسي زاخراً   ان رمى فيه غلام بحجر

(وأصدر) كتابي هذا مستعيناً بالله راغباً اليه بذكر الادب وصفته * وما يحتاج الادباء الى معرفته * وأشفعه بأشياء يستحسنها الاديب * ويرغب في دراستها الاريب * وبالله التوفيق

﴿ باب البيان عن حدود الادب ﴾

(وما يجب على الادباء من التفحص والطلب)

اعلم أن أول مايجب على العاقل المنفصل بصفته عن الجاهل أن يتبعه ويميل اليه ويستعمله ويحرص عليه * مجالسة الرجال ذوى الالباب * والنظر فى أفانين الآداب وقراءة الكتب والآثار * ورواية الاخبار والاشعار * وأن يحسن في السؤال * ويتثبت في المقال * ولا يكثر الكلام والخطاب * ان سئل عما يعلمه أجاب * وان لم يسئل صمت للاستماع * ولم يتعرض لمكروه الانقطاع * فقد روي فى الخبر المأثور أن النبي صلي الله عليه وسلم قال اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك * والصمت أحسن بالرجل من الهذر فى منطقه والكلام فيما لايعنيه والتسرع الي ما يكون على وجل منه * وقد قال بعض الشعراء

يموت الفتي من عثرة من لسانه   وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته من فيه ترمى برأسه   وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

وقال أبو العتاهية

اذا كنت عن أن تحسن الصمت عاجزاً   فأنت عن الابلاغ فى القول أعجز

يخوض أناس في المقال ليوجزوا   وللصمت عن بعض المقالات أوجز

وقال أيضاً

قد أفلح الساكت الصموت   كلام راعى الكلام قوت
ما كل نطق له جواب   جواب ماتكره السكوت

وقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت * وقال من صمت نجا * وكان اعرابي يجالس الشعبي يطيل الصمت فقال له يوما لم لاتتكلم فقال أسمع لاعلم * وأسكت فاسلم * وقال أبوهريرة ثمرة القلب اللسان * وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام ما مبدى علم القلب وجهله قال اللسان قال فأين يلزم الصمت قال عند من هو أعلم منكم * وعند الجاهل اذا جالسكم * وقال بعض الشعراء

تعاهد لسانك إن اللسان   سريع الى المرء في قتله
وهذا اللسان بريد الفؤا   د يدل الرجال على عقله

وقال آخر

أستر النفس ما استطعت بصمت   إن فى الصمت راحة للصموت
واجعل الصمت إن عييت جوابا   رب قول جوابه فى السكوت

وقال أبو العتاهية

لا خير فى حشو الكلا   م اذا اهتديت على عيونه
والصمت أجمل بالفتى   من منطق في غير حينه

* وقال لقمان لابنه يابني ان غلبت على الكلام فلا تغلب على الصمت فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول إني ندمت على الكلام مراراً ولم أندم على الصمت مرة واحدة * وقال ابراهيم بن المهدي في هذا المعنى فاحسن

إن كان يعجبك السكوت فانه   قد كان يعجب قبلك الاخيارا

ولئن ندمت على سكوتك مرة | فلقد ندمت على الكلام مرارا
إن السكوت سلامة ولربما | زرع الكلام عداوة وضرارا

فحقيق على الاديب أن يخزن لسانه عن نطقه * ولا يرسله في غير حقه * وان ينطق بعلم * وينصت بحلم * ولا يعجل فى الجواب * ولا يهجم على الخطاب * وان رأى أحداً هو أعلم منه * نصت لاستماع الفائدة عنه * وتحذر من الزلل والسقط * وتحفظ من العيوب والغلط * ولم يتكلم فيما لا يعلم * ولم يناظر فيما لا يفهم * فانه ربما أخرجه ذلك الى الانقطاع والاضطراب * وكان فيه نقصه عند ذوي الالباب * وقد قال الاعور الشني فاجاد

ألم تر مفتاح الفؤاد لسانه | اذا هو أبدى مايقول من الفم
وكائن ترى من صامت لك معجب | زيادته ونقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده | فلم يبق الا صورة اللحم والدم

ومثله قول الأخطل أيضاً

إن الكلام من الفؤاد وإنما | جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وأخبرني أبو العباس أحمد بن يحيي ثعلب قال كان بكر بن عبد الله المزني يقل الكلام فقيل له فى ذلك فقال لساني سبع إن تركته أكلني وأنشد

لسان الفتى سبع عليه شذاته | فالايرع من غربه فهوآكله
وما العي الا منطق متبرع | سواء عليه حق أمر وباطله

قال أبو الطيب قوله — شذاته — أي حده * وقال بعض الحكماء ألزم الصمت تعد حكيما كنت أم عالما * وقال الهيثم بن الاسود النخعي

من يستعن بالصمت يوما فانه | يقال له لب نهاه أصيل
وان لسان المرء مالم تكن له | حصاة على عوراته لدليل

وكان يقال الصمت صون اللسان وستر العي * أنشدني أحمد بن يحيي ثعلب

لمخطئ بن بدر

عجبت لازراء العيي بنفسه وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للعيي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما

* والعرب تقول عي صامت خير من عي ناطق * وكان ربيعة الرأي كثير الكلام فتكلم يوماً وأكثر ثم قال لاعرابي عنده أتعرف ما العي قال نعم ما أنت فيه منذ اليوم * وقال أكثم بن صيفي حتف الرجل بين لحييه * وأنشدني أحمد بن عبيد لابي محمد اليزيدي

حتف امرئ لسانه في جده أو لعبه
بين اللها مقتله وكب في مركبه
ورب ذي مزح أميتت في نفسه في سببه
ليس الفتى كل الفتى الا الفتى في أدبه
وبعض أخلاق الفتى أولى به من نسبه

* وكان يقال لسانك عبدك فاذا تكلمت صرت عبده * وقال بعض الحكماء أنا بالخيار ما لم أتكلم * فاذا تكلمت صار الكلام علي بالخيار * وقال آخر لساني في حبس بدني مالم أطلقه على نفسي * فاذا أطلقته صار بدني في حبس لساني * وقال آخر الكلمة أسيرة في وثاق الرجل * فاذا تكلم بها صار في وثاقها * وقال الشعبي أنا على ابتاع ما لم أوقع أقدر مني على رد ما أوقعت * وتكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات خرجن كلهن بمعنى * فقال كسرى أنا على قول ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت * وقال قيصر لا أندم على ما لم أقل فانما أندم على ما قلت * وقال ملك الصين اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها * وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة إن حكيت عنه ضرته * وان لم تذكر لم تنفعه * وقال امرؤ القيس

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه　　فليس على شيء سواه بخزان

* وقالت الفلاسفة اللسان خادم القلب * وقالت العلماء اللسان كاتب القلب اذا أملى عليه شيأ أتى به * وأنشدني عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر

وأيت لسان المرء راعي نفسه　　وعاذره ان ليم أو زل سائره
فمن لزمته حجة من لسانه　　فقد مات راعيه وأفحم عاذره

* ولئن كان السكوت جميلا * لقد جعل الكلام جليلا * ما لم يتعد المتكلم في كلامه * ويتجاوز في الكلام حد نظامه * وقد أنشدني أحمد ابن يحيي ثعلب

ما في الكلام على الانام أثام　　بلى فيه عندي النقض والابرام
لولا الكلام لما تبينا الهدي　　ولعطلت في ديننا الاحكام
فزن الكلام اذا أردت تكلما　　ودع الفضول ففي الفضول ملام
إن أنت لم ترشد أخاك اذا أتي　　فعليك منه هجنة وأثام
والنطق أفضل من صمات متهم　　جاء الكتاب بذاك والاسلام
هذا البيان فلا تكن متماريا　　فالصمت عي والكلام نظام

وليس بعيب على الاديب وان كان مستقلا بما لديه * استحذاؤه للمتقدم في العلم عليه * ولا في سؤاله فيما غيبت معرفته عنه * من هو أعلى درجة في العلم منه * وأنشدني أحمد بن يحيي ثعلب

تمام العمى طول السكوت وإنما　　شفاء العمى يوما سؤالك من يدري

* وروي أن اعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عبد المطلب ماذا يزيد في العلم قال التعلم قال فماذا يدل على العلم قال السؤال أنشدني أحمد بن عبيد قال أنشدني ابن الاعرابي لبشامة بن عمرو المري

اذا مايهتـدى لي هـداني ... واسأل ذا البيان اذا عميت

واجتنب المقادح حيث كانت ... واترك ماهويت لما خشيت

وكان يقال من رق وجهه عن السؤال دق علمه * ومن أحسن السؤال علم * وقال الشاعر

اذا كنت فى بلدة جاهلا ... وللعلم ملتمسـاً فاسـأل

فان السؤال شفاء العمي ... كما قيـل في الزمن الأول

* وروينا عن يونس عن الاوزاعي عن يحيي بن أبي كثير قال لايتعلم من استحيا وتكبر * وقال رجل من بني العباس للمأمون أيحسن بمثلي طلب العلم اليوم * فقال نعم والله لان تموت طالباً للعلم أزين بك من أن تموت قانعاً بالجهل * فقال الى متي يحسن بى وقد جاوزت الستين * قال ماحسنت بك الحياة * وقال الخليل ذاكر بعلمك فتـذكر ما عندك وتستفيد ماليس عندك * وقال الخليل أيضاً كنت اذا لقيت عالماً أخذت منه وأعطيته * وأخبرنى أحمد بن عبيد قال أخبرني ابن الاعرابى قال أخبرنا أزهر السمان قال قال الزهري الاخبار ذكران لايحبها الاذكرن الرجال ولا يكرهها الا مؤنثوهم * وقال الطرماح

ولا أدع السؤال اذا تعيت ... على من الامور المشكلات

وينفعني اذا استيقنت علمى ... واقوى الشك عندي البينات

فهذه جملة تحث الادباء عن الطلب * وصدر يقنع به العقلاء من حدود الادب * (ومنـه أيضاً) ترك ممازحة الاخوان * اذا كان مما يوغر صدور الخـلان * وقد اختصرت لك من ذلك جملة مقنعة * وألفاظها ممتعة * فيهالك كفاية * ولذوي الالباب نهاية * ان شاء الله تعالى

﴿ باب النهى عن ممازحة الاخلاء ﴾

(والنهي عن مفاكهة الاوداء)

اعلم أن من زي الادباء * وأهل المعرفة والعقلاء * وذوي المروءة والظرفاء * قلة الكلام في غير أرب * والتجالل عن المداعبة واللعب * وترك التبذل بالسخافة والصياح * وبالفكاهة والمزاح * لانه كثرة المزاح يذل المرء * ويضع القدر * ويزيل المروءة * ويفسد الاخوة * ويجترئ على الشريف الحر * أهل الدناءة والشر * وقد أخبرني أحمد بن عبيد قال أخبرني الاصمعي عن رجل من العرب قال خرجت في بعض ليالي الظلم * فاذا أنا بجارية كأنها صنم * فراودتها عن نفسها فقالت ياهذا اما لك زاجر من عقل متين * اذا لم يكن لك واعظ من دين

قلت والله مايرانا الا الكواكب قالت ياهذا فأين مكوكبها فقلت انما كنت أمزح فقالت

* فاياك اياك المزاح فانه يجرى عليك الطفل والدنس النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد وضاءته ويورث بعد العز صاحبه ذلا

* وقال سليمان بن داود عليهما السلام * المزاح يستخف فؤاد الحليم ويذهب بهاء ذي القدرة * وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أكثر من شئ عرف به * ومن مازح استخف به * ومن كثر ضحكه ذهبت هيبته * وكان يقال لكل شئ بذر * وبذر العداوة المزاح * وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب المروءة ويوغر الصدر * وقال بعض الشعراء

مازح أخاك اذا أردت مزاحا وتوق منه في المزاح جماحا
فلربما مزح الصديق بمزحة كانت لباب عداوة مفتاحا

* وقال عمر بن عبد العزيز امتنعوا من المزاح تسلم لكم الاعراض *
قال خلف بن صفوان المزاح سباب النوكى * وقال محمود الوراق

تلقى الفتى يلقى أخاه وخدنه ... في لحن منطقه بما لا يغفر
ويقول كنت ممازحاً وملاعباً ... هيهات نارك في الحشا تستسعر
ألهبتها وطفقت تضحك لاهيا ... عمّا به وفؤاده يتفطر
أو ما علمت ومثل جهلك غالب ... أن المزاح هو السباب الاصغر

* وقال بعض الحكماء الخصومة تمرض القلوب * وتنبت فيها النفاق
والمزاح يذهب ببهاء العز * وحدثني الباغندي قال حدثنا الحميدي عن
سفيان عن ابن المنكدر قال قالت لى أمى يا بني لا تمازح الصبيان فتهون
عليهم وقد كانت أدركت النبي صلى الله عليه وسلم * وأوصى يعلى بن منبه
بنيه فقال يابني إياكم والمزاح فانه يذهب بالبهاء * ويعقب الندامة ويزري
بالمروءة * وقال مسعر بن كدام الهلالى لابنه

ولقد منحتك يا كدام نصيحتي ... فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما ... خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحمدهما ... لمجاور جاورته ورفيق

* وكان سعيد بن العاص يقول لا تمازحن الشريف فيحقد عليك ولا
الدنىء فيجترئ عليك * وقد تواترت بالنهي عن ذلك الاخبار *
وتكاثفت فيه الاشعار * ولعمري ان ترك مانهي عنه ذوو الادب * من
المداعبة واللعب * أولى بذى النهية والارب * وقد يجب على العاقل
الاديب أن يتقى اخوانه * ويتخير أخدانه * ويفتش عن الاصحاب *
ويجالس ذوى الالباب * ويستخلص أهل الفضل * وأهل المروآت
* والعقل فانها محنة الادباء * وفراسة العلماء * وانما يعرف الرجل
باشكاله * ويقاس بامثاله * ويوسم بأخدانه * وينسب الى أقرانه * وقد

شرحت في ذلك جملة من الآثار * وما روى فيه من النتف والاخبار * فتقف عليه يبن لك ما فيه إن شاء الله تعالى

﴿ باب الامر باختيار الاخوان ﴾

(وانتخاب الاقران والاخدان)

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اختبروا الناس باخوانهم فان الرجل يخادن من يعجبه نحوه * وقال مجاهد اني لأنتقي الاخوان كما انتقي أطايب التمر * وقال بعض الشعراء

امحض مودتك الكريم فانما | يرعى ذوي الاحساب كل كريم
وإخاء أشراف الرجال مروءة | والموت خير من اخاء لئيم

وقال يحيى بن أكثم

وقارن اذا قارنت حراً فانما | يزين ويزرى بالفتى قرناؤه
اذا المرء لم يختر صديقاً لنفسه | فناد به في الناس هذا جزاؤه

* وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام قال لاتحكموا للرجل بشيء حتى تنظروا من يخادن * وقال عدي بن زيد العبادى

عن المرء لاتسئل وأبصر قرينه | فان القرين بالمقارن مقتدي
اذا ما رأيت الشر يبعث أهله | وقام جناة الشر للشر فاقعدى

وقال عتبة بن هبيرة الاسدي

إن كنت تبغى العلم أو أهله | أو شاهداً يخبر عن غائب
فاختبر الارض بأسمائها | واختبر الصاحب بالصاحب

وقال أبو العتاهية

من ذا الذي يخفى عليـ | ـك اذا نظرت الى قرينه
وعلى الفتى بطباعه | سمة تلوح على جبينه

وأنشدني أحمد بن عبيد لابي محمد اليزيدي

ومن يصاحب صاحبا ينسب الى مستصحبه
بزائنات رشده أو شائنات ريبه
ورأس أمر لامرئ خير له من ذنبه
وذوي النهي ليستبا عات الهوي من أربه

وقال آخر

ولا تصحب أخا الجهل واياك واياه
فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه
يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ما شاه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وأنشدني أبو العباس الشيباني لابي آمنة جد النبي صلى الله عليه وسلم

واذا أتيت جماعة في مجلس فاحذر مجالسهم ولما تقعد
وذر الغواة الجاهلين وجهلهم والى الذين يذكرونك فاقعد

فليؤاخ الاديب اكفاءه * وليصحب نظراءه * ومن يأمن من غدره وغب أمره * ويواثق شره * وأنى يكون ذلك ولن يجتمع الا في أهل الحياء * فمنهم كرم الوفاء * واذا اجتمع الحياء والوفاء * صح الاخاء * وقد أخبرني مخبر عن عبد الله بن طاهر أنه قال لا دواء لمن لا حياء له ولا أخاء لمن أراد أن يجمع بين هواه أحلاء حتى يحبوا ما أحب ويكرهوا ما كره وحتى لا يري من أحد ختلا ولا زللا ولا تمريطاً ثم أنشد

طلبت امرءا صحيحاً مسلماً نقياً من الآفات في كل موسم
لامنحه ودى فلم أدرك الذى طلبت ومن لي بالصحيح المسلم
صبرت ومن يصبر يجد غب صبره ألذ وأشهى من جنى النحل في الفم

ومن لايطلب نفساً ويستبق صاحباً ويغفر لاهل الود يصرم ويصرم

وقال محمود الوراق

البس أخاك على تصنعه فارب مفتضح عن النص

ما كدت أفحص عن أخي ثقة ألا ذممت عواقب الفحص

وليصحب نظراءه ومن يأمن غدره * وغب أمره وبوائق شره *
وأنشدني محمد بن يزيد المبرد للمطيع بن اياس

ولئن كنت لا تصحب الا صاحباً لاتزل ماعاش لمله

لاتجده ولو حرصت وأنى لك ماالخل ليس يوجد مثله

* وقال يونس بن عبيد أعياني شيآن أخ في الله ودرهم حلال *
* وقيل لبعض الحكماء من أبعد الناس سفراً فقال من كان في طلب صديق يرضاه * وقال رجل للفضيل بن عياض أبغ رجلا أحدثه سري وآمنه على أمري فقال تلك ضالة لا توجد * وأنشدني المهلبي لنفسه

ألبس أخاك على ما كان من خلق واحفظ مودته بالغيب ماوصلا

فأطول الناس غماً من يريد أخاً ذا خلة لايري في وده خللا

وأنشدني أيضاً

أقسمت بالله لا ينفك مغتفراً ذنب الصديق وان عق وان صرما

والعمر يقصر عن هجر وعن صلة وعن تجني وعتب يورث السقما

فترك مصارمة الخلان * والتجاوز عن هفوات الاخوان * والاستكثار من الاخلاء * ورفض معاندة الاعداء * أولا بأهل الادب * وذوي المروءة والارب * وأهل الفضل والحسب * وقد حكي الاصمعي قال سمعت اعرابياً يقول لاخ له أي أخي ان الصديق يحول بالجفاء واني أراك رطب اللسان من عيوب أصدقائك فلا تزدهم في أعدائك * وقال عبد الله بن الحسن بن علي لابنه رضي الله عنه إياك وعداوة الرجال

فانها لن تعدمك مكر حليم * أو مفاجأة لئيم * وروى أن سليمان بن داود قال لابنه يابني لا تستكثر أن يكون لك ألف صديق * ولا تستقل أن يكون لك عدو واحد * وروى أن على بن أبي طالب عليه السلام قال

وأ كثر من الاخوان ما استطعت انهم عماد اذا استنجدتهم وظهور
وليس كثير الف خل وصاحب وان عدواً واحداً لكثير

وليس شيءٌ أسر الى ذي اللب * ولا أحسن موقعاً في القلب * من محادثة العقلاء * ومجالسة الأدباء * فان ذلك مما تفتق به الأذهان * ويتفسح به الجنان * ويزيد في اللب * ويحيا به القلب * كما قال بعض الشعراء *

وما بقيت من اللذات الا محادثة الرجال ذوي العقول
وقد كنا نعدهم قليلا فقد صاروا أقل من القليل

* وقيل للحرقة ابنة النعمان ما كانت لذة أبيك * فقالت إدمان الشراب ومجالسة الرجال * وقال عمرو بن مرة الجهني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومحوت الا من لقاء محدث حسن الحديث يزيدني تعليما

* وقال معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص مابقي مما تستلذه * فقال مجالسة الرجال * وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عدة من الصحابة رضي الله عنهم من الاحاديث في الحث على صحبة الاخوان * والرغبة في الخلان * ما إن ذكرناه طال به الكتاب * وكثر فيه الخطاب * وسنذكر بعض ذلك ونختصره * ونأخذ من أحسنه ما يكون فيه بلاغ إن شاء الله تعالى

﴿ باب الحث على صحبة الاخوان ﴾

﴿ والاغراء على مودة الخلان * والرغبة في أهل الصلاح والايمان ﴾

روى عن أبى هريرة أن النبي صلي الله عليه وسلم قال المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل * وروى عن أبي عمرو السوفي قال كان يقال أصحب من ان صحبته زانك * وان خدمته صانك * وان أصابتك خصاصة مانك * وان رأي منك حسنة عدها * وان رأى منك سقطة سترها ومن ان قلت صدق قولك * وان أصبت سدد صوابك * ومن لا يأتيك بالبوائق * ولا تختلف عليك منه الطرائق * وقال الفضل بن غسان البصري كان يقال أصحب من ينسى معروفه عندك * وروي عن معاوية ابن قرة قال نظرت في المودة والاخاء * فلم أجد أثبت مودة من ذى أصل * وأنشدونا لعمر بن عبد العزيز ولا يعرف له غير هذه الأبيات

انى لأمنح من يواصلنى ... منى صفاء ليس بالمذق
واذا أخ لى حال عن خلق ... داويت منه ذلك بالرفق
والمرء يصنع نفسه ومتى ... ماتبله ينزع الى العرق

ومثله قول زهير بن أبي سلمى

وما يك من خير أتوه فانما ... توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطي الا وشيجه ... وتغرس الا في منابتها النخل

ومنه قول الآخر

والابن ينشو على ما كان والده ... إن العروق عليها تنبت الشجر

وقال المتوكل الكنانى

عندي لصالح قومى مابقيت لهم ... حمد وذم لاهل الذم ممدود
أجرى على سنة من والدى سبقت ... وفى أرومته ما ينبت العود

* وأوصى بعض الحكماء أخا له فقال أي أخي آخ الكريم الاخوة * الكامل المروءة * الذي ان غبت خلفك * وان حضرت كنفك وان لقي صديقك استزاده * وان لقي عدوك كفه * وان رأيته ابتهجت * وان نأتيه استرحت * وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رزقك الله مودة امرئ مسلم فتشبث بها * وكان سفيان الثوري كثيراً مايتمثل بهذين البيتين

أبل الرجال اذا أردت إخاءهم ... وتوسمن إخاءهم وتفقد
فاذا وجدت أخا الامانة والتقى ... فيه اليدين قرير عين فاشدد
كم من صديق في الرخاء مساعد ... واذا أردت حقيقة لم توجد

ومثل ذلك قول الآخر

آخ من آخيت عن خبرته ... لا يغرنك من الناس الطرر
لا ولا الاجسام مالم تبلهم ... إنما الناس كامثال الشجر
منه ماليست له منظرة ... وهو صلب عوده حلو الثمر
وترى منه أنيقاً نبته ... طعمه مر وفي العود خور

وقال آخر

من حمد الناس ولم يبلهم ... ثم بلاهم ذم من يحمد
وصار بالوحدة مستأنساً ... يوحشه الاقرب والابعد

* وروي أن رجلا من عبدالقيس قال لابنه أي بني لاتؤاخ أحداً حتى تعرف موارد أموره ومصادرها * فاذا استبطنت الخبر ورضيت منه العشرة فآخه على اقالة العثرة * والمواساة عند العسرة * وأنشدني محمد ابن يزيد المبرد

وكنت اذا الصديق أراد غيظي ... على حنق وأشرقني بريقي
غفرت ذنوبه وكظمت غيظي ... مخافة أن أكون بلا صديق

وأنشدني لبشار بن بدر العقيلي

أخوك الذي لا ينقض الدهر عهده ... ولا عند صرف الدهر يزور جانبه
فخذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه ... ولا تك في كل الامور تجانبه
اذا كنت في كل الامور معاتباً ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
اذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمأت وأي الناس تصفو مشاربه

وقال آخر

ومن لا يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهداً كل عثرة ... يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

وأنشدني أحمد بن يحيى لسعيد المساحقي

فخذ عفو من أحببت لا تبر منه ... فعند بلوغ العذر رنق المشاربه

وقال أبو الاسود الدؤلي

ولست مستبقيا أخالك لا ... تصفح عما يكون من زلله
من ذا الذي هذبت خلائقه ... في ريثة إن أتي وفي عجله
لا أصحب الخائن اللئيم ولا ... أقطع وصل الخليل من ملله
أجزيه بالعرف ما حييت ولا ... يعدم صفحي للشر من عمله

ومثله قول النابغة الذبياني

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

وأجاد والله الذي يقول

اذا ما أذاني مفصل فقطعته ... بقيت ومالي للنهوض مفاصل
ولكن أداويه فان صح كان لي ... وان هو أدوى كان فيه تحمل

وأنشدت لرجل من طيئ

أرخ على الناس ثوب سترهم ... أواجن حلو الثمار من شجره
واستبق ما لم ترد قطيعته ... بسيره ما استقر في ستره

فرب بادي الجميل منـه اذا　　فتش أبدى التفتيش عن عوره
أوستصلح الناس ما استطعت ولا　　تسرع الى ضر مبتغى ضرره

* وروي عن ابن عباس رضى الله عنه قال أحب اخواني الى أخ ان غبت عنه عذرني وان جئته قبلني * وقيل لخالد بن صفوان أي اخوانك أوجب عليك حقاً فقال الذى يسد خلتي * ويغفر ذلتي * ويقبل عثرتي وقال مطيع بن إياس

انما صاحبي الذي يغفر الذ　　ب ويكفيه من أخيه أقله
ليس من يظهر الملالة افكا　　واذا قال خالف القول فعله
وصـله للصديق يوم ويوم　　يضمر الهجر ثم ينبتّ حبله
وأحق الرجال أن يغفر الذ　　ب لاخوانه الموفر عقـله

وفي حديث سهل بن سعيد الساعدى * قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء كثير بأخيه * وكتب الاحنف بن قيس الى صديق له أما بعد فاذا قدم عليك أخ موافق لك فليكن منك مكان سمعك وبصرك فان الاخ الموافق أفضل من الولد المخالف * وقال خالد بن صفوان أعجز الناس من قصر فى طلب الاخوان * وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم * وقال عمر بن الخطاب عليكم باخوان الصدق فاكتسبوهم فانهم زين فى الرخاء * وعدة عند البلاء * وسئل بعض الحكماء أى الكنوز خير فقال أما بعد تقوى الله فالاخ الصالح

(واعلم) أن خير الاخوان من كانت اخوته ومحبته في الله * ولم تكن خلته ولا مؤاخاته لطمع قليل * ولا لغرض عاجل وليس شيءٌ بذوى العقول وأهل الديانات والفضـل أفضل من اخـلاص المودة فى الله ولعمري أن ذلك يحسن بجميع أهل الملل والأديان * وهو من أوثق عرى الايمان * وقد روى فيـه أحاديث كثيرة اقتصرنا على بعضها

واختصرنا من أحسنها وفي البعض كفاية ان شاء الله

﴿ باب صفة المتحابين فى الله عز وجل ﴾

روي عن البراء بن عازب أنه قال كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون أي عرى الايمان أوثق قلنا الصلاة قال ان الصلاة لحسنة وما هي بها قلنا الزكاة قال وحسنة وما هي بها فذكروا شرائع الاسلام فلما رآهم لايصيبون قال ان أوثق عرى الايمان أن تحب فى الله وتبغض فى الله * وأخبرنى أبى رحمه الله باسناد ذكره عن أبى هريرة قال* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لعمودمن ذهب عليه منابر من زبرجد تضيء لاهل الجنة كما يضيء الكوكب الدري في أفق السماء قلنا لمن هذا يا رسول الله قال للمتحابين فى الله * وروي أبو الاحوص عن عبد الله بن مسعود انه قال الايمان أن تحب فى الله وتبغض في الله * وقال عليه الصلاة والسلام الايمان ان يحب الرجل الرجل ليس بينهما نسب قريب ولا مال أعطاه اياه لا يحبه الا الله عز وجل * وروينا عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يؤاخى بين الرجلين من أصحابه فتطول الليلة على أحدهما حتى يرى أخاه * وروينا عن جرير بن عبد الله البجلى قال ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآنى الا تبسم في وجهى * وقال عمر بن الخطاب لقاء الاخوان* جلاء الاحزان * وقال أكثم بن صيفي لقاء الاحبة مسلاة الهم * وكان عبد الله بن مسعود يقول لاصحابه أنتم جلاء حزنى * وروى عن أبي أمامة قال من أعطي لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله فقد استكمل الايمان * وقد كانت الحكماء تقول ان ما يجب للاخ على أخيه مودته بقلبه وتزيينه

بلسانه ورفده بماله وتقويمه بأدبه وحسن الذب والمدافعة عنه في غيبته

* وأنشدني أبو بكر بن أبي الدنيا

اذا المرء لم ينصف أخاه ولم يكن ... له غائباً يوما كما هو شاهده

فلا خير فيه فالتمس غيره أخا ... كريما على وصل الكريم تعاهده

فان غبت يوما أو شهدت فوجهه ... على كل حال أينما كنت واجده

أنشدني أحمد بن يحيى لكثير عزة

وليس خليلي بالملول ولا الذي ... اذا غبت عنه باعني بخليل

ولكن خليلي من يدوم وفاؤه ... ويحفظ سري عند كل دخيل

ولست راض من خليلي نائل ... قليل ولا أرضى له بقليل

وأنشدني بعض الادباء قال أنشدني أعرابي ببلاد نجد

وليس خليلي بالمرجي ولا الذي ... اذا غبت عنه كان عونا مع الدهر

ولكن خليلي من يصون مودتي ... ويحفظني ان كان من دوني البحر

وأنشدني أبو العباس محمد بن يزيد النحوي

تود عدوي ثم تزعم انني ... أودك ان الرأي عنك لعازب

وليس أخي من ودني رأي عينه ... ولكن أخي من ودني وهو غائب

وأنشدني يوسف الاعور قال أنشدني يعقوب بن السكيت لاوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذي ... يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا

ولكن أخوك النائي ما كنت آمناً ... وصاحبك الادني اذا الامر أعضلا

وأنشدني أبو العيناء قال أنشدني الجاحظ

أخوك الذى ان سرك الامر سره ... وان غبت يوما ظل وهو حزين

يقرب من قربت من ذي مودة ... ويقصي الذي قصيته ويهين

وأنشدني أحمد بن يحيى

اذا أنت رافقت الرجال فكن فتي ... كأنك مملوك لكل رفيق

وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا ... على الكبد الحر لكل صديق

واعلم أن أحسن ما تألف به الناس قلوب أخلاءهم * ونفوا به الضغن عن قلوب أعداءهم * البشر بهم عند حضورهم * والتفقد لامورهم * وحسن البشاشة فذلك يثبت المحبة والاخاء ومنه أحاديث قد ذكرنا بعضها وقصدنا فيما فيه قناعة

﴿ باب البشاشة بالاخوان ﴾

(والصبر على تألف قلوب ذوي الاضغان)

قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) وقال تعالى (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) وقال عز وجل (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) وروي عن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس * وسئل الحسن عن حسن الخلق * فقال الكرم والبذلة والتودد الى الناس * وروينا عن جرير بن عبد البجلي فقال ما حجبني رسول الله منذ أسلمت ولا رآني الا تبسم في وجهي * وقال المنصور اذا أحببت المحمدة من الناس بلا مؤونة فالقهم ببشر حسن * وروى عن كعب الاحبار قال مكتوب فى التوراة ليكن وجهك سبطاً تكن أحب الى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة * وأنشدني أبو على العنزى

إلق بالبشر من لقيت من الناس ... جميعا ولا قهم بالطلاقة

تجن منهم به جنى ثمار ... طيب طعمه لذيذ المذاقة

ودع التيه والعبوس عن النا ... س فان العبوس رأس الحماقة

كلما شئت أن تعاد عادي ... ت صديقا وقد تعز الصداقة

أنشدني لبعض بني طيء

خالق الناس بخلق واسع ... لا تكن كلباً على الناس تهر

والقهم منك ببشر ثم كن ... للذي تسمع منهم مغتفر

وقال أبو العتاهيه

وألن جناحك تعتقد ... في الناس محمدة بلينه

فلربما احتقر الفتي ... من ليس في شرف بدونه

* وكان يقال أول المروءة طلاقة الوجه والثانية التودد الى الناس والثالثة قضاء حوائج الناس * وروى أن أعرابياً قال يارسول الله إنا من أهل البادية فنحب أن تعلمنا عملا لعل الله أن ينفعنا به قال لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تفرغ من دلوك في اناء المستقي وان تكلم أخاك ووجهك اليه منطلق * وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن * وقال النبي صلى الله عليه وسلم تمام تحياتكم المصافحة * وقال الحسن البصري المصافحة تزيد في المودة * وروي مجاهد عن معاذ قال ان المسلمين اذا التقيا فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر * واعلم أنه اذا صلحت النيات * وخلصت السريرات * صلحت أصفية المودة * وتثبت المحبة * واتفقت القلوب * واغتفرت الذنوب * واذا فسدت النيات * وخبثت السريرات * بطل خالص الاخاء * وانحلت عرى المودة والصفاء * وقد شرحت في ذلك بابا تقف عليه إن شاء الله تعالى

﴿ باب اتفاق القلوب ﴾

(على مودة الصديق وقلة الخلاف على الرفيق)

روى عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود وعن الوليد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف وما تناكر اختلف * وقال بعض الشعراء

إن القلوب لاجناد مجندة　　　لله فى الارض بالاهواء تعترف

فما تعارف منها فهو مؤتلف　　　وما تناكر منها فهو مختلف

وقال طرفة

وان امرأً لم يعف يوما فكاهة　　　لمن لم يرد سوأ بها لجهول

تعارف أرواح الرجال اذا التقوا　　　فمنهم عدو يتقى وخليل

* وكان يقال المودة قرابة مستفادة * وقيل لخالد بن صفوان أخوك أحب اليك أم صديقك فقال ان أخي اذا كان غير صديق لم أحبه * وروينا عن واصل مولى ابن عيينة قال كنت مع محمد بن واسع بمرو فأبي عطاء ابن مسلم ومعه ابن عثمان * فقال عطاء لمحمد أي عمل في الدنيا أفضل * قال صحبة الاصحاب * ومحادثة الاخوان اذا اصطحبوا على الامن والتقوى فحينئذ يذهب الله بالخلف من بينهم فواصلوا وتواصلوا * وروى عن بشر بن السري قال ليس من البر أن تبغض ما أحبه حبيبك * وقال عبد الله بن صالح اجتمعت أنا ومحمود بن نصر الحارثي وعبد الله بن المبارك وفضيل بن عياض فصنعت لهم طعاماً فلم يخالف محمد بن نصر علينا فى شيء أصلا فقال له عبد الله ما أقل خلافك فقال محمد

واذا صاحبت فاصحب صاحباً　　　ذا حياء وعفاف وكرم

قوله للشيء لا ان قلت لا　　　واذا قلت نعم قال نعم *

وقال آخر

هموم رجال فى أمور كثيرة ... وهمي من الدنيا خليل مساعد
اذا غبت عنه لم أغب عن ضميره ... كأنى مقيم بين عينيه شاهد
نكون كروح بين جسمين فرقا ... فجسماها جسمان والروح واحد

وأنشدنى آخر

والفين كالغصنين ضمهما الهوي ... فروحاهما روح وقلباهما قلب
اذا غاب هذا ساعة عن خليله ... تجلاه يوماً عند فرقته كرب
فيامن رأى الفين صانا هواهما ... فهذا بذا صب وهذا بذا صب

وأنشدت للحكمى

روحها روحي وروحي روحها ... ولها قلب وقلبي قلبها *
فلنا روح وقلب واحد ... حسبها حسي وحسبي حسبها

ولعمرى أن ذلك لحسن جيل * والذى قيل فى ذلك كثير طويل * وقد نهي قوم عن استعمال الميل في المودة * واعلم أن ذلك مع دوام المحبة * وصفاء المودة لحسن غيرمدفوع غير أنه قدنهى عن استعمال الميل فى المودة * وكثرة الافراط في المحبة * وادمان الزيارة فى كل يوم وساعة لموضع الملل والسلوان * الذي هو طبع لانسان * وأمرنا بالقصد في كل الامور * بدوام المحبة والسرور * وقد ذكرت بعض ذلك وفيه مقنع *

﴿ باب النهى عن استعمال الافراط فى حب الصديق ﴾

روى عن بعض الحكماء أنه قال لايفرط الاديب في محبة الصديق ولا يتجاوز فى عداوة العدو فانه لايدرى متى تنتقل عداوة العدو وصداقة * وحكى عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لايكن حبك كلفاً * ولا بغضك تلفاً * ومن أمثال أكثم بن صيفي الانقباض من الناس مكسبة للعداوة * وافراط الانس مكسبة للملال * قال أبو عبيدة يريد أن الاقتصاد أدني الى السلامة * قال أبوزيد من أمثالهم لا تكن حلواً فتسترط ولا مراً فتعقى أى تلفظ من المرارة * ومثله قول مطرف ابن الشخير الحسنة بين السيئتين وخير الامور أوساطها * وكان يقال لا تهذر فى منطقك * ولا تخبر بذات نفسك * ولا تغتر بعدوك * ولا تفرط في حب صديقك * ولا تفزع الى من لا يرحمك ولا تألف من لا يرشدك ولا تبغض من ينصح لك فان شر الاخلاق ملالة الصاحب وتقريب المتباعد * وأنشدنى أحمد ابن يحيي للمقنع الكندي

وكن معدناً للحلم واصفح عن الاذى فانك راء ما علمت وسامع
وأحبب إذا أحببت حباً مقارباً فانك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت غير مباعد فانك لا تدري متى أنت راجع

وأنشدني أحمد بن يحيي لسعيد المساحقى

فهونك في حب وبغض فربما يرى جانب من صاحب بعد جانب

* وسمعت عبد الله بن عبد الله بن طاهر ينشد هذين البيتين وأحسبهما له

اذا أنا أكرمت اللئيم فعدني مهيناً له حققت باطل ماعدا
فان صلاح الامر يرجع كله فساداً إذا الانسان جزت به الحدا

وهذا طويل يقنعك منه القليل وأما طول الزيارة فقد يجب على أهل الصداقة ترك المداومة عليها * وكثرة الجنوح اليها * فان ذلك يخلق الحب ويذهل الصب * ويضجر المزور * ويعدم السرور * ويوقع البدل ويبدي الملل * وقد شرحنا في ذلك باباً فاعرفه وقف عليه ان شاء الله تعالى

﴿ باب الأمر باغباب زيارة الأحباب ﴾

(والنهي عن مداومة غشيان الاصحاب)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال زر غباً تزدد حباً * وقال بعض الحكماء من كثرت زيارته قلت بشاشته * وقال آخر من أدمن زيارة الاصدقاء * عدم الاحتشاد عند اللقاء * وقال آخر

اقلل زيارتك الصديـ ق تكون كالثوب استجده
إن الصديق يمله أن لا يزال يراك عنده

وقال آخر

عليك باقلال الزيارة انها تكون إذا دامت الى الهجر مسلكا
فاني رأيت القطر يسأم دائباً ويسئل بالايدي اذا هو أمسكا

وأنشدت لأبي تمام حبيب بن أوس

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وأنشدني لابراهيم بن المهدي

اني كثرت عليه في زيارته والشيء مستثقل جداً اذا كثرا
ورابني منه أني لا أزال أرى في طرفه قصراً عني اذا نظرا

وقال عمر بن أبي ربيعة

لا تجعلن أحداً عليك اذا أحببته وهويته ربا *
وصل الصديق اذا كلفت بحبه واطو الزيارة دونه غبا
فلذاك خير من مواصلة ليست تزيدك عنده قربا
لا بل يملك عند دعوته فيقول آه وطال مالبا

وقال آخر

أغب الزيارة لما بدا   له الهجر أو بعض أسبابه
وما صد هجراً ولكنه   طريد ملالة أحبابه

وكتب بعض الظرفاء رقعة وطرحها في مجلس محمد بن عبدالله بن طاهر حيث حرم القيان

عزمات الامير أصلحه الله   ه بحسن الارشاد والتوفيق
باعدت بيننا وبين محباب   ومديل ومنصف وصديق

فوقع محمد في ظهر الرقعة

حسن رأي الامير في العشاق   وفر الحظ في بعاد التلاقي
خاف أن يحدث الوصال ملالا   فتلافي الهوى ببعض الفراق

وأنشدني بعض الادباء

* اني رأيتك لي محباً   والى حين أغيب صباً
فهجرت لا لملالة   حدثت ولا استحدثت ذنباً
* الا لقول نبينا   زوروا على الايام غبا
ولقوله من زار غ   با منكم يزداد حباً *
وهجرت حين هجرت كي   أزداد بالهجران قربا
* الله يعلم أنني   لك أخلص الثقلين قلبا
أرعي لك الود القدي   م وان جنيت على حربا

ومن ذلك ماروي أن العتابي دخل على يحيي بن خالد البرمكي وكانت له جارية يقال لها خلوب تجالس الادباء وينافض الشعراء فقال لها سليه لابطائه عنا جائزة فقالت له قل على هذه القافية

اذا شئت أن تقلي فزر متواتراً   وان شئت أن تزداد حباً فزر غبا

فأنشأ يقول

بقيت بلا قلب لاني هائم   فهل من معيب ياخلوب بكم قلبا

حلفت لها بالله أنك مذيق ... فكونى لعيني حيث ما نظرت نصبا
عسى الله يوماً أن يرينيك خالياً ... فأحي بلحظي من محاسنكم عجبا
يقولون لا تكثر زيارة صاحب ... فانك إن أكثرته كره القربا
وكيف يطيق الصب سلوان حبه ... اذا كان مشعوفا قد استشعر الكربا
وقد قال بيتاً ما سمعت بمثله ... خلى من الاحزان لم يذق الحبا
اذا شئت أن تقلى فزر متواتراً ... وان شئت أن تزداد حبا فزر غبا

فقال لله أبوك أحسنت خذ بيدها فهي لك وأمر له بالف درهم واعلم أن كل ما رسمناه فى هذه الابواب وذكرناه وشرطناه على الادباء ووجدناه داخلا فى باب حدود الادب على ما أصبناه غير خارج منه ولا منفصل عنه وأن يكون الاديب عاقلا واللبيب كاملا حتى تكون له مودة قد قرنها بأدبه * وثابر عليها فى طلابه * فاذا جمع ذلك رهب منه الاعداء * ورغب فيه الاولياء * وسنذكر من أنشأته المروة فيكون فيه بلاغ وهداية ان شاء الله تعالى

﴿ باب شرائع المروة وصفتها ﴾

اعلم أن المروة هي عماد الادباء * وعتاد العقلاء * يرأس بها صاحبها ويشرف بها كاسبها ولا شئ أزين بالمرء من المروة * فهي رأس الظرف والفتوة * وقد قال بعض الحكماء الادب يحتاج معه الى المروة والمروة لا يحتاج معها الى الادب وربما رأيت ذا المروة الخامل * وذا سخاء الجاهل * قد غطت مروته على عيوبه * و ستره سخاؤه * من معيبه وأهل المروات محسودة أفعالهم متبعة أحوالهم وقل ما رأيت حاسداً على أدب وراغباً فى أرب * من ذلك ما حكى عن محمد بن حرب أنه قال كنت على شرطة جعفر بالمدينة فأتيت باعرابي من بني أسد يستعدى

عليه فرأيت رجلا له بيان يحتمل الصنيعة فرغبت في اتخاذها عنده فتخلصته ثم لم يلبث أن رد الى فقلت حماس فقال لى حماس والله قلت ما أرجعك قال الشر * وما قاله رجل منا يقال له خالد فانشدني

عادوا مروتنا فظل سميهم ولكل بيت مروة أعداء

لسنا اذا عد الفخار كمعشر أزرى بفعل أبيهم الأبناء

قال فتخلصته ثانية * وقيل لبعض حكماء الفرس أى شئ للمروة أشد تهجينا فقال للملوك صغر في الهمة وللعامة الصلف وللفقهاء الهوى وللنساء قلة الحياء وللعامة الكذب والصبر على المروة صعب وتحملها عبء * وقد قال خالد بن صفوان لولا أن المروة اشتدت مؤونتها وثقل حملها ماترك اللئام للكرام منها شيئا ولكنه لما ثقل محملها واشتدت مؤونتها حاد عنها اللئام فاحتملها الكرام * وقال بعضهم المكارم لاتكون الا بالمكاره ولو كانت خفيفة لتناولها السفلة بالغلبة * وقال ابن عمر ما حمل رجل حملا أثقل من المروة فقال له أصحابه صف لنا ذلك فقال ماله عندي حد أعرفه الا أني ما استحييت من شئ قط علانية الا استحييت منه سرا * وقام رجل من بني مجاشع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ألست أفضل قومى فقال ان كان لك عقل فلك فضل * وان كان لك خلق فلك مروة * وان كان لك مال فلك حسب * وان كان لك دين فلك تقى وان كان لك تقى فلك دين * وروي الهلالى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من ثقيف ما المروة فيكم قال الصلاح في الدين واصلاح المعيشة وسخاء النفس وصلة الرحم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هى فينا * وقال عمر بن الخطاب المروة الظاهرة الثياب الطاهرة يعني النقية من الذنوب * وقيل للاحنف ما المروة قال اصلاح المعيشة واحتمال الجريرة * وقال معاوية لصعصعة بن صفوان

ما المروة قال الصبر على ما ينوبك والصمت حتى تحتاج الى الكلام * وقال محمد بن على بن الحسين كمال المروة الفقه فى الدين والصبر على النوائب وحسن تقدير المعيشة * وقال معاوية لرجل من عبد القيس ما تعدون المروءة فيكم قال العفة والحرفة * وقيل لابي زهرة ما المروة قال اصلاح الحال والرزانة في المجالس والغداء والعشاء بالافنية * وقال عمر ابن الخطاب حسب المرء ماله وكرمه دينه وأصله عقله ومروته خلقاً * وقال على بن أبي طالب مروءة الرجل حيث يضع نفسه * وقال عبد الله بن سميط بن عجلان سمعت أيوب السجستانى يقول لاينبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان العفة عن الناس والتجاوز عنهم * وقال مسلمة ابن عبد الملك مروءتان ظاهرتان الرياسة والفصاحة * وكان يقال ثلاث يفسدون المروءة الالتفات فى الطريق والشح والحرص * وقال عمر بن هبيرة عليكم بمباكرة الغداء فان في مباكرة الغداء ثلاث خلال يطيب النكهة ويطفئ المرة ويعين على المروة قيل وما اعانته على المروة قال لاتتوق النفس الى طعام غيره * وقال سلم بن قتيبة لاتتم مروءة الرجل حتى يصبر على مناجاة الشيوخ الدرد * وسأل ابن زياد رجلا من الدهاقين ما المروءة فيكم قال أربع خصال أن يعتزل الرجل الريبة فلا يكون فى شيء منها فانه اذا كان مريبا كان ذليلا وأن يصلح ماله فان من أفسد ماله لم تكن له مروءة وأن يقوم لاهله بما يحتاجون اليه حتى يستغنوا به عن غيره فن من احتاج أهله الى الناس لم تكن له مروءة وأن ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب فيلزمه فان المروءة ألا يخالط على نفسه فى مطعمه ولا مشربه * وكان يقال ثلاث من المروءة تعاهد الرجل اخوانه واصلاح معيشته واقالته فى منزله * وسئل العتابي عن المروءة فقال اخفاء مالا يستحي من اظهاره ومواطأة القلب اللسان

* ويروى عن عبد الله بن بكر السهمي أن عبدالملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص فجلس مليا ثم انصرف فقال معاوية ما أكمل مروءة هذا الفتى وأخلقه أن يبلغ فقال عمرو يا أمير المؤمنين ان هذا أخذ بخلائق أربع وترك ثلاثا أخذ بأحسن الحديث اذا حدث وبأحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر المؤونة اذا خولف وبأحسن البشر اذا لقي وترك مزاح من لا يوثق بعقله ولا دينه وترك مخالفة لئام الناس وترك من الكلام مايعتذر منه (فهذه) جملة شرائع المروءة لايقدر على القيام بأدنى المفترض فيها الا ذوو العقول الفاضلة والآداب الكاملة (واعلم) ان من المروءة أيضاً عشرة خصال لا مروءة لمن لم يكن فيه الحلم والحياء وصدق اللهجة وترك الغيبة وحسن الخلق والعفو عند المقدرة وبذل المعروف وانجاز الوعد وفي تبيينهن أخبار تحث على استعمالهن وآثار تدعو الى المثابرة عليهن وانا ذاكر بعض ذلك ان شاء الله وبه القوة

﴿ باب ماجاء من فضل الصدق ﴾

(لذوي الآداب وما كره من الكذب لذوي الالباب)

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لايصلح الكذب في جد ولا هزل * وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا كذب العبد تباعد الملك منه ميلا لنتن ما جاء منه * وقال لسان الصدق خير للمرء من المال يأكله ويورثه * وقال المهلب بن ابي صفرة ما السيف الصارم في يد الرجل الشجاع بأعز له من الصدق * وكان يقال الصدق قوة والكذب عجز * أنشدني بعض الادباء

لا يكذب المرء الا من مهانته   أو عادة السوء أو من قلة الادب

لجيفة الكلب عندي خير رائحة   من كذبة المرء فى جد وفي لعب

* وكان يقال لا رأى لكذوب ولا مروءة لكذاب * ويقال لاتستعن بكذاب فانه يقرب لك البعيد * ويباعد لك القريب * وأنشدنى آخر

وكن صادقا في كل شيء تقوله   ولا تك كذابا فتدعي منافقاً

وقال آخر

الكذب عار وخير القول أصدقه   والحق ما مسه من باطل زهقا

وأنشدني غيره

الصدق مناجاة لمن هو صادق   وترى الكذوب بما يقول يوبخ

وقال أبو العتاهية

كن فى أمورك ساكنا   فالمرء يدرك في سكونه

واعمد الى صدق الحديـ   ـث فانه أزكى فنونه

رب امرئ متيقن   غلب الشقاء على يقينه

وحدثني بعض شيوخ الكتاب قال حدثني على بن هشام قال قال لى محمد بن الجهم ذات يوم يا أبا الحسن الكذاب والموات بمنزلة واحدة قلت وكيف ذاك قال لان علامة الحى النطق ومن لم يوثق بنطقه فقد بطلت حياته * والذى جاء فى ذلك يطول شرحه * ويكثر وصفه والكلام فيه يتسع * وانا أفرد لهذا الباب كتابا * وأرصفه أبوابا * أبين فيه فضل الصدق على الكذب * ليرغب فيه ذوو المروءة والادب ان شاء الله تعالى

واما ما جاء فى انجاز العدات * عن ذوو الاخطار والمروآت * فكثير يكثر عدده * ويطول أمده * وقد شرحت لك بعض ذلك لتقف عليه ان شاء الله تعالى

﴿ باب ماجاء فى قبح خلف المواعيد ﴾

(وما يلحق صاحبه من اللوم والتنفيد)

اعلم أن قبح ما استعمله أهل الادب مطل العدات * وقال المثنى ابن خارجة لان أموت عطشاً أحب الى من أن أخلف موعداً * وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث علامات في المنافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم * اذا حدث كذب * واذا ائتمن خان * واذا وعد أخلف وروي عنه أنه قال عدة المؤمن أخذ بالكف * وقال بعض الاعراب وعد الكريم تعجيل * ووعد اللئيم مطل وتسويف * وكان يقال اليأس احد الراحتين * وأنشدني يعقوب بن يزيد التمار

متي مااقل يوماً لطالب حاجة ... نعم يأتي افعل وذلك من شكلي
وان قلت لا بينتها عن مكانها ... ولم اوذه فيها بجبر ولا مطل

وأنشدنى آخر

اذا قلت فى شئ نعم فأتمه ... فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا واسترح وارح بها ... لكي لايقول الناس انك كاذب

وانشدنى آخر

لاتقولن اذا ما لم ترد ... ان تتم الوعد في شئ نعم
واذا قلت نعم فامض بها ... بنجاح الوعد ان الخلف ذم

وانشدنى ابراهيم بن محمد النحوي

انت الفتي كل الفتى ... لو كنت تفعل ماتقول
لا خير في كذب الجوا ... د وحبذا صدق البخيل

وكان يقال اعتذار من منع اجمل من وعد ممطول * وقال على بن هشام اعرنى المأمون بحاجة فأخرتها فكتب الى

تعجيل جود المرء اكرومة ... تنشر عنه أحسن الذكر
والحر لا يمطل معروفه ... ولا يليق المطل بالحر

وكان يقال المعروف يحتاج الى ثلاث * تعجيله وكتمانه واتمامه * وأنشدنا ليزيد بن جبل

ياصانع المعروف كن تاركا ... ترداد ذي الحاجة في حاجته
فشر معروفك ممطوله ... وخيره ما كان من ساعته
لكل شيء يرتجي آفاته ... وحسبك المعروف من آفته

وقال آخر

صل من أردت وصاله وإخاءه ... ان الاخوة خيرها موصولها
واذا ضمنت لصاحب لك حاجة ... فاعلم بأن تمامها تعجيلها

وقال آخر

لا تنشرن مواعيد وتسندها ... الى المطال فما يرضى به الادب
لا تطلبن بمنع المال محمدة ... ان المحامد بالاموال تكتسب

* وكان يقال لكل شيء آفة وآفة المعروف المطل * وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكل شيء رأس ورأس المعروف تعجيله * وفي وصية عبد الملك بن مروان لبنيه يابني لاتعدوا الناس بما لا تناله أيديكم ويقال اذا وعدت الرجل نائلا ثم مطلته به فقد أوفاك ثمن معروفك عنده * وأنشدنا لدعبل بن على الخزاعى

إياك والمطل أن تمارقه ... فانه آفة لكل يد
اذا [illegible] امرءا بحاجته ... فامض على مطله ولا تجد
[illegible] شاكراً ليد ... قد كدر المطل آخر الابد

وللقتيبى [illegible]

ما كلف [illegible] فوق طاقتها ... ولا تجود يد الا بما تجد

فلا تعد عدة الا وفيت بها　　ولا تكونن مخلافا لما تعـد

ولدعبل أيضاً في مثله

وأرى النوال يزينه تعجيله　　والمطل آفة نائل الوهاب

* وكان يقال بذل جاه السائل ثمن معروف المسائل * وقال أكثم ابن صيفي السؤال وان قل ثمن لكل معروف وان جل * أنشدني محمد بن ابراهيم الهمداني لعلي بن ثابت الكاتب

ماعتاض باذل وجهه بسؤله　　بذلا ولا نال الغني بسؤاله

واذا السؤال مع النوال وزنته　　رجح السؤال وخف كل نوال

* وقال بعض الحكماء أحي معروفك باماتة ذكره وعظمه بتصغيرك له * أنشدني أبو العباس ثعلب لابي يعقوب الحربي

زاد معروفك عندي عظماً　　انه عندك مستور حقير

وتناساه كأن لم تأته　　وهو عند الناس مشهور كبير

وقال عدي بن حاتم لايصلح المعروف الا بثلاث تعجيله وكتمانه وتصغيره لانك اذا عجلته هنيته * واذا كتمته استممته * واذا صغرته عظمته * (وشرح) كل ماجاء في ذلك يطول * والاختصار أحسن من الاكثار وقد ذكرت معني هذا الباب مع ما يلائمه من الاخبار في كتاب لطيف التأليف والاختصار هو كتاب البث والحث غنينا بما فيه عن الزيادة * وعن التطويل والاعادة * ونحن نتبع هذا الباب بما ضمناه على الحث على كتمان السر * ليرغب فيه ذوو الادب والقدرة ان شاء الله تعالى *

* باب الحث على كتمان السر *

(والترغيب في حفظ ماحنت عليه ضلوع الصدر)

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال * استعينوا على حوائجكم

بكتمان السر * وكان يقال سرك من دمك * فانظر أين تجعله * وكان يقال ما كتمته من عدوك فلا تطلع عليه صديقك * وقال المهلب بن أبي صفرة من ضاق قلبه اتسع لسانه * وأنشدني أحمد بن يحيي لقيس بن الحدادية الخزاعي

بكت من حديث نمه وأشاعه | ولصقه واش من القوم واضع
بكت عين من أبكاك لا يشجك البكا | ولا تتخالجك الامور النوازع
ولا تسمعي سري وسرك ثالثاً | ألا كل سر جاوز اثنين ضائع

وأنشدني لبعض الطالبيين

أكافي خليلي ما استقام بوده | وأمنحه ودي اذا يتمتب
ولست ببادي صاحبي بقطيعة | ولا أنا مفشي سره حين أغضب
عليك باخوان الثقات فانهم | قليل فصلهم دون من كنت تصحب
وما الخدن الامن صفالك وده | ومن هو ذو نصح وأنت مغيب
اذا ماوضعت السر عند مضيع | فذو السر ممن ضيع السر أذنب

وقال معاوية بن أبي سفيان الحازم من كتم سره من صديقه مخافة أن تبدل صداقته عداوة فيذيع سره * وقال بعض الشعراء

تواقف معشوقين من غير موعد | وغيب عن نجواهما كل كاشح
وكلت جفون الماء عن حل مائها | فما ملكت فيض الدموع السوافح
واني لاطوي السر عن كل صاحب | وان كان للاسرار عدل الجوانح

وكتب عبد الملك بن مروان ببعض سره الى الحجاج بن يوسف ففشا حتى بلغه ذلك عبد الملك يعاتبه فكتب اليه والله ياأمير المؤمنين ما أخبرت به الا انساناً واحداً فكتب اليه عبد الملك أن لكل انسان نصيحاً يفشي اليه سره وقال بعض الشعراء في ذلك

ألم تر أن وشاة الرجا | ل لايتركوا أديماً صحيحاً

فلا تفش سرك الا اليك　　فان لكل نصيح نصيحا

وقال آخر

اذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها　　فسرك عند الناس أفشى وأضيع

وقال آخر

أمن السر بكتمان ولا　　يبدون منك اذا استودعت سري

فاذا ضقت به ذرعاً ولا　　تجعلن سرك الا عند حر

وقيل لاعرابي استودع سراً فكتمه أفهت قال لا بل نسيت * وأخبرني أحمد بن عبيد قال أخبرني ابن الاعرابي * قال قيل لأعرابي كيف كتمانك السر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر * وقيل لاعرابي كيف حفظك للسر فقال أنا لحده * واستحسنته في كتمان السر قول كثير

أبي دون ماتخشون من بث سركم　　أخو ثقة سهل الخلائق أروع

ضنين ببذل السر سمح بغيره　　أخو ثقة عف الوصال سميدع

أبي أن يبث الدهر ماعاش سركم　　سليما وما دامت له الشمس تطلع

وله أيضاً

كريم يميت السر حتى كأنه　　اذا استنطقوه عن حديثك جاهله

وعي سركم في مضمر القلب والحشا　　شفيق عليكم لاتخاف غوائله

وأكتم نفسي بعض سري تكرماً　　اذا ما أضاع السر في الناس حامله

وقول صاحبه أيضاً

لعمرى مااستودعت سرى وسرها　　سوانا حذاراً أن تشيع السرائر

ولا خاطبتها مقلتاي بنظرة　　فتعلم نجوانا العيون النواظر

ولكن جعلت اللحظ بيني وبينها　　ر ر٧ ؤأدي ما تجن الضمائر

ومنه قول الآخر

ليهنك مني أنني غير مظهر　　هواك ارا ار م مته على تجي

ولو ان خلقا كاتم الحب قلبه لمت ولم يعلم بحبكم قلبي

وقال آخر

لو ان امرءا أخفى الهوى عن ضميره لمت ولم يعلم بذاك ضمير

ولكن سألقى الله والقلب لم يبح بسرك والواشون عنك كثير

وقال العباس بن الاحنف

أيا من سروري به شقوة ومن صفو عيشي به أكدر

تجنيت تطلب ما أستحق به الهجر هيهات لا يقدر

وما ذا يضرك من شهرتي اذا كان سرك لا يشهر

امني يخاف انتشار الحديث وحظي في صونه أكثر

ولو لم يكن فيه بقيا عليك نظرت لنفسي كما تنظر

وأنشدني لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ومؤتمن بالحزن في كل أمره وأسراره منه بحيث المقاتل

فلا سره عن ساحة الصدر نازح ولا هو عن سر تعداه سائل

ولغيره في مثله

فلنقل الجبال أهون من بث حديث حنت عليه الضلوع

فلك الله انني لك راع مابدا كوكب وبرق لموع

وأنشدني أحمد بن عبد الله قال انشدني ابن الكلبي لابن أمينة

واني على السر الذي هو داخل اذا باح أصحاب الهوي لضموم

واني ما استودعت يا أم مالك على قدم من عهدنا لكتوم

وقال أبو العميثل — الضموم — الممسك وكذلك الزميت أيضاً *

وقال آخر

وحاجة دون أخرى قد شجيت بها خلفتها للذي اخفيت عنوانا

اني كأني أري من لا حياء له ولا أمانة وسط الناس عريانا

وأنشدني أحمد يحي بن الحطيم

وان ضيع الاحرار سراً فانني   كتوم لاسرار العشير أمين
يكون له عندي اذا ما ضمنته   مكانا بسوداء الفؤاد مكين

وقال بشار بن برد المرعث

أبكي الذين أذاقوني مودتهم   حتى اذا أيقظوني في الهوى رقدوا
لاخرجن من الدنيا وسرهم   بين الجوانح لم يعلم به أحد

وأحسن والله الذي يقول

يأبى لي الذم أخلاق ومكرمة   مني وأذن عن الفحشاء صماء
النجم أقرب من سري اذا اشتملت   مني على السر أضلاع وأحشاء

والذي قيل في ذلك كثير جدا يطول به الخطب ويتسع فيه القول وليس قصدنا في كتابنا هذا المعني وانما تقدمنا بذكر ماشرحناه * ونعت ماوصفناه * لانه لابد للظريف من استعمال كما ذكرناه من حدود الادب وشرائع المروة * واعلم ان مذهبنا في هذا الكتاب الى معنى صفة الظرف وما يجب على الظريف استعماله * وذكر مايجب عليه تركه * وما اخترعنا في كتابنا هذا علما من عند أنفسنا يجب لنا به الامتحان ولا يلحقنا فيه عيب من عاب أن عاب * ولا على انه لا يطلب لفظه ولا يمتنع عند معايبهم الا معيب * وأنشدنا احمد بن يحي قال أنشدني ابن السكيت

رب ضريب ناصح الجيب   وابن أب متهم الغيب
ورب عياب له منظر   مشتمل منه على العيب

ولكننا الفناه وجمعناها من أقاويل جماعة من الظرفاء والمتظرفات وأهل الادب والمروات سمعناهم ورأيناهم يتكلمون به ويستعملونه فاحببنا أن نجمع ذلك ونجعله لهوا لمن أراد سماعه * وعلما لمن أراد اتباعه * وهديا لمن أراد رشده * ومنارا لمن أراد قصده * وطيبا لمن اراد شمه *

وأدبا لمن أراد فهمه * وكتابنا هذا روضة تتنزة فيها العقول * وعقود جوهر زينتها الفصول * اذ لم نخله من اخبار طريفة واشعار ظريفة واشياء نمت الينا من زى ظرفاء الناس * فى الطعام والشراب والعطر واللباس * ومذهبهم فيما اجتنبوه من ذميم * الافعال واستحسنوه من جميل الشيم * والاخلاق وسأشرح ذلك وأبينه باباً باباً لتقف عليه ان شاء الله

باب سنن الظرف

اعلم ان اعماد الظرف عند الظرفاء * واهل المعرفة والأدباء * حفظ الجوار * والوفاء بالذمار * والانفة من العار وطلب السلامة من الاوزار ولن يكون الظريف ظريفاً * حتى تجتمع فيه خصال اربع * الفصاحة والبلاغة والعفة والنزاهة * وسألت بعض الظرفاء عن الظرف فقال التودد الى الاخوان * وكف الاذى عن الجيران * وقال آخر الظرف ظلف النفس وسخاء الكف وعفة الفرج * واخبرني احمد بن عبيد قال قال الاصمعي وابن الاعرابي لا يكون الظرف الا فى اللسان * يقال فلانٌ ظريف اي هو بليغ جيد المنطق ومنه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا كان اللص ظريفاً لم يقطع اي لانه يكون له لسان فيحتج به فيدفع عن نفسه * قال وروي عن محمد بن سيرين انه قال الظرف مشتق من الفطنة * وقال غيره الظرف حسن الوجه والهيئة * وقال بعض المشيخة الظريف الذى قد تأدب واخذ من كل العلوم فصار وعاء لها فهو ظرف * وقال احمد بن عبيد معناه انه يعى أدبا وعلماً كما يعي ظرف الشيء مايكون فيه ولذلك معنى اذا كان اللص ظريفاً لم يقطع اذا كان واعياً للعلم لم يسرق الا بتأول * كافعل الشعبي وقد دخل بيت المال فاخذ منه دراهم وانما أراد به التأول لماله فيه من الحق *

وسألت بعض متظرفات القصور عن الظرف * فقالت من كان فصيحاً عفيفاً كان عندنا متكاملا ظريفاً * ومن كان غنيا عاهرا كان ناقصاً فاجراً * وقال بعض الادباء الظرف ظلف النفس ورقة الطبع * وصدق اللهجة وكتمان السر * وسألت بعض الظرفاء فقال الظرف في أربع خصال الحياء والكرم والعفة والورع * وأنشدني أبو عبد الله الواسطي لنفسه في هذا المعنى

ليس الظريف بكامل في ظرفه حتي يكون عن الحرام عفيفا
فاذا تورع عن محارم ربه فهناك يدعوه الانام ظريفاً

ومثله لبعض المتأدبين

ان أكن طامح اللحاظ فاني والذي يملك العباد عفيف
ليس ظرفا ظريف لنفس لكن كل ذي عفة فذاك ظريف

وخبرت ان عبد الملك بن مروان وجد على بعض عماله فقيده وحبسه في داره فاشرفت عليه وابنة لعبد الملك فنظر اليها فانشأت تقول

أيها الرامي بالطرف وفي الطرف الحتوف
ان ترد وصلا فقد أمكنك الظبي الالوف

فأجابها الفتى فقال

ان تريني زاني العينين فالفرج عفيف
ليس الا النظر الفاتن والشعر الظريف

فاجابته الجارية

قد أردناك على أن تعتنق ظبياً ألوفا
فتأبيت فلا زلت لقيديك حليفاً

فذاع الشعر وبلغ عبد الملك فدعا به فزوجه اياها ودفعها اليه * واخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن الذي كان يعرف بالقس لعبادته بسلامة المغنية و

التي صارت الى يزيد بن عبد الملك * فسمعها وهي تغني فوقف يستمع غناءها فادخله مولاها عليها * فوقعت في قلبه ووقع بقلبها * فقالت له يوماً وقد خلا مجلسهما أنا والله أحبك * فقال وأنا والله أحبك * قالت فانا والله أشتهي أن أضع فمي على فمك والصق صدري بصدرك وأضمك الى وتضمني اليك * قال وأنا والله أشتهي ذلك * قالت فما يمنعك من ذلك فوالله ان الموضع لخال وما يقربنا أحد * فقال ويحك اني سمعت الله يقول (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) فانا أكره أن تكون خلتي لك في الدنيا منقطعة في الآخرة ثم وثب فانصرف * وكان لعلي بن أبي طالب عليه السلام جارية تدخل وتخرج * وكان له مؤذن شاب فكان اذا نظر اليها قال لها أنا والله أحبك فلما طال ذلك عليها أتت عليا عليه السلام فاخبرته * فقال لها اذا قال لك ذلك فقولي أنا والله أحبك فمه فاعاد عليها الفتى قوله فقالت له وأنا والله أحبك فمه فقال تصبرين ونصبر حتى يوفينا من يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب * فاعلمت عليا عليه السلام فدعا به فزوجه منها ودفعها اليه * وأنشدني أبو عبد الله الواسطي لنفسه في هذا المعنى

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني　　منه الحياء وخوف الله والحذر

وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني　　منه الفكاهة والتحديث والنظر

أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم　　وليس لي في حرام منهم وطر

كذلك الحب لا إتيان معصية　　لاخير في لذة من بعدها سقر

ومثل ذلك قول الآخر

تفني اللذاذة ممن نال صفوتها　　من الحرام ويبقى الاثم والعار

تبقى عواقب سوء من مغبتها　　لاخير في لذة من بعدها النار

ومما استحسنه فى العفة أيضاً ما أنشدنيه أحمد بن يحيي ثعلب لبعض نساء العرب

وبتنا خلاف الحي لانحن منهم ... ولا نحن بالاعداء مختلطان
وبتنا يقينا ساقط الطل والندى ... من الليل بردا يمنة عطران
نذود بذكر الله عنا من الصبي ... اذا كاد قلبانا بنا يريدان
ونصدر عن ر العفاف وربما ... نقينا غليل النفس بالرشفان

وأنشدني أحمد بن يحيي ثعلب

أحبك لا من ريبة كان بيننا ... ولا نسب بيني وبينك شابك
أحبك ان خبرت انك فارك ... لعمري انى مولع بالفوارك
أحب فتاة ان تشاغب زوجها ... وان لم أنل من وصلها غير ذلك

قال أبو الطيب ــ الفارك ــ المبغضة لزوجها يقال قد فركت المرأة زوجها تفركه اذا أبغضته وهى فارك والرجل مفروك * ومثله قول الحسين بن مطير

أحبك ياسلمى على غير ريبة ... وما خير حب لا تعف سرائره

ومثله أيضاً قول الآخر

أتأذنون لصب في زيارتكم ... فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به ... عف الضمير ولكن فاسق النظر

وقال محمود الوراق

اني أحبك حباً لا لفاحشة ... والحب ليس به فى الله من بأس

وأنشدني بعض الادباء قال أنشدني أعرابي ببلاد نجد

ويوم كابهام الحباري قطعته ... بمقمعة والقوم فيهم تحرف
اذا ماهممنا صد زي نفوسنا ... كما صد من بعد التهمم يوسف

قال أبو الطيب قوله ــ كابهام الحبارى ــ يريد نهاية مايكون من القصر
وأنشدنى آخر

ما الحب الا قبـل　　وغمز كف وعضد
و كتب فيها رقى　　أنفذ من نفث العقد
ما الحب الا هكذا　　ان نكح الحب فسد
من لم يكن ذا عفة　　فانمـا يبـغى الولد

ومن ذلك قول بثينة لجميل* وقد قال لها هل لك يابثينة أن نحقق قول الناس فينا * فقالت له مه دع حبنا مكانه إن الحب إذا نكح فسد* ودخلت بثينه على عبد الملك بن مروان فقال لها والله يابثينة ما أري فيك شيأً مما كان يقول جميل قالت يا أمير المؤمنين أنه كان يرنو الي بعينين ليستا فى رأسك قال وكيف صادقتيه فى عفته * قالت كما وصف نفسه حيث يقول

ألا والذي تسجد الجباه له　　مالى بمـا دون ثوبهـا خبر
ولا بفيها ولا هممت به　　ماكان الا الحديث والنظر

وقيل لاعرابي هل زنيت قط قال معاذ الله انما هما اثنتان أماحرة آنف لها من فسادها وأما أمة آنف لنفسى من فسادي اياها * وروى عن ابن سهل بن سعد الشاعر * قال دخلت على جميل بن معمر العذرى وهو عليل واني لارى آثار الموت على وجهه* فقال يا ابن سهل أتقول ان رجلا يتقى الله لم يسفك دماً حراماً ولم يشرب خمراً ولم يأت بفاحشة أترجو له الجنـة قلت أي والله فمن هو قال انى لارجو أن أكون أنا ذلك الرجل قلت بعد زيارتك بثينة وما تحدث به عنكما* فقال والله انى انى آخر يوم من أيام الدنيا *وأول يوم من أيام الآخرة* ولا نالتني شفاعة محمد صلي الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسى فيها بريبة قط قال فما

انقضي يومه حتي مات * وقال الاصمعي كان عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق جالسين بفناء الكعبة *فمرت بهما امرأة من ربيعة وقيل من آل أبي سفيان فدعا عمر بكتف فكتب فيها

ألما بذات الخال فاستطلعا لنا ... على العهد باق ودها أم تصرما

وقولا لها أن النوي أجنبية ... بنا وبكم قد خفت أن تتيمما

فقال له ابن أبي عتيق ماتريد الى امرأة مسلمة محرمة تكتب اليها بمثل هذا فقال أتري ما سيرت * الناس من الشعر ورب هذه البنية ماقبلت منها وما دبر ما قولت امرأة قط مالم تقله ولا طالعت فرج حرام قط * وقيل لكثير عزة هل نلت من عزة شيئاً طول مدتك فقال لا والله الا أنه رب ما كان يشتد بي الامر فاخذ يدها فاضمها على جبيني فاجد لذلك راحة * وقال اعرابي وخلا بامرأة كان يتعشقها ما زال القمر يرينيها فلما غاب أرتنيه *قيل فما كان بينكما قال أقصي ما أحل الله وأدني ما حرم الله عز وجل *اشارة في غير باس ودنو في غير مساس وأنشأ يقول

ولرب لذة ليلة قد نلتها ... وحرامها بحلالها مدفوع

قال اعرابي من فزارة عشقت جارية من الحى فحدثتها سنين كثيرة والله ما حدثت نفسى بريبة قط سوى ان خلوت بها فرأيت بياض كفها في سواد الليل فوضعت كفي على كفها فقالت مه لا تفسد ما صح فارفض جبيني عرقا ولم أعد (وعلم) أن الظرف ليس بمستغنى عنه ولا هو مما يجب منه ولا ينتفع فيه صاحبه ولا يفقد عليه بل هو من [illegible] ما استعمله العلماء وصبا اليه الادباء وتزينوا به عند [illegible] وخلو [illegible] أخلاقهم وربما تكلفه قوم ليس من أهله فظرف [illegible] المطبوعين أحسن منه من المتكلفين [illegible] علامات أظهر في

حركاته وتبين في لحظاته لا يسترها بتصنعه ولا تتغيب بتستره وان المطبوع على الظرف ليشهد له القلب عندمعاينته بحلاوته وتسكن النفس عند لقائه الى مجالسته وتصبوالى محادثته وترتاح الى مشاهدته وهو بين في شمائله ظاهر في خلائقه بين في منطقه غير مستتر عند صمته دلائله واضحة في مشيته وزيه ولفظه يستدل عليه بظاهر حركة الملاحة دون اختبار باطن الحلاوة ألا ترى ان من زيهم التقزز والنظافة والملاحة واللطافة واظهار البزة وطيب الرائحة فالنفوس اليهم تائقةوالقلوب وامقة والعيون رامقةوالارواح عاشقة وان من زيهم الوقار والخشوع والسكون والخضوع والتصنع بالاخلاق الوضية والشيم السنية والمذاهب الجميلة والهمم الجليلة ومما يستدل به على كمال أدبهم ويعرف به رجحان هممهم كثرة استعمالهم الهوى وطول معاناتهم الجوي وهو من أحسن مذاهبهم وأجل مناقبهم ولسنا نقول ان الهوي ليس بفرض على ذوي العقل كما قال ذو التقصير والجهل بل هو من أوكد الفرض عليهم وأثبت الحجة للمفترض الناظر اليهم على حسن تركيب الطباع والغرائز وصفاء جواهر الهمم والنحائز ان هو عند ذوي العلوم والاحكام من أجل مذاهب الادباء والكرام وقال محمود الوراق فى ذلك اذا كان الحب عنده كذلك

ألم تعلم فداك أبي وأمي بان الحب من شيم الكرام

وليس يخلو أديب من هوي ولا يعرى من ضنى لان الهوي كما وصفته العلماء وكما قال فيه الحكماء انه هو أول باب تفتق به الاذهان وينفسح به الجنان وله سورة في القلب يحيا بها اللب وقد يشجع الجبان ويسخي البخيل ويطلق لسان العي ويقوى حزم العاجز ليأنس به الجليس ويتمتع به الانيس ويذل له العزيز ويخضع له المتجبر ويبرز له كل محتجب وينقاد له كل ممتنع وهو امير مطاع وقائد متبع وليس بأديب عندهم

من خرج من حد الهوي * وقد قال الاحوص بن محمـد الانصاري

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ماالهوي فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا
هـل العيش الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنان وفنـدا

واجتاز رجل بمجنون بني عامر وهو يخوض سور الحوض فقال له مابك يافتي ولم يعرفه فانشأ يقول

بي اليأس أوداء الهيام أصابني فاياك عني لا يكن بك مابيا

قال أبو الطيب الهيام داء يأخذ الابل وتشرب الماء ولا تروى ويقال للابل التي يصيبها ذلك الهيم قال الله جل ثناؤه (فشاربون شرب الهيم) فعرفه فقال أعاشق أنت قال نعم وأنشأ يقول

اذ أنت لم تعشق فتصبح هائماً ولم تك معشوقا فأنت حمار
وقال الحب أول ما يكون لجاجة تأتي به وتسوقه الاقدار

وروينا عن المزنادى عن هشام عن ابن سيرين قال كانوا لايرون بالعشق بأساً في غير ريبة * وقيل لبعض البصريين ان ابنك قد عشق فقال ومابأس به انه اذا عشق نظف وظرف ولطف * وقيل لبعض العرب متي يكون الفتي بليغاً قال اذا وصف هوي حياً وأنشدني بعض الادباء

وما الناس الا العاشقون ذووا الهوي وما خير فيمن لايحب ويعشق

وقال آخر

وما تلفت الا من العشق مهجتي وهل طاب عيش لامرئ غير عاشق

وقال آخر

وما خير في الدنيا اذا أنت لم تزر حبيباً ولم يطرب اليك حبيب

وقال آخر

وما سرني اني خلي من الهوي ولاان لي مابين شرق الي غرب

واعلم ان أول علامات الهوي على ذى الادب نحول الجسم وطول

السقم واصفرار اللون وقلة النوم وخشوع * النظر وادمان الفكر وسرعة الدموع واظهار الخشوع * وكثرة الانين * واعلان الحنين * وانسكاب العبرات * وتتابع الزفرات * ولن يخفى المحب وان تستر ولا يكتم هواه وان تصبر ولن يخفى ادعاء انه قد قارن العشق والهوى لان علامات الهوى نائرة وآيات الادعاء ظاهرة * وقد قال الاحوص الانصاري

ماعالج الناس مثل الحب من سقم ولا برى مثله عظماً ولا جسدا
ما يلبث الحب أن تبدو شواهده من المحب وان لم يبده أبدا

وقال آخر

ما يعرف الحزن الا كل من عشقا وليس من قال اني عاشق صدقا
للعاشقين نحول يعرفون به من طول ماحالفوا الاحزان والارقا

وحدثت عن الزبير بن بكار قال رأيت رجلا بناحية الثغر عليه أثر ذلة وخضوع واستكانة وخشوع كان يكثر التنفس ويخفي السكوت ويبدي الانين وحركات المحب لا تخفي في شمائله ولا يسترها بتصاونه فسألته في بعض أيامه وقد خلوت به عن حاله فكان جوابه وقد تحدرت الدموع من عينيه

انا في أمري رشاد بين غزو وجهاد
بدني يغزو عدوي والهوى يغزو فؤادي

وركبت سكينة ابنة الحسين بن علي ذات ليلة في جواريها فمررت بعروة ابن أذينة الليثي وهو في فناء قصر ابن عيينة فقالت لجواريها من الشيخ فقالوا عروة فعدلت اليه فقالت يا أبا عامر أنت تزعم أنك لم تعشق قط وأنت تقول

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها غطي هواك وما ألقى علي بصري

كل من ترى حولي من جوار احرار ان كان يخرج هذا الكلام من قلب سليم قط * فهذان قد كتما هواهما فنمت شواهد نجواهما لان من اغتمس فى بحر الهوى نمت عليه شواهد الضنى * فأما أهل الدعاوي الباطلة الذين ليست أجسامهم بناحلة ولا ألوانهم بحائلة ولا عقولهم بذاهله فهم عند ذوى الفراسة يكذبون وعند ذوى الظرف لصحتهم يوبخون * وقد روى أن العباس بن الاحنف قال بينا أنا بالطواف اذا بثلاث جوار أتراب فلما أبصرنني قلن هـذا العباس ودنت الى احـداهن فقالت يا عباس أنت القائل

ماذا لقيت من الهوي وعذابه   طلعت علي بلية من بابه

قلت نعم قالت كذبت يا ابن الفاعلة لو كنت كذاك كنت كأنا ثم كشفت عن أشاجع معرأة من اللحم وأنشأت تقول

ولما شكوت الحب قالت كذبتني   فمالي أري الاعضاء منك كواسيا

فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا   وتخرس حتي لا تجيب المناديا

ودخل ابراهيم بن المهدي علي أمير المؤمنين وكان ابراهيم انجل البطن كثير اللحم والشحم فقال له المأمون بالله يا عم عشقت قط قال نعم يا أمير المؤمنين وأنا الساعة عاشق قال وأنت على هذه الجثة والشحم الكثير ثم أنشأ المأمون يقول

وجه الذي يعشق معروف   لانه أصفر منحوف

ليس كمن أمسي له جثه   كأنه للذبح معلوف

فاجابه ابراهيم بن المهدى

وقائـل لست بالمحب ولو   كنت محباً لذبت من زمن

فقلت قلبي مكاتم بدني   حبي فالحب فيه مختزن

أحب قلبي وما دري بدني   ولو درى ما أقام فى السمن

هذان أيضاً قد ادعيا المحبة ففضحهما شاهد النظر ولم يجز ادعاؤهما على ذى المعرفة والبصر * وقول ابراهيم أحب قلبي وما دري بدنى محال لا يعلق القلب فيسلم الجسم ولكنه لاستحيائه قد احتج بحجة ضعيفة * وأنشدنى بعض المشيخة في مثل ذلك

وقائلة ما بال جسمك سالما وعهدي باجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبي لجسمي لم يبح بحبي فجسمى بالهوى ليس يعلم

فالعرب تمدح بالضمر وتذم بالسمن وتنسب أهل النحول الى الادب والمعرفة وأهل السمن الى الفدامة وقلة الفهم وللفلاسفة والاطباء فى ذلك قول يثبت ماادعت العرب وزعموا ان من غاب عليه البلغم عظم جسمه وكثر شحمه ولحمه وقل فهمه وطال ثباته وانعقد لسانه لغلبة البلغم على قلبه واحتواء الرطوبة على لبه ومن كان أغلب مزاجاته المرة خف جسمه وقل لحمه وزاب شحمه وحسن زهنه وصح فهمه لان النحول علامة المتفرسين ودلالة المتوسمين لا يكاد أن تخطئ فيه الفراسة ولا تكذب فيه السيافة لما أخبرتك من غلبة أحد المزاجين على صاحبه وابتناء قراره فى مركبه وربما أعجب السمن وخاب الهزال ولا يكون ذلك الا في الفرد الشاذ من الرجال * ومن أمثال العرب فى ذلك البطنة تذهب الفطنة * وروي ان جميل بن معمر العذري صحبه رجل من عذرة وكان بطينا أكولا فجعل يشكو اليه هوى ابنة عم له فأنشأ جميل يقول

وقد رابني من جعفر أن جعفرا ملح علي قرص ويشكو هوى جمل
فلو كنت عذري الهوى لم تكن كذا بطيناً وأنساك الهوي كثرة الاكل

ومن عشق عندهم فلم يحل جسمه ولم يطل سقمه ويتبين الخشوع فى حركته والذل فى نغمته نسبوه الى فساد الطبع ونقصان اللب وبعد وبعد الفهم وموت القلب ومن أدعى المحبة فلم يحل ولم يسهر ولم يذل

ولم يخضع نفسه على الامور المتعبة والشدائد الفظيعة ويركب فيها المراكب الوعرة ويتقدم على الاشياء المهولة والاهوال المخوفة التي يلاقى فيها الموت ويعاين فيها الفوت ويباشر فيها الهلكة ويغرر فيها بالمهجة ويصبر منها على حتفه ويخاطر بنفسه ويرد الموارد التى يلاقى فيها الموت ويشرف منها علي مهول الامر الذي فيه تلفه وحينه وحتي يعصي فى هواه الاقارب ويعالج فيه العجائب فيكون كما قال العرجي

كم قد عصيت اليك من متنصح · داني القرابة أو وعيد أعادي
وتنوفة أرمي بنفسى عرضها · شوقا اليك بلا هداية هادي

وكما قال سويد بن أبى كاهل

كم جشمنا دون سلمي مهمهاً · نازح الغور اذا الآل لمع
وكذاك الشوق ما أشجمه · يركب الهول ويعصي من وزع

فليس بعاشق عندهم ولا يثبت له اسم الهوي ولا يلحق بالظرفاء ولا يعد في الادباء لان الهوى عندهم فى النحول والذهول والضنى والعناء والارق والقلق والسهر والفكر والذل والخضوع والانكسار والخشوع وادمان البكاء وقلة العزاء وكثرة الانين وطول الحنين وليس بعاشق من خرج عن هذه الصفات وانتقل من هذه الحالات أو وسم بغير هذه العلامات وعرف بغير هذه الدلالات * أنشدني بعض الادباء

علامة من كان الهوي في فؤاده · اذا مالقى أحبابه يتحيرا
ويصفر لون الوجه بعد احمراره · فان حركوه للكلام تشورا

أنشدني أبو الحسن بن الرومي

أري ماء وبى عطش شديد · ولكن لاسبيل الى الورود
أما يكفيك أنك تملكيني · وأن الخلق كلهم عبيدي
وانك لو قطعت يدى ورجلى · لقلت من الهوي أحسنت زيدي

وحدثت عن ابن مخارق عن أبيه قال كنا عند المأمون يوماً فقام فدخل الى حرمه وخرج وعيناه تذرفان فقال لي يامخارق تغن لي بهذين البيتين

سلام على من لم يطق عند بينه   سلاماً فاومى بالبنان المخضب
فما استطعت الا بالبكاء جوابه   وذلك جهد المستهام المعذب

فحفظتهما وتغنيت بهما فجعل يبكي وينتحب في بكائه ويزفر ثم قال لنا أتدرون ماقصتي قلت أمير المؤمنين اعلم وان شاء أعلمنا قال انى دخلت الى بعض المقاصير فرأيت جارية لى كنت أجد بها وجداً شديداً وهى للموت فسلمت عليها فلم تطق رد السلام فاشارت بأصبعها فغلبتنى العبرة وأرهقتنى الزفرة فخرجت من عندها فحضرتنى هذان البيتان من باب قصرها الى باب مجلسى ثم أمر برفع الشراب فما رأيت يوماً أكدر منه وأنشدت للمعتصم فى بعض جواريه

أيا منقذ الغرقى أجرني من التي   بها نلت روحي سقاماً وعلت
لقد بخلت حتى لو أنى سألتها   قذى العين من سافى التراب لضنت

وأنشدت للمتوكل في جارية له

أمازعها فتغضب ثم ترضي   وكل فعالها حسن جميل
فان تغضب فاحسن ذات ذل   وان ترضي فليس لها عديل

حدثني أبو العباس بن الفضل الربعي قال حدثني على بن الجهم قال حم المتوكل يوما وكان ذلك بعقب شر وقع بينه وبين قبيحة فرماها بمخدة فغضبت واحتجبت فحم بعقب ذلك ودخلنا عليه واذا الفتح قائم في يده قارورة فيها الماء ويحي بن ماسويه ينظر اليها فقال ليس أري الاماأحب فقلت ياأمير المؤمنين أنشدك أبياتاً فقال لى أنشد فانشدته

* تنكر حال علتي الطبيب   فقال أرى بجسمك مايريب
جسست العرق منك فدل عندي   على داء له شأن عجيب *

فما هذا الذي بك هات قلي　　فكان جوابه مني التحيب
فجسمي بالحبيب بلى سقاماً　　وقلبي ياطبيب هو الكئيب
فحرك رأسه ودنا الى *　　وقال الحب ليس له طبيب
فاعجبني تظرفه على　　فقلت بلى اذا رضي الحبيب
فقال هو الشفاء فلا توان　　فقلت أجل ولكن لا تجيب
ألا هل مسعد يبكي لشجوي　　فاني ها هنا أبداً غريب

فضحك ودعا بالشراب وشرب وشربنا معه ووجه الى قبيحة فوقع الصلح بينهما وخرجت عندها رقعة بخط فضل الشاعرة

لأصبرن على مابى من المضض　　حتي أموت ولايشعر بي الناس
ولا يقال شكا من كان يعشقه　　ان الشكاة لمن يهوى هو الياس
ولا أبوح بسر كنت أكتمه　　عند الجليس اذا مادارت الكاس

وأما من عشق من الشعراء فما يحصرهم عدد ولا يحصيهم أحد * وقد عشق أكثر العرب بل كلهم قد عشق فمن المذكورين منهم المشهرين بالصبوة والغزل فقيس مجنون بنى عامر عاشق ليلى وقيس بن ذريح عشق لبني وتوبة بن الحمير عشق ليلى الاخيلية وكثير عشق عزة وجميل بن معمر عشق بثينة والمؤمل عشق الذلفاء ومرقش عشق أسماء ومرقش الاصغر عشق فاطمة بنت المنذر وعروة بن حزام عشق عفراء وعمرو ابن عجلان عشق هند وعلى بن أديم عشق منهلة والمهذب عشق لذة وذو الرمة عشق مية وقابوس عشق منية والمخبل السعدي عشق الميلاء وحاتم طيء عشق ماوية ووضاح اليمن عشق أم البنين والغمر بن ضرار عشق جمل والنمر بن تواب عشق حمزة وبدر عشق نعم وشبيل عشق فالون وبشر عشق هند وعمرو عشق دعد وعمرو بن ابي ربيعة عشق الثريا والاحوص عشق سلامة وأسعد بن عمرو عشق ليلى بنت صيفي

واصيب عشق زينب وسحيم عبد بني الحسحاس عشق عميرة وعبد الله ابن قيس عشق كثيرة وأبو العتاهية عشق عتبة والعباس بن الاحنف عشق فوز وأبو الشيص عشق أمامة فهؤلاء قليل من كثير ممن عشق وإنما اقتصرنا على ذكر بعضهم دون بعض ليقل به الخطاب ويحسن به الكتاب ولكل واحد منهم سبب في حبه وحديث في عشقه يطول شرحه ويكثر وصفه ونحن مفردون لاهل العشق كتابا نذكر فيه أخبار المتيمين وملح المتعشقين وأشعار المتغزلين مع جملة من صفات الهوى في كتاب المقتفى ان شاء الله تعالى * وقد شهر أيضاً بالصبوة والغزل جماعة من شعراء العرب منهم أبو كثير الهذلى وأبو صخر الهذلي وأبو دهبل الجمحي وريسان العذري والصمة بن عبد الله القشيري وابن أذينة وابن الدمينة وابن الطثرية وابن ميادة والحسين بن مطير الى آخرين لايحصيهم العدد ولا يبلغهم الامد وقد ضرب في عروة بعشقه المثل لانه كان أطولهم صبوة وأكثرهم فى العشق كثرة * أنشدني أحمد بن يحي لابى وجزة السعدي

وفى عروة العذرى ان مت أسوة ... وعمرو بن عجلان الذى قتلت هند
وبي مثل ماماتا به غير أنني ... الى أجل لم يأتني وقته بعد
هل الحب الا عبرة بعد زفرة ... وحر على الاحشاء ليس له برد
وفيض دموع العين بالليل كلما ... بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

وقال كثير

وأصبحت مما أحدث الدهر خاشعاً ... وكنت لريب الدهر لا أتخشع
وعروة لم يلق الذى قد لقيته ... بعفراء والنهدي ما أتفجع

وقال جرير

هل أنت شاقية قلباً يهيم بكم ... لم يلق عروة من عفراء ما وجدا

وقال أيضاً

بالعنبرية والنحيت أوانس قدن الهوى بمخلب وعذام
هلا نهيتك اذقتلن مرقشا أما صنعن بعروة بن حذام

وقال الاحوص الانصارى

لاشك ان الذي بي سوف يقتلني ان كان أهلك حب قبله أحدا
أحببتها فوثقت الناس كلهم يارب لا تشفني من حبها أبدا
لو قاس عروة والنهدي وجدهما لكان وجدى بسعدي فوق ماوجدا

وقال أيضاً

اذا جئت قالوا قد أتي وتهامسوا كان لم يجد فيما مضى أحد وجدى
فعروة سن الحب قبلي ان شقى بعفراء والنهدى مات على هند

وقال جميل بن معمر

وما وجدت وجدي بها أم واحد ولا وجد النهدى وجدى على هند
ولا وجد العذرى عروة اذ قضى كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدي
على ان من قد مات صادف راحة وما لفؤادى من رواح ولا رشد

وقال مروان بن أبى حفصة

أردين عروة والمرقش قبله وأخا بني نهد تركن قتيلا
ولقد تركن أبى ذؤيب هائما ولقد قتلن كثيراً وجميلا
وتركن لابن أبى ربيعة منطقا فيهن أصبح سائراً محمولا

وأنشدني عمرو بن قنان لنفسه

ان الاولى ماتوا على دين الهوي وجدوا المنية منهلا معسولا
قيس وعمرو والمرقش قبلهم كانوا لتنزيل الهوى تأويلا
ندبوا الطلول لاهلها لا انهم عشقوا مغانى أربع وطلولا

ولبعض المتأدبين

ياعذولي قد هويت فكفا ... انني بالهوي المميت رضيت
مات قيس وعروة وجميل ... وأراني بموتهم سأموت

وقال جميل بن معمر

قد مات قبلي أخو نهد وصاحبه ... مرقش واشتفى من عروة الكمد
وكلهم كان في عشق منيته ... وقدوجدت بها فوق الذي وجدوا
ان لم تنلني بمعروف تجود به ... أو يدفع الله عنى الواحد الصمد

وقد أحسنت والله امرأة من خثعم اذ تقول

فاقسم أني قدوجدت بجحوش ... كما وجدت عفراء بابن حزام
فما أنا الا مثلها غير انني ... معلقة نفسي ليوم حمام

وأحسن الذي يقول

عجبت لعروة العذرى أضحي ... أحاديثا لقوم بعد قوم
وعروة مات موتا مستريحا ... وكيف يميت فى كل يوم

وبلغنا ان منهم من عشق صورة فى حمام وخيالا في منام وكفا في حائط ومثالا في ثوب والعشق ألوان و نواع وضروب وفنون وأمره عجيب * وقال بعض الشعراء

أبيت كاني للكوا كب عاشق ... فا كثر همي ان تزول الكوا كب
عجبت لما يلتقى من العشق أهله ... وفيما يلاقى العاشقون عجائب

وبلغ العشق من عروة بن حزام ان أفرده ببلائه وعذبه بدائه وآنسه بانفراده وشرد عن بلاده * وحكى عن ابن أبي هتيف قال بينا أنا أسير في أرض بنى عذرة اذا أنا ببيت حرير فدنوت منه فاذا عجوز تمرض شابا وقد نهكته العلة وبانت عليه الذلة فسألتها عن خبره فقالت هذا عروة بن حزم فدنوت منه فسمعته يقول

من كان من أمهاتي باكيا لغد ... فاليوم أني أراني اليوم مقبوضا

تسميه فاني غير سامعه ... اذا علوت رقاب القوم معروضا

فقلت أنت عروة بن حزام قال نعم انا الذى أقول

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف نجدان هما شفياني

فقالا نعم تشفى من الداء كله ... وقاما مع العواد يبتدران

فما تركا من سلوة يعلمانها ... ولا شربة الا بها سقياني

فقالا شفاك الله والله مالنا ... بما حملت منك الضلوع يدان

فلهفي على عفراء لهفا كانه ... على النحر والاحشاء حد سنان

فعفراء أحظي الناس عندي مودة ... وعفراء عني المعرض المتواني

ثم خفق خفقة فتوهمت انها غشية فتنحيت عنه ودنت العجوز منه فما برحت حتى سمعت الصيحة فاذا هو قد فارق الدنيا * وبلغ العشق أيضا من مجنون بني عامر ان أخرجه الى الوسواس والهيمان وذهاب العقل وكثرة الهذيان وهبوط الاودية وصعود الجبال والوطء على العوسج وحرارة الرمال وتمزيق الثياب واللعب بالتراب والرمى بالاحجار والتفرد بالصحارى والاستيحاش من الناس والاستئناس بالوحش حتى كان لا يعقل عقلا فاذا ذكرت ليلى ثاب اليه عقله وأفاق من غشيته وتجلت عنه غمرته وحدثهم عنها أصح الرجال عقلا وأخلصهم ذهنا لا ينكرون من حديثه شيأ فاذا قطع ذكرها رجع الى وسواسه وهذيانه وتماديه في ذهاب عقله * وقد حكى عنه فى اول ابتداء وسواسه انه قيل لابيه لو أخرجت قيسا أيام الموسم وأمرته بان يتعلق باستار الكعبة ويقول اللهم أرحني من حب ليلى لعل الله كان يريحه من ذلك ففعل فلما طاف بالبيت أمره فتعلق باستار الكعبة وقال قل اللهم أرحنى من حب ليلي فقال اللهم زدني لليلى حبا الى حبها وأرني وجهها في خير وعافيه فضربه أبوه فأنشأ يقول

ذكرتك والحجيج له ضجيج بمكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن في بلد حرام به لله أخلصت القلوب
أتوب اليك يارحمن مما عملت فقد تظاهرت الذنوب
وأما من هوي ليلي وتركي زيارتها فاني لا أتوب
وكيف وعندها قلبي رهين أتوب اليك منها أو أنيب

وقال أيضا

دعا المحرمون الله يستغفرونه بمكة شعثا كي تمحي ذنوبها
وقلت لرب الناس أول سألتي لنفسي ليلى ثم أنت حسيبها
فان أعط ليلى في حياتي لايتب الى الله عبد توبة لا أتوبها

وقال أيضا

فلو أن ما بي بالحصى فلق الحصى وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو انني أستغفر الله كلما ذكرتك لم يكتب على ذنوب

وبات في بعض ليالى حجه تحت شجرة فانتبه بنوح حمامة فانشأ يقول

لقد هتفت فى جنح ليل حمامة على فنن تدعو واني لنائم
فقلت اعتذار اعندذاك وانني لقلبي فيما قد رأيت اللائم
أأزعم أني عاشق ذو صبابة بليلى ولا أبكى ويبكى الحمائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتني بالبكاء الحمائم

وسمع هاتفاً من الليل وهو ينادي ياليلى نخر مغشياً عليه ثم أفاق وهو يقول

وداع دعا اذ نحن بالخيف من مني فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلى أسخن الله عينه وليلى بأرض عنه نازحة قفر
عرضت على قلبي العزاء فقال لى من الآن فاجزع لا أعزك من صبر
اذا بان من تهوى واسلمك النوى ففرقة من تهوى أحر من الجمر

وقال أيضاً

فلبيك من داع دعا ولو انه   صدى بين أحجار لظال يجيبها

وقد أحسن اذ حكم على صدى في رمسه باجابة لدعوتها والمبادرة الى تلبيتها وهكذا فلتكن غلبة العشق وصدق الهوي ومثل ذلك قوله أيضاً

لمست ثيابي ان قدرت ثيابها   ولم ينهى عن مسهن حرامها
ولو شهدتني حين تحضر ميتتي   جلا سكرات الموت عنى كلامها

ومثل ذلك قول الآخر

ولو كلمتنا بين زمزم والصفا   وبين حطيم البيت أصغي كلامها
ولو مكثت بعد التطوع ساعة   بمكة ولاها الصلاة أمامها
ولو نطقت والموت يجرى ظلامه   لجلي ظلام الموت عنى ابتسامها

ومثله قول جميل بن معمر

حلفت يميناً يابثينة صادقا   فان كنت فيها كاذبا لعميت
حلفت لها بالبدن تدمي نحورها   لقد شقيت نفسي بكم وعنيت
فلو أن جلدا غير جلدك مسني   وباشرنى دون الشعار شريت
ولو أن داع منك يدعو جنازتي   وكنت على أيدى الرجال حييت

ومثله قول الاعشي

عهدي بها في الحي قد سربلت   صفراء مثل المهرة الضامر
لو أسندت ميتاً الى نحرها   عاش ولم ينقل الى قابر
حتي يقول الناس مما رأوا   يا عجبا للميت الناشر
قد حجم الثدى على نحرها   في مشرق ذي بهجة زاهر

ومثله قول المجنون أيضاً

ولو كنت أعمي أخبط الارض بالعصا   أصم فنادتني أجبت المناديا
واشهد عند الله أني أحبها   فهذا لها عندى فما عندها ليا

قال وسرق هذا المعنى جميل بن عبد الله بن معمر فقال

الا ليتني أعمى أصم تقودنى بثينة لايخفى على كلامها

فهؤلاء قد زعموا ان كلام النساء يجلو العمى ويسمع الصم ويحيي الميت ويدفع الموات وينشر القبور من قبـل أوان النشور * وقد قال بعض الاعراب ان من كلام النساء مايقوم مقام المـاء فيروي من الظماء * وقال آخر حلاوة نغم النساء في الآذان ألذ من موقع الماء العذب من العطشان * وقال القطامي في مثل ذلك

وفي الخدور غمامات برقن لنا حتي تصيدننا من كل مصطاد

قتلننا بحـديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكروهه بادي

وهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

وعمر بن أبي ربيعة يقول في سكينة ابنة الحسين بن على رضي الله عنهما

اسكين ماماء الفرات وبرده منى على ظمأ وحب شراب

بأحب منك وان نأيت وقل ما ترعي النساء امانة الغياب

ولبعض المتأدبين في مثله

والله ماشربة من ماء غادية اذا ظمئت وكرب الموت يغشاني

ألذ من شربة من فيك اسمعها تلك الشفاء لقلب الهائم العاني

وروى ان عمر بن أبي ربيعة قال اتتني امرأتان في أيام غزلي فجعلت احداها تسر الى سراً والاخري تعضنى فما شعرت بعضة هذه من لذة سرار هـذه * ودخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال يا كثير حدثني ببعض أخبار جميل فقال نعم ياأمير المؤمنين لقيت جميلا ذات يوم فقال هل لك في المسير معى نحو بثينة قلت نعم فسايرته حتى دنا من موضعها فقال تصير اليها فتعلمها بمكانى فمضيت فاعلمتها فاقبلت فى نسوة من الحي فلما رأينه انصرفن عنها وتنحيت عنهما فلم يزالا من أول الليل

الى ان رهقهما الصبح قائمين في اقدامهما فلما عزما على الافتراق قالت ادن مني ياجميل فدنا منها فاسرت اليه سراً فخر مغشياً عليه فما أيقظه الا حر الشمس فافاق وأنشأ يقول

فما ماء مزن من جبال منيفة ولاما أ كنت في معادنها النحل
باشهى من القول الذي قلت بعد ما تمكن في حيزوم ناقتي الرحل

وقال جرير أيضاً

ولقد رمينك يوم رحن باعين يقتلن من خلل الستور سواجي
وبمنطق شغف الفؤاد كانه عسل يجدن به بغير مزاج

وقال الفرزدق

اذا هن ساقطن الحديث كانه جنى النحل او ابكار كرم تقطف
تراهن من فرط الحياء كأنها مراض سلال أو هوي لك نزف

وليس يمكن ان يكون ذلك عندهم كذلك * وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه شتى بأحاديث صحت عن الثقات ونقلت عن الرواة ان حبك للشيء يعمي ويصم * وليس بعجب ماقاله المجنون واشباهه من غلبة العشق عليهم وقد قال غيره أعظم مما قاله واقطع وأجل ولقد رأينا وسمعنا وخبرنا أن منهم من قتل نفسه غرقا وذبحا وخنقاً كل ذلك أسفاً وحسرة وتلهفاً * فمن ذلك ما حكى عن شيخ حضر مجلس العتبي فأخبرهم انه حضر مجلساً فيه قينة وفتى وكان الفتى يهوى القينة وكانت القينة تهوى ابنة الشيخ وابنة الشيخ تهوي الفتى فغنت القينة

علامة ذل الهوى على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكى

فقال لها الفتى احسنت والله ياستي أتأذنين لى أن أموت قالت مت راشداً فوضع رأسه على الوسادة وغمض عينيه فحركناه فوجدناه ميتاً

قال الشيخ فخرجنا متعجبين من ذلك وصرت الى منزلي فاعلمتهم ما كان من قصة الفتي ونظرت الى ابنتي وقد حاضرت فدخلت مجلساً لي فدخلت وراءها فاذا هي متوسدة على مثال ما كان عليه الفتي فحركتها فاذا هي ميتة فغدونا بجنازتها وغدوا بجنازة الفتى فاذا بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هي جنازة القينة وبلغها موت ابنتى فصنعت مثل ذلك فماتت فدفنا ثلاثة بموت واحد فى موضع واحد وهذا من عجيب ماسمع به في هذا الامر * ومن ذلك ما أخبرني أبو العيناء قال حدثني عمرو بن بحر الجاحظ قال ذكرت لامير المؤمنين المتوكل لتأديب ولده فلما نظر الى استبشع منظري وأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفني فخرجت فلقيت محمد ابن ابراهيم وهو يريد الانحدار الى مدينة السلام فعرض علي الانحدار معه وقربت حراقته ودعا بطعامه وشرابه ونصب ستارته وأمر بالغناء فاندفعت عوادة له تتغني

كل يوم قطيعة وعتاب ينقضى دهرنا ونحن غضاب

ليت شعرى اناخصصت بهذا دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

ثم سكتت وأمر طنبورية فغنت

وارحمتى للعاشـقينا ما ان أرى لهم معينـا

كم يهجرون ويظلمو ن ويقطعون فيصبرونا

وتراهم ممـا بهم بين البرية خاشعينا

يتجلدون ويظهرو ن تجـلداً للشامتينا

قالت له العوادة فيصنعون ماذا قالت يصنعون هكذا وضربت بيدها على الستارة فهتكتها وبرزت كانها فلقة قمر فزجت بنفسها الى الماء قال وعلى رأس محمد غلام يضاهيها فى الجمال وبيده مدية فلما رآها وما صنعت القاها من يده وأتى الى حيث رمت بنفسها فنظر اليها وهي تمور

بين الماء فأنشأ يقول

أنت التي غرقتني بعدالقضالو تعلمينا

وزج نفسه في أثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقين ثم غاصا
ولم يريا فهال ذلك محمدا واستفظعه وقال للجاحظ ياعمرو لتحدثني
بحديث يسكن عني فعل هذين والا ألحقتك بهما قال الجاحظ فحضرني
خبر سليمان بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص
فمرت به قصة فيها ان رأى امير المؤمنين اطال الله بقاءه ان يخرج الى فلانة
يعني جارية من جواريه حتى تغنيني ثلاثة اصوات فعل فاغتاظ من ذلك
سليمان وامر من يخرج اليه فيأتيه برأسه ثم اتبع الرسول برسول آخر
فامر ان يدخل الرجل اليه فادخل فلما مثل الرجل بين يديه قال له
ما الذى حملك على ماصنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فامره
بالقعود حتى لم يبق احد من بني امية ثم امر فأخرجت الجارية ومعها
عودها ثم قال له اختر قال له قل لها تغني بقول قيس بن الملوح

تعلق روحي روحها قبل خلقها ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فعاش كما عشنا فأصبح نامياً وليس وان متنا بمنفصم العهد
ولكنه باق على كل حالة وسائرنا في ظلمة القبر واللحد
يكاد فضيض الماء يخدش جلدها اذا اغتسلت بالماء من رقة الجلد
واني لمشتاق الى ريح جيبها كما اشتاق ادريس الى جنة الخلد

فغنته فقال سليمان قل قال تأمر لي برطل فأمر له برطل فشربه
ثم قال تغنى بقول جميل

علقت الهوى منها وليدافلم تزل الى اليوم ينمى حبها ويزيد
وأفنيت عمري بانتظاري نوالها وأبلت بذاك الدهروهو جديد
فلا أنا مردود بما جئت طالبا ولا حبها فيما يبيد يبيد

اذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي من الحب قالت ثابت ويزيد

ثم قال تغني بقول قيس بن ذريح

لقد كنت حسب النفس لو دام ودها ولكنما الدنيا متاع غرور

وكنا جميعا قبل أن يظهر النوي بأحسن حالى غبطة وسرور

فما برح الواشون حتى بدت لنا بطون الهوى مقلوبة لظهور

فتغنت فقال له قل قال تأمر لى برطل فما استتمه حتي وثب الى أعلى قبة سليمان ثم زج بنفسه على دماغه فمات فقال سليمان إنا لله وإنا اليه راجعون أتراه الجاهل ظن انى أخرج اليه جاريتي فاردها الى ملكي خذوا بيدها فانطلقوا بها الى أهله انكان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بها عنه فلما انطلقوا بها نظرت الى حفرة فى دار سليمان قد أعدت للمطر فجذبت نفسها وأنشأت تقول

من مات عشقا فليمت هكذا لا خير في العشق بلا موت

وزجت بنفسها في الحفرة على دماغها فماتت فسرى عن محمد وأحسن صلة الجاحظ

﴿ باب من مات من شدة الفقد ﴾

(وتضعضعت أعضاؤه من شدة الوجد)

حكى لنا عن اسحاق بن ابراهيم عن الهثم بن عدي عن هشام ابن حسان قال حدثنا رجل من بني تميم قال خرجت في طلب ناقة لى فوردت على ماء من مياه طيء فاذا بعسكرين أحدهما قريب من الآخر واذا في أحد العسكرين شاب مدنف قد نهكته العلة فهو كالشن البالى فدنوت لاعرف خبره فسمعته وهو يقول

الا ما للمليحة لاتعود أسخط بالمليحة أم صدود

مرضت فعادني أهلي جميعا ... فما لك لا ترى فيمن يعود
فقدتك بينهم فتلفت شوقا ... وفقد الالف ياسكني شديد
فلوكنت المريض لجئت أسعي ... اليك ولم ينهني التعود

قال فسمعت كلامه فبادرت نحوه وبدرتها النساء فتعكفن بها فاحسن بها فوثب مبادراً نحوها فحبسه الرجال فجعلت تجذب نفسها من النساء ويجذب نفسه من الرجال حتى التقيا فاعتنقا وبكيا ثم شهقا فخرا ميتين فخرج شيخ من بعض الاخبية فوقف عليهما فاسترجع ثم قال رحمكماالله أما والله لقد كنت لم أجمع بينكما فى حياتكما لاجمعن بينكما بعد موتكما فامر بهما فكفننا فى كفن واحد ودفنا في قبر واحد فسألت عنهما فقال هذه بنتي وهذا ابن أخي بلغ بهما الحب ما ترى * ومن ذلك أيضا ماحكى عن اسحاق الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة في عدة من الظرفاء وجماعة من القيان ومعنا فتى كاهيأ من رأيت من رأيت من الفتيان وعليه أثر ذلة الهوى يديم الانين والبكاء فتغنت احداهن

إني لا بغض كل مصطبر ... عن إلفه في الوصل والهجر
الصبر يحسن فى مواطنه ... ما للفتي المحزون والصبر

فنظر اليها الفتى وتبادرت عبراته ثم وثب على قدميه ووضع يده على رأسه وقال

غدا يكثر الباكون منا ومنكم ... وتزداد داري من دياركم بعدا

ثم رمي بنفسه فسقط مجندلا من قامته فوثبنا اليه فحملناه ميتا *
ومن ذلك ماحكى عن جميل بن معمر العذرى انه دخل على عبد الملك ابن مروان فقال له يا جميل حدثني ببعض أحاديث عذرة فانه يبلغني انهم أصحاب أدب وغزل قال نعم يا أميرالمؤمنين أن آل بثينة انتجعوا الحي وقطعوا بلدا آخر فخرجت أريدهم فغلطت الطريق وجنني الليل ولاحت

لى نار فقصدتها حتى دنت ووردت على راع في اصل جبل قد الجأ غنمه الى كهف في الجبل فسلمت فرد على السلام وقال احسبك قد ضللت الطريق قلت قد كان ذاك فأرشدنيه قال بل انزل حتى تريح ظهرك وتبيت ليلتك فاذا اصبحت وقفتك على الطريق فنزلت فترحب بي وا كرمني وعمد الى شاة فذبحها وأجج ناراً وجعل يشوي ويلقى بين يدي ويحدثنى فى خلال ذلك ثم قام بازار كان معه فقطع به جانب الخباء ومهد لى جانباً وترك جانباً خالياً فلما كان في الليل سمعته يبكي ويشكوا الى شخص كان معه فأرقت له ليلتى فلما اصبحت طلبت الاذن فابى وقال الضيافة ثلاث فاقمت عنده وسألته عن اسمه ونسبته وحاله فانتسب لى فاذا هومن بنى عذرة واشرافهم فقلت يا هذا وما الذى احلك هذا الموضع فاخبرنى انه يهوي ابنة عم له وتهواه وانه خطبها الى ابيها فابي انيزوجها منه لقلة ذات يده وانه زوجها رجلا من بنى كلاب فخرج بها عن الحى فاسكنها فى موضعه ذلك وانه تنكر ورضى ان يكون راعياً له لتأتيه ابنة عمه فتراه ويراها وجعل يشكو الي صبابته بها وشدة عشقه لها حتى اذا جننا الليل وحان وقت مجيئها جعل يتقلقل ويقوم ويقعد كالمتوقع لها فابطأت عن الوقت وغلبه الشوق فوثب قائماً وانشأ يقول

ما بال مية لا تأتى لعادتها … اهاجها طرب ام صدها شغل
لكن قلبي لا يلهيه غيرهم … حتي الممات ولا لي غيرهم امل
لو تعلمين الذي بى من فراقكم … لما اعتذرت ولا طالت لك العلل
روحى فداؤك قدهيجت لىسقما … تكاد من حره الاعضاء تنفصل
لو أن غادية منه على جبل … لزال وانهد عن أركانه الجبل

ثم قال يا أخا بني عذرة مكانك حتي أعود اليك فاني أتوهم أن مرا عرض لابنة عمي ثم مضى فغاب عن بصرى فلم يلبث أن أقبل

على يديه شيء محمول وقد علا شهيقه ونحيبه فقال يا أخا بني عذرة هذه بنت عمي أرادت أن تأتيني فاعترضها السبع فأكلها ثم وضعها عن يده وقال علي وسلك حتى أعود اليك ومضي فابطأ حتى أيستمن رجوعه ثم أقبل ورأس الاسد على يده فوضعه وجعل ينكت على اسنانه وهو يقول

الا أيها الليث المدل بنفسه   هبلت لقد جرت يداك لنا حزنا
وغادرتني فرداً وقد كنت آنسا   وصيرت بطن الارض ثم لنا سجنا

ثم قال يا أخا بني عذرة انك ستراني بين يديك ميتا فاذا أنا مت فاعمد الي والى بنت عمي فادرجنا في كفن واحد واحفر لنا جدثا واحدا وادفنا فيه واكتب على قبري هذين البيتين

كنا على ظهرها والعيش فى مهل   والعيش يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتشتيت ألفتنا   فاليوم يجمعنا فى بطنها الكفن

ورد الغنم على صاحبها واعلمه بقصتنا ثم عمد الى خناق فطرحه فى عنقه فناشدته الله أن لا يفعل فابى وجعل يخنق نفسه حتى سقط بين يدى ميتا فلما أصبحت كفنته وابنة عمه كما أمرني ودفنتهما في قبر واحد وكتبت البيتين على قبرهما ورددت الغنم على زوجها وأعلمته بقصته فجعل يأكل كفيه أسفا أن لا يكون جمع بينهما فى حياتهما فهذا وما أشبهه كثير جدا * وروى عن محمد بن جعفر بن الزبير قال كنا عند عروة بن الزبير وعنده رجل من بني عذرة فقال له عروة ياعذرى بلغني أن فيكم رقة وغزلا فاخبرني ببعض ذلك قال لقد خلفت فى الحي ثمانين مريضا دنفا عشقا ما بهم غير الحب قد ... قلوبهم

﴿ باب من وصف الحب ﴾

﴿ وما فيه من شدة المرارة والكرب ﴾

واعلم ان الحب مع ما فيه من المرارة والنكد وطول الحسرات والكمد مستعذب عند أربابه مستحسن عند أصحابه حلو لا تعدله حلاوة ولا تعد له مرارة * قال الكميت بن زيد

الحب فيه حلاوة ومرارة　　سائل بذلك من تطاعم أو ذق

ماذاق بؤس معيشة ونعيمها　　فيما مضي أحداً اذا لم يعشق

وقال آخر

يا أيها الدنف المعذب بالهوي　　انى بأحوال الهوى لعليم

الحب صاحبه يبيت مسهداً　　ويطير عنه فؤاده ويهيم

الحب داء قد تضمن في الحشا　　بين الجوانح والضلوع مقيم

الحب لا يخفي وان أخفيته　　ان البكاء على المحب نموم

الحب فيه حلاوة ومرارة　　والحب فيه شقاوة ونعيم

الحب أهون ما يكون مبرح　　والحب أصغر ما يكون عظيم

أنشدنى أحمد بن يحيي ثعلب

سلني عن الحب يامن ليس يعرفه　　ما أطيب الحب لولا انه نكد

طعمان حلو ومر ليس يعدله　　في حلق ذائقه مر ولا شهد

وأنشدنى ابراهيم بن محمد الواسطي لنفسه

سلني عن الحب فانى به　　أعلم ذي وطء على النعل

طعمان شدان ... معذب　　وآخر أشري من القتل

ولبعض المتأدبين أيضا في مثله

سلني عن الحب يامن ليس يعلمه　　عندي من الحب ان سائلتم الخبر

أنا الذي بالهوى مازلت مشتهراً لاقيت فيه الذي لم يلقه بشر
الحب أوله عـذب مذاقتـه لكن آخره التنغيص والكدر
كم تيم الحب أقواما وذللهـم وكم يد للهوي قد وارت الحفر

أنشدني ابن أبي الرعد

من كان لم يدر ما حب وصفت له ان كان في غفلة أو كان لم يجد
الحب أوله عـذب وآخره مثل الحزازة بين القلب والكبد

أنشدني الوليد بن عبيد البحتري لابي العتاهية

أخلاى بي شجو وليس بكم شجو وكل امرئ مما بصاحبه حلو
أذاب الهوى جسمي ولحمي وقوتي فلم يبق الا الروح والجسد النضو
وأيت الهوى جمر الغضا غير انه على كل حال عند صاحبه حلو
وما من محب نال ممن يحبه هوي صادقا الا سيدخله زهو

قال وأنشدني ابن أبي الدنيا

الحب يترك من أحب مدلها حيران أو يقضي عليه فيسرع
الحب أهونه ثقيل فادح يهوى الجليد من الرجال فيصرع

﴿ باب ما فى معرفة الهوي ﴾

﴿ وماكان اسمه فى البادية أولا ﴾

واعلم ان الهوي عندهم هو الهوان الصراح والبلاء المتاح لانه يهين الكريم ويذل العزيز ويدله العاقل ويحط منزلة الشريف * وسئلت اعرابية عن الهوي فقالت الهوى هو الهوان وانما غلط باسمه واشتق من طبعه ولن يعرف ما أقول الا من أبكته المنازل والطلول وأنشأت تقول

ليت الهوي لذوي الهوي لم يخلق بل ليت قلبي بالهوى لم يعلق
ان الذي علق الهوى بفؤاده كمنوط دون النساء معلق

لا يستطيع نزوله لشقائه لكن اليه كل هم يرتقى
ان الهوى لهو الهوان بعينه ماذاق طعم الذل من لم يعشق

وأنشدت لغيرها أيضا

ان الهوان هو الهوي نقص اسمه فاذا هويت لقد لقيت هوانا
واذا هويت لقد تعبدك الهوى فاخضع لحبك كائنا من كانا

أنشدنا أبو عبد الله الواسطي لنفسه

لم يدر مابؤس الحياة ولينها الا الذين من الهوي بمكان
كم من عزيز قد ألم به الهوي فأقر بعد كرامة بهوان
ليس الهوى الاالهوان ونونه نقصت كفعل الزور والبهتان
لين الحياة اذانظرت وبؤسها بين الوصال وغصة الهجران
ما العشق عندي باختيار انما ذاك البلاء يتاح للانسان

قال وأنشدني أبو العيناء

وما كيس في الناس يحمد رايه فيوجد الاوهو في الحب احمق
وما من فتى ما ذاق بؤس معيشة من الدهر الا ذاقها حين يعشق

﴿ باب ماسئل عنه أهل الصدق ﴾

(من تمام خلات العشق)

قال الاصمعي لابي وائل الاضاخي ماتقول في العشق فقال أن لم يكن عصارة من السحر فهو ضرب من الجنون وأنشأ يقول

بقلبي شيء لست اعرف وصفه على أنه ما كان فهو شديد
تمر به الايام تسحب ذيلها فتبلى به الايام وهو جديد

لعمرى ان بذلك ماوجب لهم الدعاء فصار مفترضاً على الادباء كالفرض اللازب والحق الواجب الجليل الخطب وفادح الامر *

اخبرني احمد بن عبيد قال اخبرني الاصمعي قال رأيت ابا السائب المخزومي متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين واعطف عليهم قلوب المعشوقين بالرأفة والرحمة يا ارحم الراحمين فقلت يا ابا السائب افي هذا المقام تقول هذا المقال فقال اليك عني الدعاء لهم افضل من حجة بعمرة ثم انشأ يقول

يا هجر كف عن الهوى ودع الهوى ‏ للعاشقين يطيب يا هجر
ماذا تريد من الذين جفونهم ‏ قرحى وحشو صدورهم جمر
وسوابق العبرات فوق خدودهم ‏ هطلا تلوح كانها القطر
صرعى على جسر الهوى لشقائهم ‏ بنفوسهم يتلاعب الدهر

قال وخبرت عن الاصمعي أيضاً انه قال رأيت جارية وهي تقول اللهم مالك يوم القضاء وخالق الارض والسماء ارحم أهل الهوى واستنقذهم من عظيم البلاء واعطف عليهم قلوب أودائهم بالصفاء فانك سميع النجوى قريب لمن دعاك ثم انشأت تقول

يارب انك ذو من ومغفرة ‏ بيت بعافية منك المحبينا
الذاكرين الهوى من بعد ما سهروا ‏ حتى يظلوا على الايدي مكبينا

فقلت ياهذه أتغنين وأنت في الطواف فقالت اليك عني لا يرهقك الحب فقلت لها وما الحب وأنا به أعرف منها فقالت جل أن يخفى ودق عن أن يرى له كون ككمون النار في الحجر ان قدحته أوراك وان تركته توارى قال فتبعتها حتى عرفت منزلها فلما كان من الغد جاء مطر شديد فمررت ببابها وهي قاعدة مع أتراب لها زهر يقلن لها لقد أضر المطر ولولا ذلك لخرجنا الى الطواف فأنشأت تقول

قالوا أضر بنا السحاب بقطره ‏ لما رأوه لعبرتي يحكي
لا تعجبوا مما ترون فانما ‏ هذا السحاب لرحمتي يبكي

وزعم قوم أنه لاذنب على أهل الهوى ولا وزر وان خطاياهم
تمحص عنهم بطول بلائهم وكثرة زفراتهم وما لقوا من الشقاء بأودائهم
وأخبرني أحمد بن يحيي عن عبد الله بن شبيب عن رجل ذكره قال
كنت عند مالك بن أنس فأتاه شاب فقال اني قد قلت أبياتا ذكرتك
فيها فاسمعها قال لاحاجة لي فيها فقال لي أحب أن تفعل قال هات فقال

سلوا مالك المفتي عن اللهو والصبي ... وحب الحسان المعجبات الفوارك
يخبركم اني مصيب وانما ... أسلي هموم النفس عني بذلك
فهل في محب يكتم الحب والهوى ... أثام وهل في ضمة المتهالك *

فسرى عن مالك وقال لا ان شاء الله وكان ظن أنه هجاه * أخبرني
أحمد بن يحيي ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن شيخ من عاملة قال
مر ابن مرجانة الشاعر بسعيد بن المسيب فقال هذا بن مرجانة قالوا
نعم قال هذا الذي يقول

سألت سعيد بن المسيب مفتي الـ ... ـمدينة هل في حب دهماء من وزر
فقال سعيد ابن المسيب انما ... تلام على ماتستطيع من الامر

والله ماسألني انسان عن شيء من هذا ولو سألني لاجبت * قال
وسئل شريك بن عبد الله القاضي عن المشاق فقال أشدهم حبا أعظمهم
أجرا * وأنشدني محمد بن يحيي لمسلم

فو الله لاأدري واني لسائل ... بمكة أهل العلم هل في الهوى وزر
وهل في اكتحال العين بالعين ريبة ... اذا ما التقى الالفان لابل به أجر

وأنشدني ابراهيم الاردي لنفسه

ماالعشق في الأحرار مستنكر ... وما على العاشق من وزر

قال وأنشدني الجماش

اذا قبل الانسان انسان يشتهي ... ثناياه لم يأثم وكان له أجرا

فان زاد زاد الله في حسناته مثاقيل يمحوا الله بها وزرا

وقال سائب راوية كثير حضرت مع كثير عندبن أبي‌عتيق فانشدنه أبيات بن قيس الرقيب التي يقول فيها

خبروني هل على رجل عاشـق فى قبـلة حرج

فقال كثير لا ان شاء الله ونهض * وأنشـدني على بن العباس ابن رومى

أيها العاشق المعذب اصـبر فخطيات ذى الهوي مغفورة

زفرة فى الهوي أحط لذنب من غزاة وحجة مبرورة

وقال المؤمل وأحسن والله فى قوله

صف للاحبة مالقيت من سهر ان الاحبة لايدرون ماالسهر

حسب المحبين في الدنيا عذابهم والله لاعذبتهم بعدها سقر

وقال الاصمعى رأيت جارية بالطواف وهي تقول

لن يقبل الله من معشوقة عملا يوما وعاشقها حيران مهجور

وليس يأجرها في قتل عاشقها لكن عاشقها لاشك مأجور

فقلت ياجارية أفى هذ المقام أما حياء فيردعك فأنشأت تقول

بيض أوانس ماهمهن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام

يحسن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الخنى الاسلام

وقد قيل أيضاً ان قتيل الهوي لاقود له وان دماء أهل الهوى تبطل وتهدر * ومن ذلك ماحكى عن ابن عباس انه أتي بشاب محمول قدصار كالشن البالي فقيل له استشف الله لهذا المريض يا ابن عم رسول الله فقال له ابن عباس ماعلتك يافتي فلم يحر اليه جوابا ثم رفع رأسه وقال بلسان فصيح طليق

به لوعة لو تشتكي الصم مثلها تفطرت الصم الصلاب وخر ـ

ولو قسم الله الذي بي من الهوى على كل نفس حظها ما أبلت

ثم خفت خفتة ثم فتح عينيه وهو يقول

بنا من جوي الحب المبرح لوعة تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقى حشاشة ماتري على مابه عود هناك صليب

فقال ابن عباس ممن الرجل فقال من بني عذرة ثم شهق شهقة فمات فقال ابن عباس لجلسائه هل رأيتم وجهاً أليق ولساناً أذلق من هذا . هذا والله قتيل الهوي لاقود له ولا دية والى الله ارغب في العافية مما نري * وأنشد احمد بن يحيي ثعلب

اذاهن ساقطن الحديث الذي الهوى سقوط حصى المرجان من كف ناظم

رمين فاصمين القلوب فما ترى دما سائلا الا جوى فى الحيازم

فأي دم لو تعلمين جنيته على الحر جانى مثله غير سالم

اما انه لو كان غيرك ارقلت اليه القنا بالمرهفات الصوارم

ولكن وبيت الله ماطل مسلما كغر الثنايا واضحات المعاصم

وانشدنى ابو عبد الله الواسطي لنفسه

قضى الله فى القتلي قصاص دمائهم ولكن دماء العاشقين جبار

تطل دماء العاشقين وثارها لدى الحدق المرضي وذلك ثار

قال الاحوص بن محمد الانصارى

ماتذكر الدهر لى سعدى وان بعدت الا ترقرق ماء العين فاطردا

ياللرجال لمقتول بلا ترة لايأخذون له عقلا ولا قودا

وحدثني العنزى ابو على عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله ابن مسلم بن جندب عن ابيه قال خرجت مع أبي سفيان فلقينا نسوة ينظرون العقيق فيهن امرأة حسناء العين فقال ابي

الا ياعباد الله هذا اخوكم قتيلا فهل فيكم به اليوم ثائر

خذوا بدمي ان مت كل خريدة مريضة طرف العين والجفن ساحر

قال فالتفتت الى امرأة فقالت يابنى احتسب اباك واغتنم نهيك فان قتيلنا لايودى واسيرنا لايفدى * وانشدني احمد بن يحيي لجرير بن الخطفى

هل في الغواني لمن قتلن من قود أو من ديات لقتلى الاعين الحور
تبيت ليلك فى وجد مخامره كان فى القلب أطراف المسامير
ما كنت أول محزون أضر به برح الهوى وعذاب غير تفتير

وقال أيضاً

اذا كحلن عيونا غير مقرفة ريشن نبلا لاصحاب الصبي صيدا
مابال قتلاك لانخشين طائلهم لم تضمني دية منهم ولا قودا

وقال عمر بن لجا

تراءت كي تكيدك أم عمرو وكيدك بالتبرح ما تكيد
وكيف قتلتني ياأم عمرو ولا قود عليك ولا حدود

وقال اعرابي وما أساء

أقاتلتى ياللرجال حبيبة الي بلا جرم لديها ولا ذحل
فقيم دماء العاشقين مضاعة بلا قود عند الحسان ولا عقل

وأحسن والله المؤمل حيث يقول

اني قتلت بلا جرم وقاتلتي ياقوم جارية فى طرفها حور
لما رمت مهجتي قالت لجارتها اني قتلت قتيلا ماله خطر
قتلت شاعر هذا الحي من مضر فالله يعلم ماترضى بذا مضر
شكوت مابي الى هند فما اكترثت ياقلبها أحديد أنت أم حجر
ان كنت جاهلة بالحب فانطلقى الى القبور ففيمن حلها عبر

وقد قيل أيضاً ان تتيل الهوي شهيد على ذلك أجمع فالله يعلم للادباء وأهل العلم والظرف لموجود الاخبار ومسند الآثار * حدثنا

قاسم الزبيدي باسناد ذكره عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعشق فعف فهو شهيد * وقال بشار بن برد العقيلى

قرب دار الحبيب قرة عين — وكان البعاد في القلب ثكل
ان موت الذي يموت من الحب — عفيفاً له على الناس فضل

ولبعض المتأدبين

ليتني مت والهوي داء قلبي — ان ميت الهوي لميت شهيد

ولقد أحسن جميل حيث يقول

الا ليت شعري هل أبيتن ليلة — بوادى القري اني اذا لسعيد
يقولون جاهد ياجميل بغزوة — وأى جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة — وكل قتيل بينهن شهيد

وماح الحكمى حيث يقول

ولقد كنا رويا — عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب — أن سعد بن عباده
قال من مات محباً — فله أجر الشهاده

واعلم بان العشق يحسن باهل العفة والوفاء ويقبح بأهل العهر والخنى مع ان الهوي قدفسد وقل الوفاء وكثرت الخيانة والغدر واستعمل الناس فى العشق شيئاً ليس من سنة الظرف ولا من أخلاق الظرفاء وذلك ان أحدهم متي ظفر بحبيبه وأصاب الغفلة من رقيبه لم يعف دون طاب المعني فهذا فساد الحب ودمار العشق وبطلان الهوي وتكدير الصفاء * أنشدني عبد الحميد الملطى

قدفسد الحب وهان الهوى — وصار من يعشق مستعجلا
يريد أن ينكح أحبابه — من قبل أن يسهر أو يخلا

ولاحمد بن أبي فنن في مثل ذلك

أنا لا أبدى بغدر أبداً ... فاذا ماغدرت لم أترك
واجداً منها بديلا مثل ما ... وجدت مني بديلا لاتشك
أتراني أقعد الليل لها ... ساهراً أطلب وصلاقدهلك
وهى فيما تشتهي لاهية ... مت ان دار بهذين فلك
كان للناس وفاء مرة ... فانقضى وانحلت اليوم التكك

وحدثنى أبو العيناء قال حدثني الجاحظ قال كتب بعض الظرفاء الى ملك جارية أبي جعفر

ياملك قدصرت الى خطة ... وكنت فيها منك ذا ضيم
يلومني الناس على حبكم ... والناس أولى فيك باللوم

فكتبت اليه

ان تكن الغلمة هاجت بكم ... فسكن الغلمة بالصوم
ليس بك الشوق ولكنما ... تدور من هذا على الكوم

واعلم ان العشق لا يكون مع الفسق ومتى مازج العشق الفسق ضعفت قواه وانقصمت عراه وهم لا يريدون غير الرفث ويسمونه مسامير الحب وزعموا ان اسباب الحب لا تتصل الا به ولا يزال منحلا حتي يشدها ذلك وينشدون

العشق داء دوى لا دواء له ... الا العناق وافشاء السريرات
وليس يلتذ طيب العيش من احد ... الا بعضك او رشف الثنيات
ووضعك الصدر فوق الصدر تجمعه ... ضما اليك على ظهر الحشيات

وينشدون أيضاً فى مثل ذلك

رأيت الحب ليس له دواء ... سوى وضع البطون على البطون
* والصاق الثنايا بالثنايا ... وأخذ بالمنا كب والقرون *

وقد ناظرت بعضهم مرة من المرار فاحتج بخبر ابن عباس عن

النبي صلى الله عليه وسلم فاحتجوا بظاهر الخبر ولم يفصحوا عن التأويل وهذا خلاف ما يفعل أهل الظرف والادب وغير هذا جاء عن العرب وقد بلغني عن الاصمعي انه قال قلت لاعرابي مرة ما العشق فيكم قال النظرة بعد النظرة وان كانت القبلة بعد القبلة فهو الوصول الى الجنة فقلت ليس العشق عندنا كذلك قال فما هو عندكم قلت تفرق بين رجليها وتحمل نفسك عليها فقال بابي أنت لست بعاشق إنما أنت طالب ولد

﴿ باب ما جاء فيمن تعفف في محبته ﴾

(ورعي عقود عهود مودته)

وما وجدنا أحدا من العرب يفعل ذلك ولا صمد نحوه وقد كان الواحد منهم يعشق من أول دهره الي آخره لا يحاول فسقا ولا يقرب رفثا ولم يكن لهم مراد الا في النظر ولا حظ في غير الاجتماع والمؤانسة والحديث والشعر كما قال الفرزدق

وجدت الحب لا يشفيه الا ... لقاء يقتل العلل النهالا
أحب من النساء وهن شتى ... حديث النزر والحدق الكلالا
مواقع للحرام وكل نحس ... وتبدل ما يكون لها حلالا

وكان الواحد منهم اذا تعلق خلة لم يفارقها حتى الممات ولم يشغل قلبه بغيرها ولم يهم بالسلو عنها وقصر طرفه عن من سواها وكذلك هي أيضاً كانت له بتلك المنزلة فايهما هلك قبل صاحبه قتل الآخر نفسه في أثره أو عاش حافظا لوده قائما بعهده لا ينسى ذكره ولا يصل غيره فاستحسن الناس الملل والاستبدال والغدر والانتقال وصار اشدهم ظرفا وأحسنهم الفا يتعشق السنين الكثيرة والدهور الطويلة ويتوهم فعله أنه عاشق فاذا فقد حبيبه يوما واحداً استبدل به سواه وينشدون في ذلك

انقر بآخر من بليت بحبه لاخير فى حب الحبيب الاول
أنشك فى ان النبي محمدا ساد البرية وهو آخر مرسل

وأنا ابرا الى الله أن يكون هـذا من شعر ظريف أو من فعله حصيف ولكن قد أحسن أبو تمام الطائى حيث يقول

البين جر على نقيع الحنظل والبين أثكلنى وان لم أثكل
ماحسرتى ان كدت أقضى إنما حسرات نفسى إنني لم أفعـل
نقل فوادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لاول منزل

على انه ليس التنقل من حبيب أول الى حبيب ثان بحسن وإنمـا الحب ما أقام عليه القلب فلم يجد التخلص منه الى غيره كما قال جرير

أخالد قد هويتك بعد هند فشيبني الخوالد والهنود
هوى بتهامة وهوى بنجد فتبلينى التهائم والنجود

ولا كقوله أيضا

أحب ثرى نجد وبالغور حاجة فغـار الهوي ياعبدقيس وانجدا

ولا كقول الآخر

انى سأبدي الحب فيما أبدى لى شجنـان شجن بنجـد
وشجن لى ببلاد الهند

ولا كقول الآخر

هوى بالغور لى وهوى بنجد فما أدري أأنجد أم أغور
بكل حاجة وهوي مقـيم بقلبك قـد تضمنه الضمير
بشرقى العراق بباب عمرو وبالغورين زينب والقدور

هذا والله من الفاظ الشعر أسمج جداً وقد كذب هؤلاء وادعوا وجداً وهل يجتمع وجدان فى موضع ولكن قد أحسن جميل حيث يقول

وقلت لنسوان تعرضن دونها ... أليكن إني غيركن أريد

وحيث قال أيضاً

وكم من بديل قد وجدنا وطرفة ... فتأبى على النفس تلك الطرائف

فهذا هو الصادق الهوى الخالص الوفاء لا جرير وصاحبه ولا الذي يقول

أري ذا فأهواه وأبصر غيره ... فأترك ذا ثم استبد بذا عشقا

ثمانون لي في كل يوم أحبهم ... وما في فؤادي واحد منهم يبقى

فقبح الله هذا اللفظ لفظاً ولا أعطي قائله حظاً فليس من شعر وامق بل هو من فضل مماذق ولا والله ما التنقل من شأن الأدباء ولا الاستبدال من فعل الظرفاء وإنما الهوى ما حسن سريرته وهيهات أن دوو الوداد الخالص والصفاء الدائم والحب اللازم وذوو الحفاظ ورعاة العهود والمتمسكون بالوفاء والراغبون في صحيح الاخاء اليك فقد تنقضت وثائق الحب وانفصمت عري الهوى وتقطعت أسباب العشق وتكدر صافي المودة والناس كما قال الشاعر

قل الثقات فما أدري بمن أثق ... لم يبق في الناس الا الزور والملق

وان الغدر في النساء طبع والمطال منهن غريزة وهو في النساء أكثر منه في الرجال فقد أنشدني بعض الادباء

وكنا جعلنا الله شاهد بيننا ... وفي الله بين المسلمين شهيد

فخست بعهد الله لو تعتينه ... وفيلي من ليست لهن عهود

واعلم انهن لا عهود لهن ولا وفاء لحبهن ولا دوام لودهن وان أقبح مروى من غدرهن ما حدثنيه ابن أبي خيثمة عن شيوخه ان عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت عند بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه فحبها حباً شديداً شغلته عن تجارته فامره أبو بكر فطلقها ثم

اطلع عليه وهو يقول

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير جرم تطلق

لها خلق سهل وحسن ومنصب وخلق سوي مايعاب ومنطق

أعاتك قلبي كل يوم وليلة اليك بما تخفي النفوس معلق

أعاتك لا أنساك ما حج راكب وما لاح نجم في السماء محلق

فرق عليه أبو بكر وأمره فراجعها فقال لما رجعت اليه

أعاتك قد طلقت من غير بغضة وروجعت للامر الذي هو كائن

كذلك أمر الله غاد ورائح على الناس فيه ألفة وتباين

وما زال قلبي للتفرق بائن فقلبي لما قد قرب الله ساكن

ليهنك أني لم أجد منك سخطة وأنك قد جلت عليك المحاسن

وأنك ممن زين الله أمرها وليس لما قد زين الله شائن

فلم تزل عنده حتى قتل يوم الطائف رمي بسهم فمات فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

أ آليت لا تنفك عيني حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عينا من رأي مثله فتى أشد وأحمى في الهياج وأصبرا

اذا شرعت فيه الاسنة خاضها الى الموت حتى يترك الرمح أشقرا

ثم خطبها عمر بن الخطاب فتزوجها فأولم عليها ودعا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال فقال له على بن أبي طالب ائذن لى لادخل رأسي الى عاتكة أكلمها قال افعل فادخل رأسه اليها فقال يا عدوة نفسها أهكذا كان قولك

أ آليت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فبكت فقال له عمر ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن فقد رالله لك انهن يفعلن هذا قال أردت ان أعلمها انها لا عهد لها فمكثت عنده

حتى قتل عنها قتله أبو لؤلؤة فقالت ترثيه

عين جودي بعبرة ونحيب　　لا تملي على الامير النجيب

فجعتني المنون بالفارس المعـ　　ـلم يوم الهياج والتأنيب

عصمة الله والمعين على الدهـ　　ـر غياث الملهوف والمكروب

قل لأهل البأساء والضر موتوا　　قد سقته المنون أم الرقوب

ثم تزوجها الزبير بن العوام فمكثت عنده حتى قتل عنها منصرفا من الجمل بوادي السباع قتله بن جرموز فرثته وفيه تقول

غدر ابن جرموز بفارس بهمة　　يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته　　لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما　　حلت عليك عقوبة المتعمد

فخطبها على بن أبي طالب فبعثت اليه إني لاضن بك عن القتل وإنما استحييت فامتنعت وقد تزوجت باثنين من بعد قولها

آليت لا تنفك عيني سخينة　　عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

قال وحدثني أبو الفضل الربعي قال حدثني أبو ربيعة العامري الكوفي قال حدثني علي بن عمرو الانصاري قال دخلت المدلة البكرية زوجة المغيرة بن أبي ضمام البكري، وكان يحبها حباً شديداً على المغيرة بن أبي عقيل تخاصم في بعض أمورها فلما خرجت المدلة قال أنت الذي يقول فيك المعذل

قل للمدلة طال ذا التعديد　　فدع التعلل والمطال قليلا

وتزيدها حلى النساء ملاحة　　ويزيد ذلك بعضهن خبولا

قالت نعم قال فلم تزوجت بعده أف لكن قالت أتنصف ما كنت بديا وما كنت بنيا فضحك منها وأمرها بالانصراف وروي ان إمرأة من نساء العرب تزوجت رجلا من خثعم فوجد كل واحد منهما بصاحبه

وجدا شديداً وانهما تحالفا أن لا يتزوج أحدهما بعد صاحبه فمت قبلها فتزوجت فلامها بعض أهلها وقالوا أين ما كنت تجدين به فأنشأت تقول

وقد كان حبي ذاك حيا مبرحا ... وحبي لذا اذ مات ذاك شديد

وكان هواى عنـد ذاك صبابة ... وحبي لذا طول الحياة يزيد

فلما مضى عادت لهـذا مودتي ... كذاك الهوى بعد الذهاب يعود

وقال صالح بن حسان لما احتضر حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت فاطمة بنت حسن بن علي جالسة عند رأسه تبكي فقال مايبكيك قالت على فراقك ابن عم قال مه ماصنعت فاياك أن تنكحي عبدالله بن عمرو بن عثمان وقد علم انا أحدا لايجترئ على خطبتها غيره قالت ما كنت لافعل وهلك وله منها عبدالله بن حسن وابراهيم بن حسن فلما انقضت عدتها دعت مولاة لها يقال لها زبر فقالت ايتي عبد الله ابن عمرو فقولي له أعرنا بغلتك الشهباء برحالتها فاني قد أردت ان أسير الى بعض اموال ولدي بالعالية فأتته فقال يازبر لو كان لي الى مولاتك سبيل ارحلوا لها البغلة فلما جاءت قالت هل لقيته قالت نعم قالت فما قال بنت قالت قال لو كان لي الى مولاتك سبيل قالت ويلك وأين المذهب عنه فرجعت زبر فدخلت عليه واعلمته فارسل اليها فخطبها فتزوجته وولدت له الهيثم ومحمد ورقية وكان لها من الحسن ثلاثة ومن عبد الله ثلاثة * وروى عن سماك بن حرب انه قال كانت العرب تقول لم تنه امرأة قط عن رجل الا تزوجته وقال ابن عباس حدثني شيخ من بني ضبة قال كان رجل منا ظريفاً شريفاً احتضر فبينا هو يجود بنفسه وبني له يسمى معمر يدب بين يديه فنظر اليه وبكي ثم التفت الى امرأته فقال

ياهذه انى لاخشى أن أموت فتنكحي ... ويقذف في أيدي المراضع معمر

فخالت ستور بعده ووليدة ... وأشغلهم عنه نحور ومجمر

قالت ما كنت فاعلة قال الشيخ فوالله ماانقضت عنها عـدتها حتى تزوجت بشاب من الحى ورأيت معمراً كما وصف قال وأنشدنى بعض الشعراء

ان من غره النساء بشيء ... بعد هند لجاهل مغرور
كل أنثى وان بدا لك منها ... آية الحب حبها خيتعور

وان الوفاء فيهن عزيز غير موجود ووالله لئن كان كذاك وعرفن بذاك ففى الرجال من هو أكثر منهن غدرا واسرع منهن ختراً وأسمح منهن تنقلا وأقبح منهن تبدلا خبرت عن الاصمعى قال كان رجل من الاعراب يظهر الوجد لامرأته والحب لها وكانت تظهر له مثـل ذلك فتعاهد الا يتزوج منهما الباقى بعد صاحبه فاخترمت المرأة قبله فخطب الرجل امرأة من يومه ذلك فقيل له اتخطب بعد يمينك وعهدك فقال

خطبت كالو كنت قد مت قبلها ... لكانت بلا شك لاول خاطب
اذا غاب بعل كان بعل مكانه ... ولا بد من آت وآخر ذاهب

وخبرت أن بعض ولاة العهود كانت له جارية فكان يظهر الميـل اليها والاستهتار بحبها وكان يقول لها اذا أفضت الخلافة اليه أن يفضلها على نسائه ويقـدمها فى البر والكرامـة عليهن فلما بلغ من ذلك أمله جفاها وأطرحها وقلاها فكتبت اليه

أين ذاك الود والقبول ... وأين ما كنت لنا تقول

فكتب اليها

قد قال فى أشعاره لبيد ... ياحبذا الطارف والتليد

فعلمت انه لا حاجة له فيها فهـذا فى القبح يتجاوز غـدر النساء ويعلو على كثير من جنايات الاماء وانهن والله على ما فيهن من الغـدر والخيانة والشر لربما عشقن فاشتهرن ووفين فاحسن وان من حسن

مابلغ من وفائهن ما صنعته ابنة الفرافصة مع عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان من قصتها ان سعيد بن العاص تزوج هند ابنة الفرافصة بن الاحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حصن بن ضمضم بن عدى ابن جناب الكلبية فبلغ ذلك عثمان بن عفان فكتب الى سعيد أما بعد فقد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب فاكتب الى نسبها وجمالها فكتب اليه سعيد اما بعد أما نسبها فهي ابنة الفرافصة ابن الاحوص وأما جمالها فبيضاء مديدة والسلام فكتب اليه عثمان ان كانت لها أخت فزوجنيها فبعث سعيد الى أبيها نخطب اليه احدي بناته على عثمان فقال الفرافصة لابن له يدعي ضبا وكان قد أسلم وأبوه نصراني يابني زوج عثمان بن عفان اختك فزوجه فلما أراد حملها قال لها أبوها أي بنيه انك ستقدمين على نساء قريش وهن أقدر على الطيب منك فاحفظي عني اثنتين تكحلى وتطيبي بالماء حتى تكون ريحك كريح الشباب المطهرين فلما حملت شق عليها الغربة واشتاقت الى أهلها فقالت

الست ترى ياضب بالله أنني	مصاحبة نحو المدينة أركبا
اذا قطعوا خرقا تخب ركابها	كما زعزعت ريح يراعا مقصبا
لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم	لك الويل مايغني الخباء المطنبا

فلما قدمت على عثمان بن عفان قعد على سرير واتي لها سريراً حيالة فجلست عليه ورفع العمامة عن رأسه فبدا الصلع فقال يابنة الفرافصة لا يهولنك ماترين من الصلع فان من ورائه ما تحبين قالت اني لمن نسوة احب بعولتهن اليهن الكهول البيض السادة فقال اما ان تقومين الى واما ان أقوم اليك فقالت ما تجشمت من كراهة جنبات السماوة أبعد مما بيني وبينك ثم قامت اليه فجلست الي جانبه فمسح رأسها ودعا بالبركة وقال اطرحي عنك خمارك فطرحته ثم قال اخلعي درعك فخلعته

ثم قال حلي ازارك فقالت ذاك اليك فحله فكانت من أحظي نسائه عنده فلما كان يوم الدار أهوي رجل الى عثمان بالسيف فالقت نفسها عليه فضرب عجيزتها وكانت من اعظم النساء عجيزة فقالت اشهد انك فاسق لم تأت غضبا لله ولا لرسوله فاهوى اليها بالسيف ليضربها فاتقته بيدها فقطع اصبعين من اصابعها فلما قتل عثمان قالت فيه ترثيه

الا ان خير الناس بعد نبيه قتيل التجوبي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد ذهبت عنا فضول ابي عمرو

فبعث معاوية بعد ذلك يخطبها فرضت ثنيتها العليا وقالت اذات عروس هذا فهذا والله حسبي من وفاء النساء وقد تقدم ذكر جماعة من اهل الوفاء اللاتي قتلن أنفسهن في أثر متعشقيهن أغنى عن كثير من أخبارهن وقد روي أيضا عن أبي حدرد الاسلمي قال نشأ فينا غلام يقال له عبد الله بن علقمة فعلق جارية منا يقال لها حبيشة لم تكن من قحده وكان يتحدث اليها كثيرا فخرج ذات يوم من عندها فنظر الى ظبية على رابية فالتفت الى أمه وهو يقول

يا أمي خبريني غير كاذبة وما يريد مسول الحق بالكذب
حبيش أحسن أم ظبي برابية لا بل حبيشة من ظبي ومن ذهب

ثم انصرف من عندها مرة أخرى فاصابته السماء وأنشأ يقول

وما أدري اذا أبصرت يوما أصوب القطر أحسن أم حبيش
حبيشة والذي خلق الهدايا على أن ليس عند حبيش عيش

فلما سمع بذلك قومه قالوا لامه هذا غلام يتيم لامال عنده وآل تلك يرغبون عنكم فانظري له بعض نساء قومه لعله يسلى عنها فزوجته جارية ذات جمال وكمال وزينتها باحسن زينة واقامتها بين يديه فلما نظر اليها قال مرعى ولا كالسعدان فذهبت كلمته مثلا والسعدان نبت

يرعاه ابل الملوك فعلموا انه لا ينصرف عن هواها فتواعدوا حبيشة وقالوا اذا جاء فاعرضى عنه وتجهميه بالكلام رجاء أن ينصرف بعض الانصراف فلما رآها لم تستطع أن تفعل ما أمرت به غير انها جعلت تنظر اليه وتبكى فعلم بقصتها فانصرف وهو يقول

وما كان حبي عن نوال بذاته فليس بسليه التجهم والهجر
سوى ان دائي منك داء مودة قديماً ولم يمزج كما مزج الخمر
وما انس ملأشياء لاأنس دمعها ونظرتها حتي يغيبني القبر

ثم مكثا على حالهما وطول وجدهما الى أن وافتهما خيل خالد بن الوليد يوم الغميصاء فاخذا فيمن أخذ من الاسري فاوثقا رباطاً وهذا حديث مشتهر قد رواه محمد بن حميد الخراسانى عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق وحكاه المدائني عن يعقوب ابن عتبة بن المغيرة الثقفى عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىعن أبي حدرد الاسلمي عن أبيه قال كنت يوم الغميصاء وهو يوم بنى جزيمة في خيل خالد ابن الوليد المخزومى حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل واسر فقال لى فتي منهم وقد جمعت يداه الى عنقه ونسوة مجتمعات غير بعيد منه يافتى هل انت آخذ بزمام ناقتى فقائدى الى هؤلاء النسوة فاقضي اليهن حاجة ثم ترى بعد ذلك مابدا لك قلت يسير ما سألت فالحقته بهن فوقف عليهن فقال أسلمى حبيش على نفاد العيش قالت وأنت فاسلم سعيت سقاك ربى الغيث ثم قالت وانت فحييت عشر وسبعا وترا وثمانياً تترا فقال الفتى

اريتك اذ طالبتكم فوجدتكم بحلية او الفيتكم بالخوانق
ألم يك حقا أن ينول عاشق يكلف أدلاج السرى والودائق
فلاذنب لى قدقلت اذنحن جيرة أثيبي بود قبل احدى الصفائق

أثيي بود قبل أن يشحط النوى ويناي عـدو بالمحب المفارق
فاني ما ضيعت سر أمانة ولا راق عيني بعد وجهك رائق
على أن ما نال العشيرة شاغل عن الود الا أن يكون التوامق
ثم بكي وبكت ثم أنشأ يقول
فان يقتلوني ياحبيش فلم يدع هواك لهم مني سوي غلة الصدر
وأنت التي أنحلت جلدي على دمي وعظمي وأسبلت الدموع على النحر
ثم انصرفت به فضربت عنقه فنظرت اليه فاقبلت حتى أكبت عليه
وقد فعلت أيضا مثل ذلك عفراء بنت عقال بعروة بن حزام لما بلغها
موته استأذنت من زوجها في زيارة قبر فخرجت في نسوة لها حتى وردت
قبره فلما رأته من بعيـد صرخت ثم دنت فرمت بنفسها عن راحلتها
ثم جعلت تبكي وتشهق الى أن خمد صوتها فدنوا منها فوجـدوها ميتة
فدفنت الى جانبـه * وروي الاصمعي أيضاً قال خرجت أريد بعض
أحياء العرب لجنى الليل وبت في جبان وتوسدت قبرا فسمعت في الليل
من القبر قائلا يقول
أنعم الله بالخيالين عينـا وبمسراك يا سـعاد الينا
وحشة مالقيت من خلل القبـر عسى أن أراك أو أن ترينا
فارقت له لياتي فلما أصبحت دخلت الحي فاذا بجنازة قد أقبل بها فسألت
عنها فقيل هذه سعاد كانت تحب ابن عم لها وانهما تعاقدا على الوفاء فهلك
قبلها فلم تزل تبكي عليه فها هي قد لحقت به فتبعتهم حتى دفنت الى جانب
القبر الذى بت عنده واذا هو قبر ابن عمها فخبرتهم بما سمعت وانصرفت *
وروى أن مالك بن عمرو الغساني تزوج ابنة عم للنعمان بن بشير الانصاري
فاحب كل واحد منهما صاحبه وكان شجاعا بطلا مقداما فعهدت اليه أن
لا يباشر حربا ثم انه غدا فلقي العدو فطعن فقال وهو يجود بنفسه

الا ليت شعري عن غزال تركته اذا ما أتته ميتتي كيف يصنع
أيلبس أثواب الحداد تفجعا على مالك أم فيه للبعل مطمع
فلو انني كنت المؤخر بعده لما برحت نفسي عليه تقطع

فلما أتاها خبره استمسك لسانها حولا فقال رهطها وعشيرتها ألو زوجتموها غيره امانها تسلى وتفيق فزوجوها رجلا من أبناء الملوك فساق اليها هدية عظيمة القدر فلما كان ليلة بنائه بها أخذت بعضادتي الباب ثم أنشأت تقول

يقول رجال زوجوها لعلها تفيق وترضى بعده بحليل
فأضمرت في النفس التي ليس بعده رجاء لها والصدق أفضل قيل
أبعد بن عمرو سيد القوم مالك أزف الى زوج بعضب كليل
وخبرني أصحابه ان مالكا خفيف على الملات غير ثقيل
وخبرني أصحابه أن مالكا ضروب بماضي الشفرتين صقيل
وخبرني أصحابه ان مالكا جواد بما في الرحل غير بخيل
وخبرني أصحابه أن مالكا ثوى وتنادى صحبه برحيل
فما كان يشريني خليلي بخلة وما كنت أشرى مالكا بخليل

فقال لها بعلها ارجعي الى أهلك ولك كل ما سقت اليك مثلك فليتزوج الرجال ومن حسن وفائهن أيضاً ما رواه الهيثم بن عدى فانه كان في بني عامر بن صعصعة امرأة توفي عنها زوجها ولها ابنا عم فصارا الى بعض شيوخهم فقالا له فلانة جارية شابة واقالة الى مثلها سريعة فوجه اليها فلتحضر وأعرض عليها أينا أهوى اليها حتى يتزوجها فوجه الشيخ اليها فأتته فعرض عليها مقالتهما فاطرقت مليا تنكث الارض حتى حفرت فيها حفيرة وملأتها من دموعها وكان زوجها دفن بمقبرة تدعي بحوضي فالتفتت الى ابن عمها وأنشأت تقول

فان تسألاني عن هواي فانه رهين بحوضى أيها الفتيان
وان تسألاني عن هواي فانه رهين له بالحب يارجلان
وإني لاستحييه والموت دوننا كما كنت أستحييه حين يراني
أهابك اجلالا وان كنت في الثري لوجهك يوما ان يسوءك مكاني

وقامت فانصرفت فقال قد رأيتها وسمعتها فانصرفا وقد يئسا ثم لقياها يوما في المقابر وعليها مصبغات وحلى وحال فقال أحدهما لصاحبه ما ترى في أى زي خرجت والله ما أراها الا متعرضة للرجال هلم فلننظر ماتصنع فقربا منها فاتت القبر فالتزمته ثم أنشأت تقول

ياصاحب القبر يامن كان يؤلسني وكان يحسن في الدنيا مؤاتاتى
أزور قبرك فى حلي وفي حلل كانى لست من أهل المصيبات
أتيت ما كنت من قربي تحب وما قد كان يلهيك في ألوان لذاتى
ومن يراني يرى عبري مفجعة طويلة الحزن في زوار أموات

ثم شهقت فماتت ومثل هذا وأشباهه من الوفاء قيل فى النساء وهو من وفائهن عجب والغدر عليهن أغلب ان على ذلك طبع خلقهن وعليه جبلت بنيتهن وسأصف لك جملة من مكرهن لتقف به على غدرهن ان شاء الله ولا قوة الا بالله

آخر الجزء الاول من كتاب الموشى من
أجزاء أبي الطيب بن الوشاء والحمد
لله كثيراً وصلواته على محمد
نبيه وآله وسلامه وحسبي
الله ونعم الوكيل

يتلوه الجزء الثاني من كتاب الموشي

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله الا الله وحده لا شريك له الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد فانه قد ذكرنا فى الجزء الاول من هذا الكتاب أشياء من عيون فنون الادب يرغب فيها ذوو الحجي وينتهي اليها ذوو النهى وقد مضى من الجد عدة ابواب فيها مقنع لذوى الالباب ولا بد من خالطها بشيء من الهزل ان في ذلك تروبح لقلوب ذوي العقل وآخر ماذكرنا فى الجزء الاول ذكر الوفيات من النسايا وأنا أتبعه فى هذا الجزء بباب ذكر ذوات الغدر من الاماء ثم أصله بما يتصل وأفصله من حيث ينفصل ان شاء الله وبه القوة

باب فى صفة ذم القيان

(ونفوذ حيلتهن فى الفتيان)

إعلم إنه لم يبتل أحد من أهل المروآت والادب وأهل التظرف والارب ولا امتحن سراة الفتيان ببلية هى أعظم من هوي القيان لان حبهن حب كذوب وعشقهن عشق مشوب وهواهن منسوب الى الملل ليس بثابت ولا متصل وإنما هو لطمع وعرض وهن سريعات الغرض يستدل على ذلك بافعالهن الردية وأخلاقهن السيئة وأنهن لن يقصدن الا أهل النشب ويصدفن عن ذوي الحسب وان محبتهن لظهور ماظهرت علامات اليسار والمال وينتقل عند الافلاس والاخلال وليس اظهارهن

للمحبة مما ينعقد عليه منهن ذوو الآداب ولا بما يخدع به لهن ذوو الالباب وكل ذلك منهن غرور وخداع وزور ولا مرجع له ولا محصول وإنما أمرهن عند ذوي الجهلة مجهول وما رأيت لكثير من الادباء الذين سلكوا سبيل التشبيب بالنساء رغبة في تعشق الاماء وقد أنشدني بعض الظرفاء

ليس عشق الاماء من شكل مثلي إنما يعشق الاماء العبيد
جل اذا ما وصلت حرة قومه قد حماها آباؤهن والجدود

ومن أدل الاشياء على خبث سرائر الاماء ان الواحدة منهن اذا رأت في مجلس فتي له غنى وكثرة مال ويسار وحسن حال مالت اليه لتخدعه وأقبلت عليه لتصرعه ومنحته نظرها وأبدته بصرها وغمزته بطرفها وأشارت اليه بكفها وغنت على كاسانه ومالت الى مرضاته وشربت من فضلة كاسه وأومأت الى تقبيل رأسه حتي توقع المسكين في حبالها وترهقه باحتيالها وتعلق قلبه بحبها وتطمعه في قربها وتحويه بلطف تملقها وتستبيه ببديع تقنعها وبالمكر والخداع وتطلبها للاجتماع وتباكيها لفرقته وتحازنها عند روحته ترسل اليه بالرسل وتعاديه بالحتل وتخبره عن سهرها وتنبئه عن فكرها وتشكو اليه القلق وتخبره بالارق وتبعث اليه بخاتمها وفضلة من شعرها وقلامة من ظفرها وشظية من مضرابها وقطعة من مسواكها ولبان قد جعلته عوضاً من قبلتها ومضغة لتخبره عن نكهتها وكتاب قد عقته بطرفها وطيبته بكفها وسحته بوتر من عودها ونقطت عليه قطرات من دمعها وختمته بغالية قد عدل بالعنبر متنها واستمسك تحت الخاتم عجنها وطبعت عليه بفص قد نقشت عليه بعض مداعبتها وتمثلت عليه ببعض مجانتها وضمنت الكتاب شكوى شوق مريض وصفة شوق ممرض لا تسأله المؤاتاة على حبها والاعانة على كربها

وان يبعث يطالب زيارتها لتقر بالنظر اليه عينها وينفرج عنها حزنها فيطمع الغمز في قربها ولا يشك في الكلام في اخلاص حبها فيميل اليها بوده وتصفيه بمكنون حبه حتى اذا حوت عقله وصارت شغله واستمالت لبه وسلبت قلبه واستمكنت من قربه ووثقت بصحيح حبه وعلمت انه غريق في بحر البلية أخذت في طلب الهدايا السرية وتشهت الثياب العدنية والازر النيساورية والاشقاق الانجاجية والاردية الرشيدية والعمائم السوسية والتكك الابريسمية والخفاف الزنانية والنعال الكنباتية والخانق المحشوة والعصائب المرصعة والدستينجات المفصلة وخواتيم الياقوت الثمنة وتمارضت من غير سقم وشكت من غير ألم وفصدت من غير علة وداء وتعالجت من غير حاجة منها الى الدواء لتجيئها هدايا ذوي الوجد في المرض والفصد من القمص المعنبرة والغلائل الممسكة والاردية المرشوشة والمخالخ المعجونة ومخانق الكافور المنظومة ومراسل القرنفل المجمرة والمسك الاذفر والعنبر الاشهب والعود الهندي والند الخزائني والماورد الجوري والحملان الحولية والجداء الرضع والبط الصيني والفراريج الكسكرية والدجاج الفائق والفراخ المسمنة والنبانيج المنضدة بانواع الرياحين والفاكهة يتبعها صنوف من الشراب من المعسل والدوشاب والمطبوخ والمشمس ونبيذ السكر والقشمش ثم الدنانير الجدد الشهرية والدراهم المسيفة الدارية في خرائط الديباج الابريسمية ومناديل الوشي الانجمية فلا تزال في هدايا متواترة والطاف متتابعة وفي خلال ذلك العيدان المرصعة المزونة والمضارب المدهونة والاوتار الصينية حتى اذا نفد اليسار وذهب الاكثار واتلف المال وجاء الاقلال أحست بالافلاس وتفريغ الاكياس أظهرت الملال وأعلنت البدل وتبرمت بكلامه وضجرت بسلامه وطلبت عليه العلل وتفقدت منه الزلل وتجنت عليه سقطاته

وتجهمت عثراته وأخذت في الجفاء والعتاب والقلى والابعاد وصرفت عنها هواه ومالت الى سواه ونفرت بعد القرب وأبغضته بعد الحب فحينئذ يدرك المغرور الندم ويلحقه الأسف حين لاتغني عنه الحيلة ولا يجدى عليه اللهف ويقع بين ليت ولو وهيهات ولات حين مناص ولا يقدر على استئناف ماسلف من الايام بعد الاشراف على ورود حياض الحمام وقد أنشدني بعض الادباء لبعض المحدثين

صحوت فأبصرت الغواية من رشدى | وأيقنت أني كنت جرت عن القصد
فلا يعشقن من كان يعشق قينة | فما هو منها في سعيد ولا سعد
تودك ما دامت هداياك جمة | وترفدك عشقا ما غنيت أخا رفد
إذا ما رأت في مجلس من تخاله | غنيا حبته بالتحية والود *
وغنت على أقداحه كل ما اشتهي | وقالت له ما ذا تريد أنا أفدي
وتومى اليه اشرب الرطل واسقني | فقد حزت قلبي واشتملت على ودى
فيمتلي المغرور عند مقالها | سروراً يري أن المقال على جد
فان جاء وقت الانصراف تحازنت | لفرقته حتي يقوم على وعد
ويغدو اليه في الفراش رسولها | تسائله ما كان حالك من بعدي
وياليت شعرى كيف بت فانني | رعيت نجوم الليل كفي على خدي
فلا يجد المغرور من دفع جدرها | سروراً بتعجيل الزيارة من بد
* وتسرع في اتيانه ليظنها | حبته بتعجيل المجيء على عمد
فان هي جاءت عانقته وقبلت | يديه وأبدت فرحة قل ما تجدى
وتخدمه عمداً فان قال انه | ليحزنني أن تصنعي هكذا عندى
* تقول له ذا البيت بيتي وانما | أؤمل أن يتاعني سيدى وحدى
فتصبح عيني بالوصال قريرة | وآمن من سوم التفرق والبعد
فذا دأبها حتى يعود من الهوى | سقيم فؤاد ما يعيد ولا يبدى

فتفسد لا من حاجة لفسادها ولكن لتكليف الهدية في القصد
فمن بين خلخال يصاغ وخاتم ومن دمالج يهدي على أثر العقد
ومن ثوب خز بعد وشي وملحم ومن مصمت يشري على أثر البرد
ويالك من مسك ذكي وعنبر وعود وكافور نقي ومن ند
فذا فعلها حتى اذا عاد مفلسا تجنت وأبدت جانب الهجر والصد
فقولا لمن يهوى القيان تفهموا مقالي فاني قد نصحت لكم جهدي

وأنشدني بعض المحدثين لنفسه

ياصاح ان القيان للتمر الا غر شباك يصدن بالملق
يهويين هذا ويشتكين لذا وجداً ويرمقن ذاك بالحدق
حتى اذا ما اقتنصن ذا حمق مستهتراً واستمال للومق
نفضنه واستلخن جلدته سلخا بطيب الدلال والفنق
وصار كالآس في غضارته صفراً بلا اطارف من الورق
ناولنه المسح ثم قلن له جئنا به في البياض كاليقق

وأنشدني بعض الكتاب لفضل الشاعرة

يا حسن الوجه سيئ الادب شبت وأنت الغلام باللعب
يا ويك ان القيان كالشرك الا منصوب بين الغرو والعطب
لا يتصدين للفقير ولا يرمقن الا معادن الذهب
يلحظن هذا وذا وذاك وذا لحظ محب بطرف مكتسب
بينا تشكى اليك اذ خرجت من زفرات الشكوى الى الطلب

وأنشدني أحمد بن غزال لنفسه

اذا تعرضت للقيان فسل الفقر بالعيان
واعزم على فلسة أسافا أمض من طعنة السنان
كم من تراث ومن تليد وطارف واد خارتان

أتلفه متلف عليهم بالجذر والبذل والتواني
مازال يصبو الى خلوب تغني به فوق كل ثان
اتخذته عشيق مال أضحت تهواه باللسان
حتى اذا اختل ثم حست بفقد فعلاته الحسان
غنته صوتاً لها عتيداً مصرحا ليس بالمعاني
قد نفد الكيس فاسل عني واشتق اذا اشتقت بالاماني

وأنشدني أيضاً

ومسمعة غنت فقلت بمهجتي اليها لا لهو والمزاح بسيط
فقالت على اسم الله ثق بمودتي وصاف كما صاف الخليط خليط
فاعرضت عنها وانقبضت كانما علتني لديها نعسة وغطيط
فقالت وقد أحجلتها لتغرني ورقة فهي بالقيان محيط
أراك نشيطاً للسماع تحبه واست الى غير السماع نشيط
فقلت تراني ويك أعشق قينة لها كل يوم صاحب وربيط
اذا خرجت من مجلس وتبدلت سواه بديلا أو لون نبيط
وان ذكروا قالت ومن كان حائك وآخر منكود المعاش يخيط
لعمرك ماتهوين الا دواها ومن دونها حزم على سليط
واني ورب البيت والله راحم أفكر فيه هل هواه قميط
بعيني لينجح قبل ينفض ريشه وقبل يراه الناس وهو سقيط
هوانا هوى يزرى عن المرء نعمة ويترك رب القوم وهو حطيط
فيعشقنا من في يديه بضاعة سفيف اذا بان الرجا وشريط

وقال أيضاً فى قصيدة له

حتي اذا ولت الدراهم غنته وقد ازمعت على الانقطاع
أسل عني فلست أصاحب للضيق ولا يحسن الهوى بالجياع

عندهـا يأكل المفرط كفيه ويأوى الى أخس البقاع

وأنشد للحكمي في مثل ذلك

قولا لمن يمشق قينة يستف حزناً قبل افلاسه
فقد نوى في كفها نيـة مسرعة فى قلع أضراسه
تواصل العاشق حتى اذا ما أخذ العشق بأنفاسه
ولت بغدر وقرون الفتى تهتز بالكشح على رأسه

ومن أحسن ماقيل في ذلك قول الشاعر

ماللاحبة في التخشع عار فاخشع وان حافوا عليك وجاروا
سقياً ورعياً للذين تحملوا ونأوا وما شدت لهم اكوار
لكنهم غدروا بعهدك في الهوى وأخو القطيعة جائر غدار
ماإن يبالوا إن جفوك وعرجوا نحو المدينة أوطنوا أو ساروا
لابل أشدها عليك مصيبة أن يفعلوا بك اذ هم حضار
لاتتبعن على القيان ولا على زهو القيان فانهن تجار
قدم لهن ملاهيـاً ومضاربا وملاوياً يحظى بها الزوار
إن كنت صاحب لطفة وهدية فلك الهوى منهن والايثار
أوكنت صاحب كيف أنت ومرحبا فارحل فبيتك عندهن بوار
مابد من شيء والا لم يكن لك ثم اقبال ولا ادبار
لو كنت يوسف فى الجمال فانه * مامثله في حسنه ديار *
ثم امتنعت من الهدية أنكروا منك الذى لاينكر الاحرار
عندى من القينات خبر بين ومن الهدية مسند آثار
زار بن أحمر ذات يوم قينة في فتية لهم ندى ووقار
* حتى اذا غنتهم وسقتهم * وتجاوبت فى كفها الاوتار
قالت لاولهم أما لك ضيعة فأجابها انى فتى سمسار

قالت فأهد لنا ازاراً معلماً ... فأبو فلان ماعليه إزار
ثم انثنت لسؤال آخر منهم ... أصدق فقال مجيبها عطار
قالت فليس يهمنا مازرتنا ... أدهاننا والقسط والاظفار
واذا ابن أحمر قد أعدجوابها ... جدر السؤال كانه قسطار
ثم انثنت لسؤاله فأجابها ... لاسوق لي لكنني حفار
فاذا هممت بحفر قبرك فابعثي ... بقضيب كي أعرف المقدار
فتلجلجت خجلا وطاطت رأسها ... وأصابها عند الجواب حصار
وكذا القيان ولا أقول جماعة ... فالناس فى أخلاقهم أطوار

ولابن أحمر أيضاً

عذبني ذو الجلال بالنار ... إن هام قلبي بذات أسوار
* ولا تعشقت قينة أبداً ... حتي تراني رهين أحجار
كم من غني تركن ذا عدم ... أورثنه الذل بعد اكثار
سلبن منه الفؤاد بالنظر الـ ... رطب وغنج وغمز أبصار
وبالتشاجي أتلفن مهجته ... وحسن لحن وقرع أوتار
حتي اذا مامضت دراهمه ... وصار ذا فكرة وتسهار
* ناولنه المسح ثم قلن له ... بيضه بالنهونهر يشار *
* فلا تغرنك قينة أبداً ... ودع وصال القيان فى النار
فليس في الغدر عندهن اذا ... هو ن أو شئن ذاك من عار

و أحسن بن الجهم حيث يقول

فاطلق يداً في بيته بتفضل ... وعد عن المولى وما شئت فافعل
أشـ[illegible]ـد واغمز بطرف ولاتخف ... رقيباً اذا ما كنت غير مبجل
وو[illegible] [illegible]ـباح ولح وذمه ... فان خمد المصباح فادن و[illegible]
وسل غير ممنوع وقل غير مسكت ... ونم غير مذعور وقم غير معجب

لك البيت مادامت هدايالك جمة ** وكنت مليا بالشراب المسلسل
تصانلك الابصار عن كل نظرة ** ويصغى اليكم بالحديث المقلقل

واعلم انه لاوفاء لهن ولا حفاظ عندهن ولا يدمن على ودولا يقين لعاشق بعهد وهو أهن مشترك وحبهم مقتسم وقد أنشدني بعض الادباء

استخبرا زينب عن قولها ** في رجل يعبد وبين
أذاك منه حسن جائز ** أم ليس يرضى الله دينين
حسبك يازينب من هجنة ** يسترزق الدهر على اسمين
فلا تريدي جمع هذا وذا ** فالغمد لايجمع سيفين
وأنشدي الامر الى واحد ** ولا تكوني ذات بعلين
لا يحمل المنبر ردفا ولا ** يصلح ملكا بين اثنين
وعادة السوء اذا استحكمت ** على امرئ شر من الدين
لست وان كان الهوي غالبي ** أقنع بالشين على الشين
يجلب غيري وأكون الذي ** يرضي من الغنم بقرنين

وأحسن أبو ذؤيب حيث يقول

تريدين كيما تجمعيني وخالدا ** وهل يجمع السيفان ويحك في غمد
وكنت كرقراق السراب اذا جرى ** بقوم وقد بات المطي بهم تخدي

وقال آخر

ألا ياعاشق القينات جهلا ** أردت بان تكون أبا البغول
أترضي للهوى من ليس يرضي ** على ضيق الهوى ألفى خليل

وليس هوي القيان بمحمود عندي ولا عند ذوي الادب وأهل النهي والارب ولا لاكثرهم ميل اليه ولا حرص عليه وان كان قد أنشدني صديق لى قوله فيهن

زعموا خلة القيان غرور ** كل زعم من [illegible] زور

قسما للقيان بالعهد أوفي | من جوار تضمهن الخدور
انما زخرف المفاليس هذا | حين قات محاحهم الكسور
أهل هذا الزمان أطري من | الآس وكل مموه مستور

واحتج فى ذلك بان هوى القيان على ما فيهن من العيوب أسرع الى النفوس وأوقع فى القلوب واعلق بالارواح واخلق للنجاح وهن أقرب أملا واقل عالا والظفر بهن أسرع من الظفر بربات الخدور والمحتجبات وراء الستور وانهن مزورات وأولئك معدومات وزعم من طلب القية الجدو لمولاها من عشقها وكثرة مؤنتها عليه وطلبها لما لديه ومسئلتها الهدايا واللطف والبر والتحف انما هو من رغبتها فى هواه وميلها الى رضاه ولانها تؤثره على العالمين وتشتهي قربه دون سائر المحبين لانه اذا وافي جدوها من عند عشيقها مع تتابع الطافه وكثرة بره وإسلافه رغب المولى في صفائه وطمع في استصفائه فاحلاها معه الايام الكثيرة والليالي المتتابعة فهذه جملة من القيان لمن عشق ورغبة فيمن ومق وليس ذاك عندنا كذلك وانما هي حيلة ممن احتج لهن بالوفاء وهن معروفات بالغدر والجفاء ولو كان ذلك كما زعموا لم تتغير له عند اختلاله ولا قلته عند اقلاله بل كان يكون منها عند ذلك الاسعاف على هواه والمواساة فى نفسها في الحياه ولكن هو كما قال المؤمل ابن أميل

والغانيات كذاك هن غوادر | أبداً حبال وصالهن تجذم
يخابن بالنظر الفتى ويعدنه | نيلا ودون عداتهن الأنجم

وكما قال بشار بن برد

فو الله ماأدري وكل مصيبة | باى مكيدات النساء أكاد
غرور ومواعيد كأن جداءها | جدى بارقات ،زنهن جماد

ومع ذلك [illegible] نفاق للشيوخ عندهن ولا لذوي القبح والعدم

طمع لديهن على انهن يحتملن القبح والشيب مع اليسار ويكرهنهما ع الفقر والاقتار فاذا اجتمع القبح والشيب مع الافلاس في أي انسان كان من النــاس فليس عنــدهن مطلب ولا لديهن سبب ولذلك قاله المطوى

تاهت على بحسنها وجمالها ... وتقول لي ياشيخ أنت مخادع
شيخ وأفلاس وقبح ظاهر ... أطمعت فينا أخلفتك مطامع
فاجبتها الافلاس يذهبه الغنى ... والشيب يذهبه الخضاب الناصع
قالت فقبح الوجه فيه حيلة ... والقبح ليس له دواء نافع
ياصدقها ما كان أوضح حجتى ... لو كان يدفع قبح وجهى دافع

وقال بعض الاعراب

طويلات أعناق سباط أكفها ... رقيقات أوســاط نبال المآكم
تأزون رملا وارتدين بحـلة ... من الروض ريازهرها جد ناعم
وتصرف ودى نحوهن صبابة ... ويصرفن عن الوجه نحو الدراهم

ومثــل ذلك ما روى عن نصيب أنه قال لقيتني بالطواف امرأة وحداءة مزاحة فقالت أأنت نصيب فقلت نعم قالت ألست القائل

اذا البيض لا يأتين فى الحب رقة ... يماب ولا يأخذن فى الود درهما
واذ هن يدنين الكريم بوده ... لهن ويرفضن الدقيـق الملوما

قالت لا أراك تكتسب الا درهمك فاعضض ببظرامك من أين تنشط احدانا اذن وأنشد بعض الادباء

واذا قلت لها جودى لمن ... قد براه الحب قالت لى أجل
أنت صراف فآتيك له ... أ. ـــعـ ، نقود تحتمل
قلت ماتهوين الا موسرا ... ذاهبا " وحلك
فاجابتني بصوت مسمع ... كف ـنا انت والله مقـــل

أيها الناس ألا أخبركم ليس للحب مع الفقر عمل.

ولقد أحسن أبو الشيص حيث يقول

حسر المشيب قناعه عن رأسه فرمينه بالصد والاعراض

ثنتان لا تصبو النساء اليهما حلى المشيب وحلة الانفاض

فوعودهن اذا وعدنك باطل وبروقهن كواذب الايماض

وروي عمر بن شبة عن موسى بن اسماعيل المنقري قال كان المخبل السعدى يعشق امرأة من قومه فاتلف عليها كل ما يملكه حتى صار يبيع البعر فاتاها يوما فزبرته وطردته فانصرف وأنشأ يقول

اذا قل مال المرء قل صديقه وأومت اليه بالعيوب الاصابع

وقال الاصمعي عشق رجل امرأة وأظهرت له مثل ذلك فبعثت اليه يوماً تستهديه مالا فتعذر عليه ووجه بنصف ماطلبت فغضبت وهجرته فكتب اليها

يا أيها الغضبان أن سامني ما مثله ثقل على الموسر

فجدت بالنصف له كاملا فقال ليس الحب للمقتر

هبني غريماً لك يامنيتي مايقبل النصف من المعسر

فكتبت اليه

ان كنت في حالك ذا عسرة فدع طلاب الشادن الاحور

ما أن منحناك الذى نلته دون ذوي البهجة من معشر

ألا لتقضي حاجتي كلها في حال ذي العسرة واليسر

وقال الاخطل يصف نفورهن عن المشيب وغدرهن بالكهول والشيب

واذا دعونك عمهن فانه نسب يزيدك عندهن خبالا

واذا وعدنك نائلا أخلفنه ووجدت عند عداتهن مطالا

وقال القطامي أيضاً

واذا دعونك عمهن فلا تجب فهناك لا يجد الصفاء مكانا
واذا رأين من الشباب ادونة فعسي حبالك أن تكون متانا

وقال جرير

رأت مر السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال
فقالت فيم أنت من التصابي متى عهد التشوق والدلال
فما ترجوو ليس هوى الغوانى لاصحاب التنحنح والسعال

وقال أيضاً

واذا الشيوخ تعرضوا لمودة قلن التراب لكل شيخ أدردا
تلقى الفتاة من الشيوخ بلية ان البلية كل شيخ أرمدا

وقال امرؤ القيس

اراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوساً

وأنشدني بعض الكتاب لابى الشبل

عذيرى من جوارى الحـــى اذ يرغبن عن وصلى
رأين الشيب قد ألبـــسنى أبهة الكهل *
فاعرضن وقد كن اذا قيــل ابو الشــبل
* تساعين فرقعن الســـكوي بالاعين النجل

وانشدت لغيره

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضي فاعرضن عني بالخدود النواضر
وكن اذا ابصرنني او سمعن بى سعين فرقعن الكوي بالمحـــاجر

وهن على مافيهن من سرعة الملل وماطبعن عليه من البدل متمكنات من القلوب مبرات عند محبتهن من العيوب وان من محمود مذاهب الظرفاء الميل الى مغازلة النساء ومداعبة القينات وحب النساء عندهن من حسن الاختيار وهو أشبه بمذاهب ذوي الاخطار وليس هوى الغلمان عندهن

بمحمود ولا هو في سيرهم موجود وانما آثروا هوى النساء على الغلمان ومدحوهن بكل لسان المليح براعتهن وتكامل ملاحتهن وعجيب شكلهن وبديع دلهن وفيهن أيضاً خصال محمودة وملاحة موجودة ان عدمت من الجمال وجدت في العقل وان عدمت من العقل وجدت في الدلال وروائحهن أذكي وهواهن للقلوب انكى والعشق بهن اليق وهن للرجال أوفق وقد قال بعض الشعراء في ذلك وملح

أحب النساء وذكر النساء ويعجب قلبي لذيذ الغناء
وهل لذة العيش الا النساء وحسن الغناء وشرب الطلاء

وقال الفرزدق

منع الحياء من الرجال وغضها حدق تقلبها النساء مراض
وكان أفئدة الرجال اذ ارأوا حدق النساء لمثلها أغراض

وقال دعبل بن على الخزاعى

أحب ذخيرة وأحب علق الى الغانيات وان غنينا
وكل بكاء ربع أو مشيب نبكيه تهن به عنينا

وقال بعض الادباء

فلو أني رأيت الناس يوما ووليت الحكومة والخصاما
لقرت عين من يهوي الجوارى وعاقبت الذي يهوي الغلاما
سألتك أيما أحلا حديثاً وأطيب حين تعشقه التزاما
* أجارية منعمة رداح تزيدك للغرام بها غراما
أو أمرد منتن الابطين منه له ريح كريحك حين قاما
يريدك للدراهم لا لحب وتلك تذوب من كلف سقاما

وأنشدني على بن العباس الرومى لنفسه

نيكك الغلمان ما أمكنك النسوان أفن

انمــا يعشــق في الظهــــــزاذا أعــور بطن

وما رأينا أحــداً من العرب المتقدمين والشعراء المفضلين صمدوا في أشعارهم الى غير ذكر النساء ولا صدروا قصائدهم الابالتشبيب بوصف النساء هذا حسان بن ثابت الانصارى شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولى

يال قوم هل يقتل المرء مثلي   واهن البطش والعظام سؤوم

شأنها العطر والفراش ويعلوا   ها لجـين ولؤلؤ منظوم

لو يدب الحولى من ولد الذ   ر عليهـا لاندبتها الكلوم

وقد كان النبي صلى الله عليه وسـلم ينصب له منبراً في مسجده ويدعوا الناس الى استماع شعره وهو يشبب قصائده بهذا وماأشبهه من ذكر النساء وهذا كعب بن زهير ينشد للنبي صلى الله عليه وسلم في مسجده

بانت سعاد وقلبي اليوم متبول   متيم عنـدها لم يفد مغلول

أكرم بها خلة لوأنها صدقت   موعودهاولوأن النصح مقبول .

(ويمدح النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدته هذه فيقول فيها)

ان الرسول لنور يستضاء به   وصارم من سيوف الله مسلول

والنبي صلى الله عليه وسلم يومئ الى الناس في مسجده أن اسمعوا شعره ولو كان ذكر النساء فى الشعر منكراً لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى من أنكره ولو كان ذكر غير النساء أولى بالتقدمة في الشعر من ذكرهن لكان النبي صـلي الله عليه وسلم أولى من أمر بذلك واستقبحه ولو كان أيضاً فى الشعر ذكر النســاء من الرفث والفحش والخنا لكان ماقيل في رسول الله من المديح أحق بان يسقط منه ذكر القبيح كما أسقط ذكر الذكورة ووصف تعشقهم من هذه الاشـعار ومن نظائرها من مديح ذوي الاخطار وما وجدت ذلك في شئ من

أشعار المتقدمين وانما عرف الآن في شعر المحدثين وأين ظرف النساء وحسنهن من غيرهن وأين ملاحة سلامهن وحلاوة كلامهن ومستحسن مداعبتهن ومحبوب معاتبتهن ومليح مراسلتهن لاسيما ان شبن هواهن بالغيرة على محبّهن والتدلل على متعشقيهن وصددن من غير زلل وهجرن من غير ملل وهن والله في كل أحوالهن القاتلات بأفعالهن وصالهن ختل وصدهن قتل وهن المالكات للقلوب السالبات للعقول اذا خلون مزحن وان ظهرن لظرن فقتلن بلحظ عيونهن وصرعن بكسر جفونهن وأحيين بقولهن الكاذب ووعدهن الخائب فلا شيءٌ أحسن من مطلهن ولا ألذ من خلف وعدهن وقد استحسنت الشعراء ذلك منهن ومدحته في كثير من الاشعار فيهن * أخبرني أحمد بن يحيي عن الزبير بن بكار عن سليمان بن عياش السعدي عن أبيه عن جده قال حدثني السائب رواية كثير قال كان كثير رجلا مذبوباً لايستقر في مكان فقال لي ذات يوم اذهب بنا إلى بن أبي عتيق نتحدث عنده فأتيناه فاستنشد بن أبي عتيق كثيراً فانشده

أبائنة سعدي نعم ستبين ... كما أنبت من حبل القرين قرين
أأن زم أجمال وفارق جيرة ... وصاح غراب البين أنت حزين
كانك لم تسمع ولم تر قبلها ... تفرق ألاف لهن حنين
حنين الى ألافهن وقد بدا ... لهن من الشك الغداة يقين

حتى اذا بلغ الى قوله

فاخلفن ميعادي وخن أمانتي ... وليس لمن خان الامانة دين

فقال ابن أبي عتيق أو على الدين صحبتهن ياابن أبي جمعة ذلك أملح لهن وأدعى للقلوب اليهن عبيد الله بن قيس الرقيات أشعر منك حيث يقول

حبذا الادلال والغنج ... والتي في طرفها دعج

والتي ان حدثت كذبت   والتي في وصلها خالج
وترى في البيت صورتها   مثل ما في البيعة السرج
خبروني هل على رجل   عاشق فى قبلة حرج

فقال لا ان شاء الله وانصرف وقال القطامى يستحسن ذلك من أفعالهن ويصف ملاحة اعتلالهن

وأرى الغواني انما هى جنة   شبه الرياح تلون الالوانا
واذا حلفن فهن اكذب حالف   حلفا وأملح كاذب ايمانا

وقد أحسن محمود الوراق حيث يقول

اصطبح كأس شراب   واغتبق كأس تصابي
واجعل الايام قسما   بين عتب وعتاب
ووصال واهتجار   وبعاد واقتراب
واجتناب فى دنو   ودنو في اجتناب
ورسول بكتاب   وانتظار لجواب
وقنوع من حبيب   بالمواعيد الكذاب
ليس في الحب ولا الصبوة حظ للصواب

وقال بعض المحدثين

ليس يستحسن في حكم الهوي   عاشق يحسن تأليف الحجج
بني الحب على الجور فلو   أنصف المعشوق فيه لسمج

وقال آخر وأحسن في قوله

ألا انى راض بما حكمت جمل   وان كان لى فيه البلية والقتل
فكروا على العذل فيها فانني   رأيت الهوى فيها يجدده العذل
وما كان جئتها لبذل رجوته   لديها فاخشى أن يغيره البخل

ومن ذلك قول جميل بن معمر العذرى

ولست على بذل الصفاء هويتها ولكن سيتنى بالدلال مع البخل

وقال أيضا

ويقلن انك يابثين بخيلة نفسي فداؤك من ضنين باخل
ويقلن أنك قد رضيت بباطل منها فهل لك فى اعتزال الباطل
ولباطل ممن ألذ وأشتهى أدنى الى من البغيض الباذل

ودخلت عزة على هشام بن عبد الملك بن مروان فقال ياعزة أتعرفين قول كثير

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ومن ذا الذى ياعز لايتغير
تغير جسمي والخليقة كالذى عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت ما أعرف هذا ولكني أعرف قوله

كأني أناجي صخرة حين أعرضت من الصم لو يمشى بها العصم زلت
صفوح فما تلقاك الا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت

وأنشدني أحمد بن عبيد لرفاعة الفقعسى

ألم تعلما أم لا وكل بلية من الدهر يفنى بؤسها ونعيمها
ولم تجدا يلجاء الا بخيلة وان أيسرت واحتاج يوما غريمها

وأنشدني محمد بن يزيد لكثير عزة

وكم من خليل قال لي هل سألتها فقلت نعم ليلى أضن خليل
وأبعده نيلا وأسرعه قلي وان سئلت نيلا فشر منيل

وأنشدني أحمد بن يحيي لجميل بن معمر العذري

وهجرك من تيما بلاء وشقوة عليك مع الشوق الذى لايفارق
ألا انها ليست تجود لذى الهوي بل البخل منها شيمة وخلائق

وأنشدني ابن أبي خيثمة لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

وزادك اغراء بها طول بخلها عليك وأمرى لحم أعظمك الهم

ومثله قول الاحوص بن محمد الانصاري

وزادني كلفاً بالحب أن منعت أحب شيء الى الانسان مامنعا
كم من دني لها قد كنت أتبعه ولو صحا القلب عنها كان لى تبعا

وقال جرير يذكر طول المطل والخلف

واذا وعدنك نائلا أخلفنه واذا طلبن لوين كل غريم
يرمين من خلل الستور بأعين فيها السقام وبرؤ كل سقيم

وقال أيضا

لعمر الغواني ماجزين صبابتي بهن ولا يحببن نسج القصائد
رأيت الغواني مولعات بذي الهوي بطول المني والخلف عند المواعد

وقال أيضا

لم ترني بذلت لهن ودي وكذبت الوشاة فما جزينا
اذا ماقلت جاز لنا التقاضي بخلن بعاجل ومطلن دينا

وقال أيضاً

يقلن اذا ماحل دينك عندنا وخير الذي يقضى من الدين عاجله
لك الخير لا نقضيك الا نسية من الدين أوعرضا فهل أنت قابله

وقال أيضاً

واذا وعدنك نائلا اخلفنه وجعلن ذلك مثل برق الخلب
ان الغواني قد قطعن مودتي بعد الصفا ومنعن طيب المشرب

وقال كعب بن زهير

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها الا الاباطيل
فلا يغرنك مامنت وما وعدت ان الاماني والاحلام تضليل

وقال نصيب

ألبين ياليلى جمالك ترحل ليقطع منا البين ما كان يوصل

تماطلنا بالوعد ليلى وتنثني بموعودها حتى يموت المطل

وقال كثير

واني لارضى من نوالك بالذى لو أبصره الواشي لقرت بلابله

بلى وبأن لا أستطيع وبالمنى وبالوعد والتسويف قد مل آمله

وقال آخر

يارب خذلى من الملاح فقد هجن لقلبي من الهوي خبلا

من اللواتي يقلن لن ونعم وهاوحتي وقد وسوف ولا

والذي جاء في ذلك كثير يطول شرحه ويعيي وصفه وقد مضي من الفصل ماقيه كفاية لذوي العقل وقد أفردنا كتاب القيان لذم عظم القيان فأغني مافي ذلك الكتاب عن تكثير هـذا الباب فاعرفه أن شاء الله واعلم ان الهوي والحب والبخل والعشق والغزل يحسن بأهل النعمة واليسار ويزري باهل الاملاق والاقتار ولسنا نقول انه محرم على هؤلاء لاعسارهم ولا محلل لاولئك ليسارهم وليس بالغنى ما يدخل أهل الجهالة فى الوصف ولا بالفقر مايخرج أهل الادب من الظرف وقد قال بعض الشعراء

قد يدرك الشرف الفتي ورداؤه خلق وجيب قميصه مرقوع

وليس أسباب الهوي مبنيه عن اليسار والسعة والغناء والبذل والعطاء والنفقات الموزونة والصلاة الكثيرة والهبات المنيسة والهدايا السرية والخلل المعدم والمقل المعسر لاحيلة له في ذلك فمن تعرض للهوي ومال الى الصبى لم يحسن ذلك به لافلاسه وقلة ذات يده واقلاله وما هلك امرؤ عرف قدره واجهل الناس من عدا طوره وقد قال بعض السخفاء يعيب بجهله بنى الظرفاء ألم يعلم أنه لايكون لمقير ظرف ولا يرفع اليه طرف ولا يقع عليه وصف والفقير مذموم بكل لسان والغني محبب الى الى كل لسان وأنشد قول عروة بن الورد

ذريني للغنى أسعى فاني | رأيت الناس شرهم الفقير
وأحقرهم وأهونهم عليهم | وان أمسى له كرم وخير
يباعده الدني وتزدريه | حليلته وينهره الصغير

وقد أخطأ العائب هم في مقاله وتكسع في خسيرته وضلالته لان عروة لم يذهب الى ثلب الادباء ولا الى تعنيف الظرفاء وانما عنف على طول الاهمال وحث على تكسب الاموال وهذا مثل قول الآخر

لعمرك أن المال قد يجعل الفتى | نسيباً وان الفقر بالحر قد يزرى
وما رفع النفس الدنية كالغنى | ولا وضع النفس الكريمة كالفقر

ومثل ذلك قول الآخر

الفقر يزري بأقوام ذوي حسب | وقد يسود غير السيد المال

وكقول الآخر

أجلك قوم حين صرت الى الغنى | وكل غنى في العيون جليل
اذا مالت الدنيا الى المرء حولت | اليه ومال الناس حيث تميل

فهؤلاء لم يذهبوا الى تفنيد المتظرفين ولا الطعن على المتفتنين وكيف والتظرف بهم أليق وسمة الظرف عليهم أصدق وهذا الباب قد ذكرته على جهته في كتاب نظم التاج في صفة الأنوك المرزوق والظريف المحتاج وجعلنا جملة ما مر في كتابنا نصفة بيننا وبين من زعم ان الامر ليس كذلك والذي زعم انه لا يكون للفقير ظرف قد تعمق في الجهالة واستخف بلي ان الظرف بذي التقلل مليح ولكن الهوى بذا متق بهم قبيح وذلك أن الفقير ان طلب لم ينل وان رام بلوغا لم يصل وان استوصل لم يوصل فهو كمد القلب عازب اللب حزين النفس ميت الحس ذاهل العقل بعيد الوصل فتركه التعرض لما لا يقدر على بلوغ تمامه أولى من تلبسه بما يزيده في اغتمامه وقد يجوز أن يكون ظريفاً بغير عشق كما

كان عاشقاً بغير فسق لانه لا تهيأ له اقامة حدود العشق والظرف بلباقته ونظافته وتخلقه وتملقه ومداراته ومساعدته ولا يتهيأ له القيام بحدود العشق ان لا مال له فيعينه على هواه ولا مقدرة له فتبلغه رضاه وان بلى بمن يستهديه ويستكسبه ويطلب بره ويريد فضله وهو لا يقدر على ذلك فهي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى والحسرة التي تبقى والكمد الذى لا يفنى فليتحرز الاديب من الهوى قبل وقوعه في العطب وليتحفظ منه قبل طلبه التخلص من شركه فلا يقدر على الهرب وقل من رأيته وقع في هوى فنجا من غله أو أمكنه التخلص من حبله ولم يقدر على التخلص من الهوى بعد الوقوع في درك البلا الا مالك لقلبه مانع لغربه حازم في فعله جامع لعقله فان الاديب اذا كان بهذه الصفة ورأى آيات الملل وعلامات الزلل وأمارات الغدر ودلالات الهجر بادر فريسته وتخلص مهجته وزجر قلبه وصرف حبه ولم يقم على طول الجفاء ولم يعرض نفسه لطول البلاء ولم يستعبدها بالتذلل والخشوع والتضرع ولكنه يصرفها صرف مقتدر عيوف ويمنعها منع مالك عزوف وقد شرحت لك ماقيل في المصارمة بابا لتقف عليه ويبين لك صحة مافيه ان شاء الله ولا قوة الا بالله

﴿ باب ماجاء في مصارمة ذوى الغدر ﴾

(والصبر عند الملل والهجر)

اعلم أن صبر المحب على هجر الحبيب تجرعه للغصص والتعذيب ومعالجة الزفير والنحيب وتعلل القلب الفرق لوجيب من العجز الظاهر والموت الحاضر والمبادرة بالانصراف بعد تغير الآلاف من الحزم المكين والرأي الرصين وان من أحسن ماقيل في المصارمة قول زهير بن أبي

سلمى حيث يقول

ألا يال قوم للصبي اذ يقودني ... وللوصل من أسماء اذ أنا طالبه
فليتك قاليني فلا وصل بيننا ... كذلك من يستغن يستغن صاحبه

ومما يتعلق بهذا قول المتلمس

فان تقبلي بالود نقبل بمثله ... والا فانا نحن أنأي وأشمس

ومثله قول نافع بن خليفة

بآية ماقالت غنيت بغيرنا ... ونحن سنغني عنك مثلا ونصدف

وقال آخر

فان تقبلي بالود نقبل بمثله ... وان تدبري أدبر الى حال باليا
ألم تعلمي أني قليل لبانتي ... اذا لم يكن شئ لشئ مؤاتيا

وقال آخر

فان تقبلي بالود نقبل بمثله ... وان تؤذنينا بالصريمة نصرم

ومثله قول عمر بن أبي ربيعة

سلام عليها ما أحبت سلامنا ... فان كرهته فالسلام على أخري

ومثله قول الآخر

وكنت اذا خليل رام صرمي ... وجدت لدي منفسحا عريضا

وأجاد أبو ذؤيب الهذلي حيث يقول

فان وصلت حبل الصفاء فدم لها ... وان صرمته فانصرف عن تجامل

ومثله قول ابراهيم بن العباس

بقلبي من هوي البيض انصراف ... وتعجبني من البيض انقصاف
فان أنصفن في ودي والا ... فليس الى من دوني خلاف

وقد أحسن الذي يقول

كم من أخي ثقة قد كنت آمله ... هبت عليه رياح الغدر فانتقضا

أهملته حين لم أملك صيانته ثم انقبضت بودي مثل ماانقبضا
وقلت للنفس عديه فتى نزحت به النوى أو من القرض الذى انقرضا
فما بكيت عليه حين فارقني ولا وجدت له بين الحشا مضضا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

أميطي الهوى ان شئت عني فانقضي عهود الهوى واسترزقي الله في ستر
فلو كنت لى عيناً اذاً لفقأتها ولو كنت لى أذناً رميتك بالوقر
ولو كنت لى كفاً اذاً لقطعتها ولو كنت لى قلباً نزعتك من صدري
سألتك هل للناقض العهد والذي يخون سوى الاعراض والصد والهجر
فان شئت فاقليني وان شئت فاعرضى فوالله ما أمسيت منى على أمر

ولقد أحسن الخليع حين يقول

هويتكم جهدي وزدت على الجهد ولم أر فيكم من يقيم على العهد
فان أمس فيكم زاهداً بعد رغبة فبعد اختبار كان في وصلكم زهدي
لعمري لقد أغضبت فيكم على التي تجرعني المكروه من غصص الحقد
تأنيتكم بقيا الصديق لتقصدوا وتأبون الا ان تجوروا عن القصد
تنزوا بيأس عن هواي فانني اذا انصرفت نفسى فهيهات من ردي
أبي القلب الا نبوة عن جميعكم كنبوتكم عني فى السحق والبعد
أرى الغدر ضداً للوفاء وانني لاعلم ان الضد ينبو عن الضد
اذا خنتم بالغيب عهدى فما لكم تدلون ادلالا المقيم على العهد
صلوا فافعلوا فعل المدل بوصله والا فصدوا وافعلوا فعل ذي الصد
فكم من نذير كان لى قبل فيكم وها أناذا فيكم نذير لمن بعدى
فوا أسفاً من صبوة ضاع شكرها مضت سلفا فى غير أجر ولا حمد

وأنشدني بعض المحدثين

هجرت حبيبا كنت أحسب انني سأقضى حياتى قبل هجرانه وجدا

* وذلك اني كنت صبا بحبه ... أجاوز للافراط في حبه الحدا
فقابلني من قبلة الحفظ للوفا ... بان خانني ودى ولم يرع لى عهدا
فقلت لقلبي بالملامة فاصطبر ... ورم سلوة تاتى بسلونك الرشدا
فطاوعني قلبي فبت مساما ... أفتش عن ودي فلا أجد انودا

وأنشد أبو الطيب لنفسه في مثل ذلك

عتبت عليكم مرة بعد مرة ... وأفرطت في التعذال واللوم والزجر
فلما رأيت القول ليس بنافعي ... ولا النهى مقبولا لدى ولا أمرى
زجرت فؤادى زجرة عن هواكم ... وقلت له سرا فاصغى الى سرى
أفق كم يكون الهجر ممن تحبه ... وهجر الذي تهوي أحر من الجمر
وصبرك لو تدري على الهجر ساعة ... وقد كنت ترجوه أحر من الجمر
تعز فان الغدر منه سجية ... ولا داء أدوى من معالجة الغدر
تعز فان اليأس يذهب بالهوى ... ولا شيء أشفي للفؤاد من الهجر
تعز وداو القلب منك بهجره ... ففي الهجر لو يأتي شفاغلة الصدر
فطاوعني قلبي فبت أرى الهوى ... وما كنت فيه كالجنون أو السحر
وأصبح قلبي فارغا من هواكم ... كان لم يكن طاناه في سالف الدهر
وأضحي ومافيه من الحب والهوى ... اذا قيس مقدار الشعير من الذر

ولقد أحسن الذي يقول

وددتك لما كان ودك خالصا ... وأعرضت لما صار نهبا مقسما
ولن يلبث الحوض الوثيق بناؤه ... على كثرة الوراد أن يتهدما

وقال آخر

[illegible] رنق الحياض ولا التي ... تخاض ويغشاها المطرحة الجرب
ولا [illegible] مشارب أحرزت ... عن الناس حتى ليس [illegible]

وانشدني أحمد بن يحي

واني لاستحيي من الله أن أري ردیف وصال أو عـلى رديف
وأشرب رنقاً منك بعد مودة وأرضى بحبل منك وهو ضعيف
واني للمـاء المخـالط للقـذى اذا كثرت وراده لعيوف *

ومثله قول الآخر

لقـد زعمت رياك انك غادر وانك للشرب الغداة عيوف
لقد كذبت ماأن أعيج بشرب أجاج ومالى في الوصال رديف

وأخبرني أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال كان نصيب يأتي خلة له بالابواء وكان اذا أتاها رحبت به أمها وأكرمته وفرشت له الى جنب ابنتها فجاء يوما وعنـدها فتى أصفر كأنه مسر يتولج عليهم بيتهم بغير اذن ويختلط بهم اختلاطا يكرهه نصيب فوثب الى رحله فشده على راحلته فعلقت به الجارية وقالت ألا تبوء عندنا ياأبا محجن كعادتك فقال

أراك طموح العين طارفة الهوى لهذا وهذا منك ود مؤالف
فان تحملى ردفين لاأك منهما فحبيّ بفـرد انني لاأرادف

وأنشدني ابراهيم بن محمد النحوي لنفسه

يامن توهم اننـا نهواه ونذوب شوقا ان نأى مثواه
كذبتك نفسـك في بعادك راحة آن كنت ممن مهجتي تسلاه
لا يجمع القلب القريح صبابة وتأذيا منـه بمن يهواه
لكن اذا حل الاذى صرف الهوى فانزاح عن قلب المحب هواه

ومثل ذلك قول أسماء بن خارجة الفزارى

خذى العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقى في سورتي حين أغضب
فاني رأيت الحب في القلب والاذى اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

ومثله قول الآخر

وصلتك لمـا أن رأيتك واصلا وباعدت حبل الوصل مما بدالكا

توهمت منك الحفظ والرعي للهوى يكون فلما أن رأيت فعالكا
زجرت فؤادي واجتنبتك بعدما رأيت ونحيت الهوى عن انائكا
فان قال قوم ان في الناس عاشقا سلا سرعة يوما فاني ذالكا

وأنشدني غيره أيضاً

منحتكم صفو المودة والهوى وأفرطت حتى جزت في ذلك الحدا
وأعطيتكم مني القياد ولم اكن لاعطيه من اهويه ولو شفني وجدا
فقابلتموني ضد ما قد منحتكم وما كان حقي ان اقابله ضدا
فقد نلت مما كان مني من الهوى وآليت الا اخلص الحب والودا
فان شئتم جدوا الوصال من الهوي وان شئتم خونوا القطيعة والعهدا
فاني برى لاذكرت مودة ولا عشت الا سائرا يا كذا فردا

وأنشد أيضاً لنفسه

من سلا عنك فاسله لك في الناس مثله
لا تقولن لم وكم وعسى أو لعله
فالتسي يعقد الهوى والتعزى يحله
كل حب اذا انقضي بعضه هان كله

وأنشدني أبوا عبد الله بن مسرف لنفسه

ادن من كل صاحب يدن شبرا منك بالوصل والوداد زراعا
واذا ما ناي زراعا فزده أنت بالهجر والقطيعة باعا
ثم لا تطعنن يوما عليه بعيوب وان شناك سماعا

وهذا الباب على كثرته واتساع القول في صحته يعز على الاديب فعله ويمنعه ومن اتيانه شغله لانه لايقدر أحد على التخلص من الهوى بعد الوقوع في شركه واشرافه على مهول مهلكه الا بعدهم دخيل وسقم طويل وفكر قاتل وشغل شاغل فتحرز ذوي النهى من الهوي بالنزوع

أولي من أعمال الحيلة فى طلب التخاص والرجوع واعلم أنه لا يصح العشق الا لاربعة لذوى مروة ظاهرة أو ذى طاهرة أو ذي مال واسع أو ذى أدب بارع ويقبح ممن سواهم لان الفقير اذاتعدي طوره ورام ان يجاوز قدره قبح ذلك به كما انه يقبح بذى الغني ترك التعرض لاسباب الهوى وذلك لصغر نفسه الدنية وسقوط همته الردية لايمنعه من طلبه قلة ذات يده ولا تعذر الجد بل فساد الطبع وعدم الحاسة وموت الذات وبعد فان كنا في تقدمنا في غرض خطابنا وفصول كتابنا باباحة العشق والهوي ودعونا اليه الادباء وحثثنا عليه الظرفاء وملأنا بذلك كتابنا فانا نفرد للنصيحة فيه بابا يميل اليه أهل التدبير وأهل المعرفة والتبحر ويرغب فيه العاقل ويزهد فيه الجاهل لاني لم اخله من كلام منثور وشعر مشهور فقف على ماأصلت يبن لك مافرعت انشاء الله

﴿ باب النهى عن الهوي والتعرض لاسباب الضنى ﴾

اعلم أنه يقبح بالرجل الاديب والعاقل اللبيب ان يستخذي في هواه ويملك قلبه سواه ويكون خادم قلبه وأسير حبه لاسيما مع تغير الزمان وغدر الاحباب والخلان ما يجد فيهم خليلا صادقا ولا يصاحب الا ماذقا ثم ان أجهل الجهالة وأضل الضلالة صبر الفتى الأديب على غدر الحبيب فان الصبر على الخيانة والغدر يضع من المروءة والقدر * وقد قال بعض الشعراء فاحسن

وانى وان حنت اليكم ضمائرى ... فما قدر حبى أن يذل له قدري

فلا ينبغي لاحد أن يذل لهواه فيشمت بنفسه أعداه ولا يركن الى واحدة من النساء الحرائر والاماء فكلهن في الغدر سواء ومالواحدة منهن عهد ولا وفاء * ولقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حيث يقول

لا أيها القوم المحبون ويحكم تعزواعن الاحباب واحتسبوا الاجرا
* فما واحد منهم بواف لواحد وصاحبتي تجزي وفائي لها غدرا
فلو كنت من صخر لما كنت صابراً وما أنا من صخر وما أنوك الصبرا

وقد بلغنا أن ببعض بلاد الهند قوماً لايعشقون ويرونه ضربا من السحر والجنون وذلك لمن فيهم الفلسفة ولهم الحكمة والتجربة زعموا أن سبب العشق سبب النوى وفيه المذلة والعناء ومنه يكون السقم والضنى وأكثر من في النساء وفاء أسرعهن خيانة وجفاء وأعطاهن حلفاً وايماناً أسرعهن خبثاً وسلوانا فيارحمتي للادباء وشفقتي على الظرفاء فما أطول بلاءهم وأكثر شقاءهم وأسخن عيونهم يبتلى العزيز منهم بالذليلة والكثير منهم بالقليلة والشريف بالدنية والنبيل بالزرية فيطول في عشقها سهره ويكثر في أمورها فكره وتنهل عليها اذا نأت دموعه ويطول لديها اذا قربت خضوعه وهى تظهر له المحبة وتبدى له الرغبة وتحلف بالايمان المحرجات والعهود المؤكدات أنه حظها من الآدميين وشغلها دون سائر العالمين وتريه الجزع عند الفراق والفرح عند التلاق فتملأ قلبه هما وتورثه ضني وسقماً وهى تكاتب سواه ولا تعبأ بهواه لها في كل زاوية ربيط وفي كل محلة خايط لم يعدها قول الشاعر

فيامن ليس يقنعها محب ولا ألفا محب كل عام
أظنك من بقية قوم موسى فهم لايصبرون على طعام
أتيت فؤادها أشكوا اليه فلم أخلص اليه من الزحام

ولا قول الذى أنشدني قوله أيضاً

الخان يعجز عن قوم اذا كثروا لكن قلبك مثل الخان أضعاف
في كل يوم له خمسون يعشقهم فى كل شهر له ألف وآلاف

وحكى الهيثم بن عدي أن رجلا من العرب هوى جارية فتمسك

بودها وركن الى محبتها ثم أطلع على أنها لا ترد يد لامس فقطعها وأنشد يقول

ألا حي اطلالا لواسعة الحبل ألوف تسوي صالح القوم بالرذل
فلو أن من أضحى بمنعرج اللوي الى الرملة القصوي بساقطة النعل
جلوساً الى أن يقصر الظل عندها لراحوا وكل القوم منها على وصل

ومن أكثر المحال وأحمق المقال قناعة المرأة بصديق وصبرها على رفيق أحسن من فيهن حالا وأقلهن أشغالا من لها صاحب مشهور وخليل مستور وربيط تراسله وصديق تحامله وان كان ذلك لا لمال ولا لطمع وآمال فقد كنا تقدمنا في باب صفة القينات وما طبعن عليه من المكر والخيانات انهن يكتسبن بالهوى والعشق ويدارين بالتملق والرفق وليس بنات البيوت في الخدور وربات الحجال والقصور كذوات المذق من القينات وكذوات التكسب من المتقنيات فان هؤلاء معروفات بطلب الدراهم والاموال منسوبات الى التكسب بتمشق الرجال لا يقدم عليهن الا مغرور ولا يثق بهن الا مسحور وانما يذهب على أهل الالباب وأهل التظرف والآداب ومكر البنات المخدرات والغواني المحجبات اللواتى لم ترهن العيون ولم تكثر فيهن القالة والظنون اللواتي يبذلن نفيس الاموال لمن يتعشقنه ويعنين من راسلنه وكاتبنه وتزعم أنهن وراء الحجاب ودون الاقفال والابواب وانهن لا فرج لهن الا فى المكاتبة ولا فرح الا في المراسلة ولا سرور الا فى النظر من بعيد ولا يقدون على اللقاء الا في الخروج فى كل عيد وأولئك اللواتى تخف أمورهن وتعمى سرائرهن ويطمع الجاهل فيهن ويصبو النزق اليهن ويثق بحبهن الاحداث والاطفال ولا يتمسك بمودتهن الا الجهال مع أن مكرهن أخفى من الخيال وأعظم من راسيات الجبال تنفذ حيلهن على الرجال ويتمكن كيدهن من الابطال وفيما خبر الله جل ثناؤه فى بعض القرآن

من عظيم كيدهن ولطف حيلهن مايغنى عن شرح كثير من سرهن وان في قصة زليخا ويوسف مايستغنى به ذوو العقل والافهام من مكرهن القوى وكيدهن الخفى ولن يحترز منهن الا المجرب ويتقى منهن الا المدرب فان ذا الحنكة اذا كان بهن عاليا وكان في أمورهن حكيما أخذ من حبهن عفوه وشرب من هواهن صفوه ولم يعلق بهن فؤاده ولم يملكن قياده وذلك الحسن الحال والرخي البال لم تورقه الغموم ولم تنضجه الهموم لا كالذي غلب عليه الشقاء وأتيح له البلاء فركن الى حبهن ودعته الرغبة الى ودهن فتمكن منه الهوى وتفرد به الضنى وتلك لا تشعر بسهره ولا تعبأ بفكره وبالله أقسم صادقا لو حلفت انهن لايعرفن شيئاً من الوفاء ماحنثت ولو بحث المغرور بهن المخدوع بحبهن عن صحيح أخبارهن وفحص عن مكنون أسرارهن لوقف على صورة غدرهن ولبان له حالة من مكرهن وطوى عليه بعد الكرامة ولرجع على نفسه بالملامة كما أنشدني بعض الادباء لنفسه

أصلك أرجو بعدان رث حبله	لقد ضل سعيي اذ رجوت ملولا
أتوب اليك اليوم من كل توبة	فقد هنت في عيني وكنت جليلا
اذا لم يجدا لي عن الغدر مذهبا	وجدت الى حسن العزاء سبيلا
فو الله لا أرضيت داعية الهوى	اليك ولا أعصيت فيك عذولا

وأنشدني أيضاً

سأغدر حتى تعجبوا من خيانتي	فمالي ذنب غير حسن وفائي
ولولا أمور عارضت ما سبقتني	الى الغدر حقا لو تركت ورائي
سأنزف دمعي حسرة وتندما	على ما مضى من صبوتي وعنائي

أنشدني للحسين الخليع

يراك على الايام تنجوا مسامنا	ولست تري من غدرة أبداً بدا

السة الذي آليت بالله جاهدا يميناً وخنت الله موثقه عمدا
ألا في سبيل الله ود بذلته لمن خانني ودي ولم يرع لي عهدا
عدمتك من قلب أقام لغادر على العهد حتى كاد يقتلني جدا

ومن ذلك قول الحكمي

ألا في سبيل الله ود بذلته لمن لم يكن مني لمعشاره أهلا
سوي ما اذا فكرت فيه وجدتني أفوز به أني اكتسبت به عقلا

وأنشدني بعض الادباء لنفسه

توافيت لي حتى حسبتك مغرما وأعرضت حتى خلت نفسي مجرما
ومالك شيء منهما غير أنني أراك ترى نقض المواثيق مغنما
وما كنت أدرى كيف يصبر عاشق ولا كيف يسلى بعد أن يتتيما
فأنقذتني بالغدر من غمرة الهوي وعلمت قلبي الصبر حتى تعلما
ولو لم تخلصني بغدرك لم أجد الى سلوة حتى القيامة سلما
فلم ترعني قبل شخصك ظالما تعمد أن يجني فأصبح منعما
جوزيت عني بالذي أنت أهله فكل امريء يجزي بما قد تيمما
سيندم انسانا لعهد خليله وقل لمن لم يرع أن يتندما

وأنشدني أيضا

ياقد قد بان من كلفت به نحل عنك البكاء من أثره
شغلت بالفكر في تغيره أعظم مما لقيت من حذره
قد يسلم العاجز الضعيف وقد تتلف روح الهوى من غيره
وقد يفوت القريب مطلبه وقد يؤوب البعيد من سفره
فان يذقك الوصال حسرته فقد جنيت اللذيذ من ثمره
فارحل فمن لا يحل مورده يفض به صفوه الى كدره

ولقد أحسن الحكمي حيث يقول

أيها المنتاب عن عفره لست من ليلي ولا سمره
لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المرمن ثمره

وأنشدني محمد بن خلف أحد الفقهاء وأحسن فى قوله

اذا كنت لا أنفك منك مروعا بغدر فان الهجر ليس برائع
اذا خانني من كنت أهوى وصاله فلست بجنات الخلود بقانع
أبت عزماتي أن يقود زمامها الى غادر بالعهد ذل المطامع
فيامن به كانت حياتي حبيبة الى ومن لولاه قلت روائعي
تعز بيأس عن تذكر ما مضى فلست لمن لم يرع عهدى بتابع
واني وان لم يرق دمعي تأسفا عليك فما قلبي اليك براجع

وأجود ماقيل فى هذا الباب قول أبي ذؤيب الهذلي

فان تعرضى عنى وان تتبدلى خليلا واحدا كن سوء قصارها
فاني اذا ما خلتــه رث حبلها وجدت لصرمى واستمر عذارها
وحالت كحول القوس طلت وعطلت ثلاثا فأعيي ردها وظهارها
فانى قمين أن أودع عهدها بحمد ولم يرفع الينا شنارها

وأحسن محمد بن عبد الله بن طاهر حيث يقول

ألم تر أن المرء تدوي يمينه فيقطعها عمدا ليسلم سائره
وكيف تراه بعد يمناه صالحا بمن ليس منه حين تدوى سرائره

فهكذا لعمرى ينبغي أن يفعل الادباء ويمثل هذا فليتحفظ الظرفاء وقد يجب على العاقل المتأدب وذوي الحنكة والتجارب أن يجعل المرأة بمنزلة الريحانة يشم نضرتها ويتمتع بزهرتها حتى اذا جاء أوان جفافها وحالت عن حالها في وقت قطافها نبذها من يده والقاها وباعدها من مجلسه وقلاها اذا لم يبق فيها بقية لمستمتع ولا لذة لمتمتع ولله در الذي يقول

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن عليك شجاً في الحلق حين تبين

وان هي أعطتك الليان فانها لآخر من خلانها ستلين
وان أقسمت لاينقض النأي عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

ومثل ذلك قول النمر بن تولب

وكل خليل علته الرعا ث والحيلات كذوب ملق

ومن جيد ماقيل في هذا الباب مما يجب قبوله على ذوى الالباب قول الحكم بن معمر الخضري أحد بنى حصن بن محارب .

وبعض الهوى داء وفي اليأس راحة اذا أنبت وصل أو نبابك منزل
وذو العقل لاييأسي على وصل حلة اذا لم يكن يوما عليها معول
فلا ترض بالامر الذى ليس بالرضي اذا كنت تعتام الامور وتفصل
اذا المرء لم يحبيك الا تكرها فدعه ولا يعجز عليك التحول
وفي الارض أكفاء وفيها مراغم عريض لمن خاف الهوان ومرحل
وأن يقطع الامر الذي أنت قادر على جذه منه أعف وأجمل

والكلام في هذا الباب مطرد والقول فيه منسرد ولكن كرهت به اطالة الكتاب واقتصرت على قليل من الخطاب وأبديت نصيحتي للادباء وأهل المعرفة والعقلاء وأخبرت بما صح عندى وبالغت في النصيحة جهدي فان رغب فيها راغب فغير ملوم وأن زهد فيها زاهد فغير مذموم وأنا أعود الى ذكر الظرف والهوى فقد مضي من هذا الباب ما كفي واعلم أن للعشق سنة مقصودة وللظرف شرائع محدودة ورأينا أربابه وأهله وطلابه متبعين لسبلها متمسكين بحبالها متي حالوا عنها سموا بغير اسم الظرفاء عند أهل الظرف ودعوا الى غير سنة العشاق والادباء وهم فيما استحسنوه من الزي والطيب والثياب والهدايا والطعام والشراب حد محدود مستحسن معلوم وزي بين الطائفتين مقسوم لا الرجال يتجاوزون ماحد لهم الى حد متظرفات النساء ولا النساء

يتجاوزن حدهن الى حد الرجال الظرفاء وأنا أصف لك زي الفريقين من الظرفاء والمتظرفات وأشرح لك ماعليه هؤلاء وهؤلاء من الزي والهيئات ان شاء الله

﴿ باب ذكر زي الظرفاء ﴾

(في اللباس المستحسن عند سرات الناس)

أعلم أن من زى الرجال الظرفاء وذوي المروة الادباء الغلائل الرقاق والقمص السفاق من جيد ضروب الكتان الناعمة النقية الألوان مثل الديبقى والجنابى والمبطنات التاختج والخامات ودواريع الدرجرد والاسكندرانى والملحم الخزي والخراسانى ومبطنات القوهى الرطب وأزر القصب الشرب والاردية المحشاة المدنية والطيالسة الملحم النيسابورية والمصمتة الديبقية والجباب النيسابورية والمصمتة الطرازية والوشي السعدية والخزوز الكوفية والمطارف السوسية والا كسية الفارسية والطيالسة التونسية الزرق السلولية وكل ما أشبه ذلك وقاربه ودنا منه وصاحبه وليس يستحسن لبس الثياب الشنعة الالوان المصبوغة بالطيب والزعفران مثل الملحم الأصفر والديبقى المعنبر لان ذلك من لبس النساء ولبس القنات والاماء وقد يلبسون ذلك فى القصد .. ملاحيت ووقت الشراب والحلوات الغلائل الممسكة والقمص المعنبرة والاردية الملونة والازر المعصفرة وربما استعملوها لفرشهم ولبسوها فى وقت قصفهم وتنازعوها فى مجالسهم وتحمدوها فى منازلهم والظهور فيها قبيح بالسوقة والظرفاء مستحسن من أهل اللهو وابناء الحسناء وليس يجيز أهل الظرف و الادب لبس شيء من الثياب الدسمة مع غسيل ولا غسيلا مع جديد ولا الكتان مع المروى ولا الباياف مع القوهى أيضا وأحسن الزي ماتشاكل واتطبق وتقارب واتفق

﴿ باب زي الظراف في التكك والنعال والخفاف ﴾

ومن زيهم لبس النعال الزيجية والثخان الكنبانية والمشعرة اليمانية والحذو اللطاف والمختمة الخفاف ويشرك أسودها بأحمر وأصفرها بأسود ويلبسون الخفاف الهاشمية والمكسورة الكتابية ومن الادم الثخين والأسود الرزين بالجوارب الخز والمرعزي والقز ويعيبون لبس الاحمر من الخفاف ولبس الدارشية الخفاف ويتخذون التكك الابريسمية والتكك الخزية والمطارف القطنية والمنقوشة الارمنية

﴿ باب زيهم المخصوص في الخواتيم والفصوص ﴾

التختم بالعقيق الاحمر والفيروزج الاخضر والفضة المحرقة والياقوت الاسمانجوني والبجاذي الخراساني والمعرانية الحمر والياقوتية الصفر واليمانية السود الحسنة القدود على الخواتيم المهرانية والمضروبة المتوكلية ولا يتختمون بالذهب وليس من زي ذوي الادب وانما هو من لبس النساء ولبس الصبيان والاماء

﴿ باب زيهم في التعطر والطيب ﴾

(الذي من خالفه كان غير مصيب)

ومن زيهم في التعطر والطيب بالمسك المسحول بماء الورد المحلول واستعمال العود المعنبر بماء القرنفل المخمر والند السلطاني والعنبر البحراني والعبير والذرائر المفتوقة بالعبائر وسوى ذلك من الطيب لا يقربونه والكافور لعلة برده لا يستعملونه الا من حرارة ظاهرة أو من علة غالبة أو موضوعا على الجمر مخلوطا بعبير المسك وزعفران الشعر وهو

بهذه الصفة أطيب البخور ولبس البرمكية وما أشبهها عليهم بمحظور وان الجيد من البرمكية ومن البخور الزكية وانما يكره استعمالها المتظرفون اذ هي مما يستعملونه المتقللون وكذلك اجتنبوا ماء الخلوق لانه من طيب النساء والغالية اذهى من طيب الصبيان والآماء ولا يستعملون شيئاً من الطيب الذفر مما يبدوله لون ويبقى له أثر وفي ذلك حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طيب الرجال ماظهر رائحته ومتى استعملوا شيأ من الغالية أو أطيب النساء كانت في أصول الشعر بحيث يشم ولا يرى له أثر

﴿ باب فى مستظرفات النساء ﴾

(فى اللباس المخالف لزي الظرفاء)

لبس الغلائل الدخانية والاردية الرشيدية والشروب المزنرة والاردية الطبرية والقصب الملون والحرير المعين والمقانع النيسابورية وأزر الملحم الخراسانية والجربانات المخانقية والكمام المفتوحة والسراويلات البيض المذيلة والمعاجر السود المصنبلة ولا يلبسن شيأ من التكك ولا شيأ من المرشوش والمطيب ولا النقية الالوان ولا من الثياب البياض الكتان الا ما كان ملونا فى نفسه أو مصبوغاً من جنسه أو مغيراً بلون من أجناس المسك والصندل وأجناس العنبر والمسنبل ليحول بالطيب عن تلك الحال اذ لبس البياض عندهم من زى الرجال ولا يلبسن أيضاً من الثياب الاصفر والاسود والاخضر والمورد والاحمر الا ما كان جنسه الصفرة والتزريق والخضرة والتوريد والحمرة مثل اللاذ والحرير والقز والديباج والوشي والخزلان لبس المورد والاحمر والسنبرى الاخضر انما هو من لبس النساء النبطيات ولبس الاماء المتقينات والبياض عندهم من لبس المهجورات والازرق والحداد من لبس الارامل والمقرعات

وأحسن الذى عندهم ماذكرناه وليس يتجاوزحد مارسمناه

﴿باب زيهن المخالف لزي الرجال﴾

(فى لبس التكك والخفاف والنعال)

لبس النعال الكنبانية المشعرة والمدهونةالمخضرة والخفاف الزنانية والمكسورة والرهاوية والتكك الابريسيمية والرجال يشركونهن فى التكك الابريسيمية ولا يشركن الرجال في التكك الديباج المنسوجة وشرابات الابريسم المفتولة والزنانير المراض ولا يزهين في ألوانها الى البياض ولا ما كان منها كثير الالوان والتخطيط ويتطيرن من الالوان وقد يلبسن أيضاً التكك الخزية المطرفه القطنية ومن زيهن أيضا في الطيب الذي ليس للرجال فيه نصيب استعمال اللخالخ والصندل والصياح والقرنفل والساهرية والادقال والمعجونات والزعفران والخلوق وماء الخلوق والكافور وماء الكافور والمثلثة الخزانية والبرمكية السلطانية وسائر صنوف الادهان من البنفسج والزنبق والبان الا انهن اجتنبن استعمال والترشنام والرجال لايستعملون شيأ من ذلك والنساء يستعملن جميع طيب الظرفاء والظرفاء لا يستعملون شيأ من طيب النساء ومن زيهن المعلوم في لبس الحلى المنظوم لبس مخانق القرنفل المخمر ومراسل الكافور والعنبر والقلائد المفصلة والمعاقدات المخرمة بشرابات الذهب المشبكة والابريسمية المسلسلة ونحاذ السبج اللطاف من المخروطة الخفاف ومثل السبج الحلك والكوهر والكرك والبلور النقى وحب اللؤلؤ السري والحب الاحمر والكاربا الاصفر وسائر صنوف الياقوت والجوهر وينظمن بالحب وصنوف الجوهر كرازنهن وينقشن بالابريسم والذهب عصائبهن ويتخذن خواتيم المقرنة والمناقير المطبقة بفصوص

الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر والاسمانجوني والاصفر ولا يحسن بهن التختم بالمينا والعقيق والفضة والحديدوالملوح والفيروزج والبجازى والمسانيح وذلك من لبس الرجال والاماء وليس من لبس متظرفات النساء ولا يتخذن منها ماضاق وعسر ولا ما جفا وكبروقد تطير بعض الظرفاء من هدية الخاتم وزعموا انه يدعوا الى القطيعة وتهاداه آخرون وأقاموه مقام التذكرة والوديعة فأما الذين تطيروا منه فينشدون

وما كان هذا الهجر من طول بغضة ولكن بعض المزح للمرء قاتل
مزحت لحيني مرة بخواتيم لآخذه حلت على النوازل
فصدت ولم تعلم على خيانة وطول صدود الخل للعقل سامل

وينشدون أيضاً

اني مزحت ولم أعلم بخاتمه فكان منه ابتداء الهجر والنصب
قد كنت ماقال أهل الظرف أنكره وكان قولهم عندي من اللعب
ان الخواتيم فيها قطع وصلكم فقلت هذا لعمرى غاية الكذب
حتى ابتليت فكان الحق قولهم أخذ الخواتيم فيه أكثر العطب

وأنشدني صديق لى فى ضد ذلك

يقول أناس فى الخواتيم أنها تقطع أسباب الهوى وأقول
بان خواتيم الملاح وصولة وخاتم من تهوى الملاح وصول

والعلة فيما كرهه الظرفاء وتطير منه الادباء من هدية التكة والخاتم حتي صار مستفيضاً في العالم ان هذين وحديهما من جميع اللباس أن يستظرفا ويستنبا ويستحسنا فيستوهبا وان الواحد اذا أهدى الى خليلة وأرسل الى حبيبه بخاتمه أو تكته فقفد ذلك من بده أو حزنه بعثه باعث من غيرته على قطيعته وهجرته فاما من يتلقى هدية آخاته بالقبول وينزلها منه بالمنزل الجليل ويحفظها كحفظه لبصره ويشفق عليها

من الدهر وغيره فهو آمن من المجانبة مستريح من المعاتبة وقد رأيناهم وربما أهدوا ذلك فيهدونه على سبيل البيع ويأخذون منهم الشيء الطفيف اليسير كالدرهم الصغير والقطعة من البخور فيخرج بهذا البيع عن حد الهدية ويأمنون مافيه من مكروه البلية وقد بلغني أن أبا نواس دخل على خالد خيلويه فنظر في أصبعه الى خاتم فقال أرينيه فدفعه اليه وكان علامة بينه وبين جارية يحبها فانصرف فاستعمل واحداً على مثاله ثم بعث به اليها فأنكرت الفص فبعثت به اليه ولم تأتيه فدخل على حياله فلما رآه مثل بين يديه وأنشأ يقول

تفديك روحي يا أبا جعفر ... جارية كالقمر الازهر

* تعلقتني وتعلقتها ... طفلين في المهد الى المكبر

كنت اليها تهادي الهوي ... بخاتم لي غير مستنكر

فأنكرته اذا رأت فصه ... فأدركتها غيرة المنكر

قالت لقد كان له خاتم ... أحمر يهديها الينا سرى

فاليوم قد عاق غيرى فقد ... أهدي له الخاتم لاآمتري

* آمنت بالله وآياته ... ان أنا لم أهجره فليصبر

أو يأت بالحجة فى تهمتي ... اياه فى خاتمه الاحمر

فأردده تردد وصلها انها ... قرة عينى يا أبا جعفر

فأخرجه من أصبعه فدفعه اليه فهذا دليل على اجازة تهادى الخواتيم وحفظها لاربابها وشدة الغضب والغيرة عند ذهابها فأما الطعام فعيوبه أشد الاشياء على الظرفاء ضرراً وهم من عيوبه أشد توقياً وحذراً لتكاثف عيوبه وكثرة معيبه وأنا أبين لك زيهم في ذلك وما استحسنوه فى ذلك واستعملوه وما استقبحوه فاجتنبوه ان شاء الله

﴿ باب ذكر زى الظرفاء في الطعام ﴾

(الذي بانوا به عن منزلة اللئام)

اعلم أن أول ما استعملوه تصغير اللقم والتحالل عن الشره والنهم وأكل الأوساط الرقاق والبزماورد الدقاق وليس يأكلون العصبة والعضلة ولا العرق والكلوة ولا الكرش والقبة ولا الطحال والرئة ولا يأكلون القديد يأكلون الثريد ولا ما فى القدر من الورق ولا يستحسنون المرق ولا يتبعون مواضع الدسم ولا يملئوون أيديهم بالزهم ولا يجللون الملح وهو عندهم من أكبر القبيح ولا يكوكبون في الخل ولا يمنعون في اكل البقل ولا يأكلون الطلع لشبه رائحته برائحة الماء الدافق ولا يمششون من العظام كراديس قصب الساق الغليظ وانما مشاشهم مالان وصغر ولا ما غلظ وكبر ويأخذون ماثقل من المشاش على ظهر الاصابع ويطرحونه ناحية من الخوان ولا يزهمون مابين أيديهم من ارغمان ولا يتعدون مواضعهم ولا يلطعون أصابعهم ولا يملئون باللقم أفواههم ولا يدسمون بكبرها شفاههم ولا يقطرون على أكفهم ولا يسجلون فى مضغهم ولا يأكلون بجانبي الشدقين ولا يزاءجون بين الاثنين ولا يجاوزون ما بين أيدهم شئ من الفتات ولا يأكلون قدراً بائتة ولا قدراً مسخنة ولا يغمسون فى مرقة ولا يضعون لقمة ولا يأكلون شيئاً من الكوامخ والصحنات ولا الريثاء والسمكات ولا شيئاً من الكواميخ والمالح وأكل ذلك عندهم من الفضائح الاأن القينات المتظرفات والنساء القصريات ربما لظرفن بأكل المالح والمملوح فى منازل متعشقيهن وبيوت مرابطيهن فيذهبن مذهب طرح المؤونات وخفة النفقات ولا يأكلون الجراد والاربيان لعلة شبههما بالاشياء القبيحة من الحيوان ولا يأكلون الحبوب

التي تهيج الارياح وتولد القرقرة والانتفاخ ولا يأكلون أكثر من
أكلة ويكثرون القيام في مجالسهم ولا يكثرون من الضحك والكلام عند
حضور المائدة والطعام ولا يتخللون على المائدة قبل أن تفرغ ولا يحفزون
لمجيئها قبل أن توضع واذا غسلوا أيديهم لم يطلبون الغسل قبل طلب
ايتائها من الوسخ والكدر ولم يقصدوا التقصير الذي يبقى منه رائحة
الغمر وكذلك أيضاً اذا تمندلوا فعلوا كفعلهم اذا غسلوا فأما النقل فانهم
يحضرونه موائدهم ويطعمونه ولائدهم ولا يكثرون من أكله ولا يأتون
على كله وانما يعبثون منه بالشيء اليسير من النعنع ويجتنبون من ذلك
الهندبا والأكشوث لبردهما والفجل والحرف لنتنهما والكراث والبصل
لرائحتهما والقداح والخندقوقا لخشنهما ولانهما أيضاً يخضران الاسنان
والعمور ويحدثان الرائحة والتغيير ولن يقع الثوم في قدر فيذوقونه
ولا البصل فيقربونه ولا يلفظون باسم الطرخون لابتداء اسمه وشناعة
لفظه فيكنون عنه فيضيفونه الى النعنع وقد سماه بعضهم بقلة الجياع وسماه
آخرون كافور الفؤاد وكل يقصد الى معناه والخس لا يقربونه لموضع
تفقته والخيار لا يأكلونه لعلة برده والجزر يتجالون عن مسه ولا يرون
النظر اليه دون أكله وكذلك القثاء والهليون ولموضع النوى أيضاً رغبوا
عن أكل الزيتون ورغبوا عن أكل ما خالطه النوي من فاكهة الصيف
والشتاء مثل القصب والبسر والمشقق أيضاً والتمر وكذلك سائر الارطاب
والمشمش والنبق والعناب وكذلك في الخوخ والشاهلوج والاجاص وهو
عندهم من أكل العوام لا من أكل الخواص ولا ينفق عندهم
الرمان والتين وهذان عندهم والبطيخ من تهجين خاصة اذا انشقت
الرمانة وتصدعت البطيخة اذا انكسرت وجوزة ولوزة وتينة وموزة
ولا يدفع بعضهم الى بعض وردة واحدة ولا نبقة واحدة ولا لوزة

واحدة للتسفيل ولما يقع فيه من التمثيل ولا تقول متظرفة لاخرى هذه وردتك ولوزتك ونبقتك وجوزتك ورمانتك وتينتك وذلك عندهم أجل العيوب تشمئز منه القلوب ويجتنبون له أشد الاجتناب ويكتئبون له أمر اكتئاب وكذلك لا تقول واحدة لاخرى ارفعي رجلك ولا ذيلك ولا اقعدي عليه ولادخليه وأخرجيه ولا أصعديه ولا صبيه ولا أنفخيه ولا سيبي ولا سرحي ولاشيلي ولا انحي ولا امهلي ولا قد عملت ويجتنبون ذلك وماأشبه من الكلام مما كثر استعماله في خطاب العوام ولا يكادون يلفظون به ولا يطيف بإسنتهم ولا يجيزونه في شيء من مخاطبتهم ويحذرونه ويتوقون منه ويعيبون المتكلم به ويعرضون عنه

﴿ باب ذكر زيهم في الشراب ﴾

(الذي يختيره ذوو الالباب)

أما ماعليه الظرفاء وأهل المروءة والادباء فانهم لايشربون من الشراب أسوده ولا يشربون الا أجوده مثل الشمش والزبيب والعسل والمطبوخ والطلاء والمعدل ولا يقربون مالاثمه الخثر ولاماخالطه الكدر ولا يشربون الاماصفا من الشراب ويتجالون عن المسحور الدوشاب اذهومن شراب العامة والرعاع وشرب السوقة والاتباع ولا ينتقلون على شرابهم بالاشياء الرذلة مثل الباقلي والبلوط والبسر المقلو والقريثاء والحنطة والغبيراء والشاهبلوط والخرنوب الشامي وما أشبه ذلك من الانقال وأكثر ما ينتقل به المتظرفون ويعبث به المتزيكون مملوح البندق ومقشر الفستق والملح النفطي والعود الهندي والطين الخراساني والملح الصنعاني والسفرجل البلخي والتفاح الشامي ويتخذون من كل شيء من الآنية اسراه ومن الزجاج أجوده وانقاه وأما ما اجتنبوه من الهدايا وتخوفوا من هدايته

البلايا فاشياء يكثر بها العدد ويصول بها الامد وأنا أذكر من يسيرها مايستدل به على كثيرها

﴿ باب ذكر الاشياء التي يتطير الظرفاء من إهدائها ﴾

(ويرغبون عنها لشناعة أسمائها)

فمن ذلك الاترج والسفرجل والشقائق والسوسن والنمام وأطباق الخلاف والغرب والبان فاما الاترج فان باطنه خلاف ظاهره وهو حسن الظاهر حامض الباطن طيب الرائحة مختلف الطعم ولذلك يقول فيه الشاعر

أهدي له أحبابه أترجة ... فبكى وأشفق من عيافة زاجر
خاف التلون اذا أتته لانها ... لونان باطنها خلاف الظاهر
فرق المتيم من حموضة لبها ... واللون زينها لعين الناظر

وأما السفرجل فلان فيه اسم السفر وقد قال فيه الشاعر

متحفى بالسفرجل ... لا أريد السفرجلا
اسمه لو عرفته ... سفرجل فاعتلي

وقال آخر

أهديت اليه سفرجلافتطيرا ... منه وظل متيما مستعبرا
خاف الفراق لان أول اسمه ... سفر فحق له بان يتطيرا

وما الشقائق فلشطر اسمه ولقول الشاعر فيه

لا تراني طوال دهـ ... ري أهوي الشقائقا
ان يكن يشبه الخدو ... د فنصف اسمه شقا

وقال آخر

لا يحب الشقائقا ... كل من كان عاشقا
ان نصف اسمه شقا ... ء اذا فهت ناطقا

وأما السوسن فلان اسمه السوء وقال فيه الشاعر

سوسنة أعطيتنيها وما　　كنت بإعطائكها محسنه
شطر اسمها سوء فان جئت با　　آخر منها فهو سوء سنه
وأنت ان هاجرتني ساعة　　قلت أتت من قبل السوسنة

وقال آخر

ياذا الذى أهدى لنا سوسنا　　ما كنت في اهدائه محسنا
أوله سوء فقد ساءني　　ياليت أنى لم أر السوسنا

وأما الياسمين فلمبدأ اسمه تطير منه ولقول الشاعر

اني لا ذكر بالريحان رائحة　　منها فللقلب بالريحان ايناس
وأمنح الياسمين البغض من حذرى　　لليأس اذ كان في بعض اسمه ياس

وقال آخر

أبصرته في المنام ناولني　　من كفه الياسمين والغربا
فكان يأس في الياسمين وفي الـ　　غرب اغتراب ياشوم ما وهبا

وقال آخر

أهدى حبيبي ياسمينا في　　من سره الطيرة وسواس
أراد ان يؤنس من وصله　　اذ كان في شطر اسمه الياس

وأما النمام فلشناعة اسمه وقول الشاعر فيه

حييتها بتحية فى مجلس　　بقضيب نمام من الريحان
فتطيرت منه وقالت أقصه　　لا تقربن مضيع الكتمان

وأما الآس فقد تطير منه قوم وزعموا انه اياس وتفاءل به آخرون وزعموا انه مواساة وأساس قال الشاعر

ما أحسن الآس في عيني وأطيبه　　لولا اتصال حروف الآس بالياس
ماضر من كان أهدى الآس من بدء　　لو قال ريحانة يعنى به الآسي

لولا الذى أتقى من طيرتي بهما ما فارقا أبدا تاجا على راسي

كذلك تطيروا من الخلاف لموضع الخلف والغرب للاغتراب والبان للتباين وروى عن كثير عزة انه بلغه انها عليلة وانها تتشوقه فخرج يريدها وهي بمصر فرأى غرابا ساقطا على بانة ينتف ريشه ويطايره على رأسه فتطير من ذلك واتي عرافا من نهد أخبره بما رأي فآيسه من حياتها وأخبره بوفاتها فلما وصل الى مصر خبر بموتها فانشأ يقول

فما أعيف النهدى لادر دره وأعلمه بالزجر لاعز ناصره

رأيت غرابا ساقطاً فوق بانة ينتف أعلى ريشه ويطايره

فاما غراب فاغتراب من الهوى وبان فبين من حبيب تعاشره

وقال أبو الشيص

أشاقك والليل ملقى الجران غراب ينوح على غصن بان

أحص الجناح شديد الصياح يبكي بعينين ما تدمعان

وفى نعبات الغراب اغتراب وفي البان بين بعيد التداني

وقال بعض الاعراب

وكنت قد اندملت فهاج شوقى بكاء حمامتين تجاوبان

تجاوبتا بلحن أعجمي على غصنين من غرب وبان

فقلت لصاحبي وكنت أحري بزجر الطير ماذا تخبران

فقالا الدار جامعة بسعدى فقلت بل أنتما متيمنان

وكان البان أن بانت سليمى وفى الغرب اغتراب غير وان

وقال نصيب

ألا راع قلبي من سلامة أن غدا غراب على غصن من البان ينعب

فأزجر ذاك البان بينا مواشكا وغربة دار ما تداني فيصقب

وقد استحسنوا هدايا كثيرة وتفألوا فيها بقول الشاعر وان كان

بعضها مما ذكرناه انهم لا يتهادونه من طريق الظرف واجتنبوه لعلة التسفيل وأحبوه من حسن التفول فمن ذلك الرمان وهو مما ذكرناه انهم لا يتهادونه لما فيه من التسهيل وما يقع فيه من التمثيل وكذلك الشاهلوج والنبق والورد والبنفسج فاما الرمان فقد قال فيه الشاعر

أهدت اليه بظرفها رمانا تنبيه ان وصالها قد آنا
قال الفتى لما رآه تفولا وصل يكون متمماً أحيانا
رم يرم تشمي بوصالها لقد التفؤل صادقا قد كانا

وأما الشاهلوج فهو مما فيه التوي وقد تهاداه قوم لموضع تفؤل الشاعر به اذ يقول

أهدت اليه الآن شاهلوجا تنبيه أن لو جاء كان ولوجا
فضي على فأل الهدية جاسراً عمدا فصار مداخلا خريجا

وأما النبق فهو يستقبل وقد قال فيه الشاعر

أيا أحسننا خلقا ومن فات الورى سبقا
تفاءلت بان تبقى فاهديت لنا النبقا
فاتقاك إله النا س ما سرك أن تبقى
وأشقى الله شانيك وحاشى لك أن تشقى

وأما البنفسج أيضاً فقد قال فيه الشاعر

أهدت اليه بنفسجاً يسليه تنبيه ان بنفسها تفديه
فارتاح بعد صبابة وكآبة ورجا لحسن الظن ان تدنيه

وأما الخوخ فقد أطنبوا في وصفه وأكثروا من مدحه وزعموا انه أشبه شيء بالخدود من التفاح وأقرب شبها بالوجنات الملاح لانه يشاركها في البياض والسمرة والادمة والصفرة والتوريد والحمرة والزغب اللين البشرة وهو أطيب ملثم وأعذب مقبل وأذكى مشم وهو عند

طائفة من أهل الهوى أجل مرتبة من التفاح لولا ماخالطه من النوي الذى لم يشمأز منه الظرفاء ويشناه الادباء وانه مفقود والتفاح موجود وأما الورد فقد تفاءل به كثير من الظرفاء وذكره كثير من الشعراء نشدني بعض الادباء

أهدى له ورداً فاخبر انه ... فى الواردين ولم يكن ورادا
فارتاح من فرح بطيب وفوده ... وعدا له ورد الحياء فزادا

وليس عندهم في الروض شئ يشبهه ولا فى عروض الروض ما يدركه وقد ذكرت ذلك في باب لطيف لرغبتي فى اقتصاد التأليف فقف عليه واعرفه

﴿ باب ماقيل فى صفة الورد ﴾

(ومحله في قلوب ذوي الوجد)

اعلم أن الظرفاء قد أكثروا من تفضيل الورد ومدحته الشعراء وقد أطنب فيه وأفرطوا في نعت حسنه واشتهوا رائحته حتى شبهوه بالوجنات الحمر وقايسوه الى الخمر ومثلوه بالاشياء الملاح كفعلهم بالتفاح وهما عندهم في مرتبة واحدة قال العباس بن الاحنف

أبغض الآس والخلاف جميعا ... لمكان الخلاف واليأس منها
وأحب التفاح والورد حتى ... لو وزنتيه بالجبال وزنها
أشبها ريقها ونكهة فيها ... فهما ينبئان بالطيب عنها

وقال آخر

عشية حيانى بورد كأنه ... خدود أضيفت بعضهن الى بعض
وولى وفعل الخمر فى حركاته ... فمال بنسيم الريح بالغصن الغض

وقال آخر

يضحك الورد الى ور د بخديك مقيم
جمعا شكلين وقفين لألحاظ النديم
غير أن المسك أولى بك من كل نسيم

وقال آخر

سيعلم الورد أني غير ذاكره اذا الخدود أعارت حسنها بصري
كم بين ورد مقيم في أماكنه وبين ورد قليل المكث في الشجر
هذا جنى مصون في منابته وذاك ممتهن في كل محتضر

وقال عبد الله بن عبد الله بن طاهر

مرت وفي كفها ورد فقلت لها حيي محبك قالت عنه لي شغل
فقلت بخلا فقالت قد وهبت له ورداً جنياً وذا بالكف يبتذل
ان كان لم يجنه منه أنامله فقد جنته له الالحاظ والمقل

وقال آخر

ورد خديك مقيم أبدا ليس يريم
أنا منه في نعيم مابدا منه نعيم

وقال آخر

تمتع من الورد القليل بقاؤه فانك لم يفجعك الا فناؤه
وودعه بالتقبيل والشم والبكا وداع حبيب بعد حول لقاؤه

وقد تطير منه آخرون وسموه الغدار وغضوا دونه الابصار لقلة لبثه ويسير مكثه وسرعة زواله وتغيره وانتقاله وخبرت ان قينة أهدت الى ربيط لها غصن آس فسر به وأنشأ يقول

والآس يبقى وان طال الزمان به والورد يفنى ولا يبقى على الزمن

وأهدت له ورداً تطير منه وقال

أنت ورد وبقاه ال ورد شهر لا شهور

يذهب الورد ويفنى   والى الآس نصير

فكتب اليه بعض اخوانه

سر بالآس الذى أهدت له   ثم لما أهدت الورد جزع
ذلك أن الآس باق دائما   ولان الورد حينا ينقطع

وقال بعض الشعراء

وصلت وكان الورد أول مابدا   فلماتولى الورد ولت مع الورد
فياليت أن الورد آس فانه   يدوم على الحالين في الحروالبرد

وفضائل الورد أكثر من أن يحصى عددها أو يبلغ أمدها وقد أفردت لذلك كتاباً بوّبته أبواباً وترجمته بكتاب العقد وشحنته بفضل الوردفاغنى مافي ذلك الكتاب عن اعادة ذكره في هذا الباب والتفاح أعظم عندهم قدراً وأجل أمراً وأعلى درجة وأرفع رتبة لسلامته من البياض والتوريد وقد ذكرت فضائل التفاح في كتاب التفاحة في غير باب فاغنى عن اعادته فى هذا الكتاب غير أني أذكر فى كتابناهذا جملة مما وصفته به الادباء ومدحته به الشعراء ولست أذكر فى عرض هذا الكتاب شيئاً مما فى ذلك الكتاب لان لا يبتلى بشيء من المحن فينسب الى ضيق العطن وبالله التوفيق

﴿ باب ذكر التفاح وما كره الادباء من أكله ﴾

اعلم أن التفاح عند ذوى الظرف والعشاق وذوي الاشتياق لايعدله شيء من الثمر ولا النور والزهر كيف وبه تهدأ أشجانهم وبوروده تسكن أحزانهم وعنده يضعون أسراهم واليه يبدون أخبارهم اذ كان عندهم بمنزلة الحبيب والانيس وبموضع الصاحب والجليس وليس في هداياهم مايعادله ولا في ألطافهم ما يشاكله لقلبة شبهه بالخدود الموردة

والوجنات المضرجة وهو عنـدهم رهينة أحبابهم وتذ كر أصحابهم الى وردته يتطربون وبرؤيته يستبشرون ولهم عند نظرهم اليه أنين وعند استنشاق رائحته حنين حتى ان أحـدهم اذا غلب عليه القلق وأزعجه الارق لم يكن له معول الا عليه ولا مشتكى الا اليه وأنشدني بعض أهل الادب

لما نأي عن مجلسي وجهه ودارت الكاس بمجراها
* صيرته تفاحة بيننـا اذا ذكرناه شممناها *
* واهاالها تفاحة أشبهت خديه في بهجتها واها *

وقال الحكمي

تفاحة جاءت و قد علقت وركبت بالورد والآس
أشرب من كأسي على ريحها بالرغم من أهلي وجلاسي

وقال آخر

تفاحة أهديت ظرفا معضضـة وقد جرى ماء ثغري في ضواحيها
بيضـاء في حمرة علت بغاليـة كانما جنيت من خـد مهديهـا
قد أتحفتني بهـا في النوم جارية روحي من السوء والاسقام تفديها
لو كنت ميتاً ونادتني بنغمتهـا لخلت للصوت من لحدى ألبيهـا

وقال آخر

حياه من يهوي بتفاحة قد عض أعلاها باسنانه
جاد ولم يخل بها بعد ما عـذبه دهراً بهجرانه

وقال آخر

تفاحـة تأكل تفاحـة ياليتني كنت الذي يوكل
فالثمر والثغر لكي أشتفي بسلة الاكل ولا أوكل

وقال آخر

تفاحة من عند تفاحة قريبة العهد بكفيها
أحببها تفاحة أشبهت حمرتها حمرة خديها

وقال آخر

تفاحة حمراء منقوشة ركبتها فى خضرة الآس
فلم تزل فى كف ندماننا تدور من كأس الى كاس

وقال آخر

تفاحة من عند تفاحة ضمخها المهدى لها بالعبير
يا مهدى الحسرة ياقاتلى أهديت لى والله قصم الظهور
قد كنت في بحرين من حبكم فصرت مذ أهديتها في بحور

وقال آخر

فلو كنت اشتكيت لاجل حزني وما القاه في دار الخلود
* وكان طعامنا فيها جنياً من التفاح والورد النضيد
لقلت دعوا لها حصصي فاني أشبهها بالوان الخدود

وقال آخر

حياه من يهوي بتفاحة قد جنيت باللحظ من خده
معضوضة باللحظ محفوفة بعسكر الآجال من صده
لو شمها الخلق لماتوا معاً لشر ما يلقاه من جهده

وقد مضى من هذا الباب مقنع وهو كثير متسع ولهم أشياء من زيهم جليلة ونتف من مناقبهم نبيلة أنا أصفها لك فى موضعها وأقطعها من مقاطعها منها السواك الذى صيروه كاحد الفروض الواجبة والامور الارادية وقد شرحت فيه بابا لتقف عليه ان شاء الله

﴿ باب ماجاء فى السواك وما قيل في عود الاراك ﴾

اعلم أن من زي الظرفاء وأهل المروءة والأدباء وأرباب الديانة والترفل استعمال السواك والتسوك فهل أنبل النظافة وأحسن الطهارة وأكمل المروءة ويرغب فيه أهل الظرف والفتوة وله خصال مستحسنة وهو أيضاً من السنة وقد روى في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال طهروا أفواهكم فانها مسالك التسبيح وعن أبى بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وحدثنا أبى قال حدثنا ابن أبي شيبة عن عبد الله بن ادريس عن محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمر عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعن على بن أبي طالب رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل تسوك وعن أبى المليح عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أمرت بالسواك حتى حسبت أن يكون يكتب على وعن ابن أبي مليكة قال عائشة تقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وليلتي ويومي وبين سحري ونحرى وخلطت ريقه بريقى فقلت يا أم المؤمنين وكيف خلطت ريقه بريقك قالت دخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده سواك فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد اشتهي السواك فاخذت سواكه فمضغته ثم أعطيته فاستاك عليه السلام فلم يشغل النبي صلى الله عليه وسلم نزول الموت عن طلب السواك اذ هو أظرف ما استعمل وأنبل ما استحسن لانه يبيض الاسنان ويصفى الاذهان ويطيب النكهة ويطفئ المرة وينشف البلغم ويشد اللثة ويقوي العمور ويجلو البصر ويحد النظر ويفتح السدد ويشهي الطعام وقد استعملوا أمر المساويك الاراك والسكر

وأصول السوس وعود المحلب وعروق الاذخر وعقد العاقر قرحا وكلما أغربوا فى اتخاذ ذلك كان أكمل لظرفهم وأبلغ في معاني وصفهم وللمساويك أوقات معلومات ومواضع محدودات لا تستعمل في غير أوقاتها ولا يتجاوز بها عن ساعاتها فجائز استعمالها بالغدوات والعشيات وأوقات الظهيرات وقبل الغداة وبعد الصلاة وعلى الريق وعند النوم وفي نهار الصوم ولا يجوز السواك عندهم في مواطن شتى منها الخلاء والحمام وقارعة الطريق ومحفل الناس ولا يستاك أحدهم وهو قائم ولا متكئ ولا نائم ولا حيث يراه أحد ولا يستاك ويتكلم والسواك فى الخلاء والحمام من فعل السفلة والعوام وهو أيضاً يرخي اللثة ويغير النكهة وليس ذلك عندهم من فعل الادباء ولا من فعل ذوي المروة والظرفاء وقد اتخذ أهل الظرف للمساويك طسوتا لطافا وأباريق الشبه الخفاف وكراسي الآبنوس المصدفة والخيزران المشبكة والاحقاق المخروطة والمسواكدانات المدهونة والسنونات المعمولة ووقتوا له الاوقات المعلومة التي جعلوها كالفرائض المكتوبة والسنن المفروضة يتأهبون لوقته ولا يستعملون رأس المسواك مدة طويلة وذلك عندهم من الافعال الذليلة ويتخذون لها اللفائف الخز وعصائب القز ليصونوها بذلك عن الدنس ويوقوها من الغبار والنجس وقد تهادى أيضاً أهل الظرف المساويك وأقاموها مقام الرهينة والتذكرة والوديعة والقبلة كما فعلوا باللبان الممضوغ والتفاح المعضوض وقال العباس بن الاحنف

طال ليلي بجانب الميدان   مع جواري المهدي والخيزران
أرسلت باللبان قد مضغته   بين تفاحتين فى ريحان
وبعثوا كما الذى اختاره الله   لفيها من طيب الاغصان
فكأني وجدت ريحاً من الفردو   س فاحت من ريح ذاك اللبان

وقال أيضاً

ولما وهبتم خاتماً فرددته لمعرفتي أن الخواتيم تقطع
فاهدي سواكاً مس فاك فانه يسكن ناراً في جوى القلب تلذع

وقال بشار بن برد العقيلي يذكر ذلك أيضاً

تسوكت لي بمسواك لتعلمني ماطعم فيها وما همت باصلاح
لما أتاني على المسواك ريقتها مثلوجة كزلال الماء بالراح
قبلت مامس فاها ثم قلت له ياليتني كنت ذا المسواك ياصاح

وقال أيضاً

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر الاشهادات أطراف المساويك
ان الذي راح مغبوطا بنعمته كف تمسك أو كف يعاطيك
ولو وهبت لنا يوما لنعيش به أحييت نفساً وكانت من مساعيك
يا رحمة الله حلي في منازلنا حسبي برائحة الفردوس من فيك

وقال أيضاً

يطيب مسواكها من طيب نكهتها وان ألم بجلد جلدها طاب

وقال آخر

وبراقة تفتر عن متبسم كنور الاقاحي طيب المتذوق
اذا مضغت بعد امتناع من الضحا أنابيب عيدان الاراك المخلق
سقت شعب المسواك ماء غمامة فضيضاً بمزوج العقار المصفق

وقال جرير

ما استوصف الناس من شيء يرزقهم الا أرى أم نوح فوق ما وصفوا
كأنها مزنة غراء رائحة أو درة لا يواري لونها الصدف
مكسورة الندى في لب يزينها وفي المناسب من أنيابها عجف
تسقى غمام ندي المسواك ريقتها كما تضمن ماء المزنة الرصف

وقال الفرزدق

دعون بقضبان الاراك التي جنى لها الركب من نعمان أيام عرفوا
فجن به عذب الرضاب عذابه رقاق وأعلى حيث ركبن أعجف

وقال ذو الرمة

جرى الاسحل الاحوى بطفل مطرف على الغر من أنيابها فهي نصع

وقال آخر

نظرت بعيني شادن وتبسمت بظمياء عن غر لهن غروب
جرى الاسحل الاحوى عليهن أوجرى عليهن من ماء الاراك قضيب

وقال جرير

يجرى السواك على أغر كأنه برد تحدر من متون غمام
إقرا السلام على سعاد وقل لها يوما ترد رسولنا بسلام

وقال أيضاً

ان الشقاء وان ضنت بنائلها فرع البشام الذي تجلو به البردا
ما في فؤادك من داء يخامره الا التي لو رآها راهب سجدا

وقال جميل بن معمر

بثغر قد سقين المسك منه مساويك البشام ومن غروب
ومن يجري غوارب أقحوان شتيت النبت في عام خصيب

وقال آخر

وغادين بالقضبان كل مفلج به الظلم لم تفلل لهن غروب
رضابا كطعم الشهد يجلو متونه من الايك أوغض البشام قضيب
أولئك لولاهن ماسقت نضوة ولا قابلتني في البلاد جنوب

وقال أيضاً

اذا الريح من نحو الشمال تنسمت وجدت لرياها على كدي بردا

تخبرت من نعمان عود أراكة   لهند ولكن من يبلغه هندا

وأنشدني أبو علي الحسن بن عليل العنزي قال أنشدني الزبير بن
بكار قال أنشدني أبو مسلم الكلابي لمهدي بن المملوح الكلابي

تمنيت ليلى وقد كنا نبجلها   قالت سقى الله ذاك المربع الجدبا
يا حبذا راكباً كنا نهش له   يهدى لنا من أراك الموسي القضبا

قال القطامي

منعمة تجلو بخوط أراكة   ذري برد عذب شتيت المناصب
كأن فضيضا من غريض غمامة   على ظمأ جادت به أم غالب
لمستهلك قد كاد من شدة الهوى   يموت ومن طول العداة الكواذب

وقال بعض الاعراب وتروى للأميلس

منعمة هيفاء عجزاء خدلة   تمس مثاني شعرها قضبا خزلا
وتجلو بمسواك الاراك مفلجاً   عذاب الثنايا لاقصارا ولا ثعلا

وقال المطوي

عند كن الفؤاد والقلب رهن   في يدي ذات دماج ووشاح
وثنايا رقيقة كغدير   من مدام وروضه من أقاح
فساويكها بها كل يوم   في رياش من اصطباح الراح

وقال علي بن الجهم

حجوا مواليك يا برهان واعتمروا   وقد أتتك الهدايا من مواليك
فاتحفيني مما اتحفوك به   ولا تكن تحفتي غير المساويك
ولست أرضاه حتى ترسلين به   مما جلا الثغر أو ما جال في فيك

ولأبي الطيب في ذلك

شهيدي على طيب اللثات وريقها   أنابيب عيدان الاراك المفرع
كأن حبابه الريق حين تمجه   على شعب المسواك عنبر ممزع

رشاش ذكى المسك شيب بعنبر　　أو الراح من صفو العقار المشعشع

وقال مروان بن أبي حفصة

شفاء الصدي ماء المساويك والذى أجـــتنى الريق من نخل يناز لها طفلها

فيا حبذا ذاك السواك وحبذا　　به البرد العذب القريض الذي يجلو

وأحسن محمد بن عبد الله بن طاهر حيث يقول

واذا سألتك بعض ريقك قلت لى　　أخشي عقوبة مالك الأملاك

أيجوز عندك أن يكون متيم　　يهواك عندك دون عود أراك

ماذا عليك جعلت قبلك في الثري　　من أن أكون خليفة المسواك

وهذا باب تطنب فيه الشعراء ويتسع لها القول في ذكره وقد مضى من بعضه ما أغني عن شرح كله وأنا أصف لك جملة من جميل مناقبهم وما يؤثر من حسن مذاهبهم ان شاء الله تعالى

﴿ باب صفة ذوى التظرف ومباينتهم لذوى التكلف ﴾

اعلم ان من كمال أدب الادباء وحسن تظرف الظرفاء صبرهم على ما تولدت به المكارم واجتنابهم لخسيس المآثم وأخذهم بالشيم السنية والاخلاق المرضية وأنهم لا يداخلون أحداً فى حديثه ولا يتطلعون على قارئ فى كتابه ولا يقطعون على متكلم كلامه ولا يستمعون على مسر سره ولا يسئلون عما ورى عنهم علمه ولا يتكلمون فيما حجب عنهم فهمه يتسرعون الى الامور الجليلة ويتبطئون عند الاشياء الرذيلة فهم أمراء مجالسهم بهم يفتح عسر الاغلاق وبهم يتألف متنافر الاخلاق تسموا اليهم الآماق وتثنى عليهم الاعناق ولا يطمع في عيبهم العائب ولا يقدر على مثالبهم الطالب ألا ترى انهم لا يتنجعون ولا يتبصقون ولا يتثاءبون ولا يستنثرون ولا يتجشؤن ولا يتمطؤن وذلك عيب عند

الظرفاء مكروه عند العلماء وفيه حديث مأثور حدثنيه عبيد بن شريك
قال حدثنا ابن أبي مريم قال أخبرني يحيى بن أيوب قال أخبرني ابن
عجلان عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب وان أحدكم اذا قال
هاها فان ذلك الشيطان يضحك في جوفه والظرفاء لا يتثاءبون ولا
يتمطؤن ولا يوقعون أكفهم ولا يشبكون أصابعهم ولا يمدون أرجلهم
ولا يحكون أجسادهم ولا يمسون آنافهم خاصة اذا كان أحدهم بين
يدي خليله أو ربيطه أو حبيبه أو من يحتشمه ومن يكرمه ولا يدخل
أحدهم الخلاء من حيث يراه أحد ولا يبول بين يدي أحد وليس من
زيهم الاقعاء في الجلسة ولا السرعة فى المشية ولا الالتفات في طريق
قصدوه ولا الرجوع في طريق سلكوه ولا ينفضون الغبار عن أرجلهم
في المواضع المكنوسة ولا يستريحون في الاماكن المرشوشة ولا يجالسون
فى مجلس فينتقلون منه ولا يقعدون بحيث يقامون عنه ولا يشربون ماء
الاحباب ولا الماء فى دكاكين الشراب ولا ماء المساجد والسبيل وذلك
مشنى عند ذوي العقول ولا يدخلون دكان هراس ولا دكان رواس ولا
يجتازون بدكان مراق ولا يأكلون شيأ مما يتخذ فى الاسواق ولا
يأكلون على قارعة الطريق ولا في مسجد ولا في سوق وفى ذلك حديث
مأثور وخبر مشهور حدثنيه أحمد بن الهيثم المعدل قال حدثنى سهل بن
نصر واسحاق ابن المنذر قال حدثنا محمد بن الفرات قال حدثني سعيد
ابن لقمان بن عبد الرحمن الانصاري عن أبي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الاكل فى السوق دناءة والظريف لا يأخذ
شعره فى دكان حجام ولا يدخل بغير مئزر الى الحمام وقد حدثني أحمد
ابن محمد بن غالب صاحب الخليل قال حدثني أحمد بن عبد الله بن

هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال النظر فى مرآة الحجام دناءة وحدثنا
أحمد بن محمد بن غالب قال حدثنا اسماعيل بن محمد بن راشد بن سعيد
عن عكرمة عن ابن عباس قال من قلة مروة الرجل نظره في مرآة
الحجام واطلاعه فى بيت الحائك وقد ينبغي للظريف أن يدخل الحمام
على خلوة لئلا ننظر فيه الى سوءة ولا يمد عينه الى أحد ولا يعلق ثوبه
على وتد ولا يدلى رجله فى البئر التي ينصب اليها الماء فان ذلك مما يفعله
الادنياء ولا يدلك يديه بخرقة فان ذلك مما يستعمله السخفاء ولا يتمرغ
على حرارة أرض الحمام فان ذلك مما يفعله سفلة العوام بل ينبغي له أن
يدخله متزراً ويقعد فيه معتزلا ولا يقعد مستوفزاً على رجله فان ذلك
طعن على عقله ولا يميل مضطجعاً بل ننتصب متربعاً حتى اذا انصب
العرق من بدنه وتحدر على جسده وكان عرقه بين الكثير والقليل نشفه
عن بدنه بمنديل ثم دعا لرأسه بالغسول والاشنان المنخول فان كان من
أهل المروات والنعم وأهل البيوتات والقدر ممن لا ننسب فى فعله الى
شئ ليس من شكله فليبتدئ دخوله الحمام بالامساك عن الكلام
والتجرع من الماء الحار ثلاث جرع وليقعد للعرق فوق نطع حتى اذا
عرق سلت بدنه وجميع عرقه فوونه وهذا الفعل لا يصلح الا لذوي
نعمة أو شريف أو متأدب فيلسوف وأما سائر الناس من أهل الظرف
فانهم ينسبون بهذا الفعل الى السخف ولا ينبغي لظريف أن يمشي بلا
سراويل ولا يتزر بمنديل ولا يمشي محلول الازرار ولا مسبل الازار ولا
يماكس في الشرى ولا يركب حمار الكرى ولا ينزل في خراب ولا يقبض
على كتاب ولا يشارط صانعاً ولا يصاحب وضيعاً ولا يشاتم رفيقاً ولا
يغتاب أحداً ولا يذكر بسوء أخا ولا ينم بسريرة ولا يظهر خبيئة ولا
يخون عهداً ولا يخلف وعداً ولا يضرب بين اثنين ولا يفسد بين

خليلين ولا يسعى الى سلطان ولا يغمز بانسان ولا يهتك حرمة ولا يتعرض لسرقة ولا يتحلى بالكذب ولا يستهدف لريب ولا يجاهر بالزنى ولا ينطق بالخنى ولا يفسد حرمة الاخ الصديق ولا حرمة الجار الازيق وأجود مافي هذا المعنى قول الاحوص بن محمد الانصاري

قالت وقلت تحرجي وصلى ... حبل امرئ بوصالكم صب
صاحب اذا بعلي فقلت لها ... الغدر مني ليس من شعبي
ثنتان لا أدنو لوصلهما ... عرس الخليل وجارة الجنب
أما الخليل فلست مخلفه ... والجار أوصاني به ربي

ومن تكامل ظرف الظريف ظهور بزته وظهور طيب رائحته ونقاء درنه ولطافة بدنه ولا يتسخ له ثوب ولا يدرن له جيب ولا ينفتق له ذيل ولا يرى في دخاريصه ميل ولا في سراويله ثقب ولا يطول له ظفر ولا يكثر له شعر لا يفوح لابطه دفر ولا لبدنه غمر ولا يسيل له أنف ولا يسود له كف ولا يظهر له شقاق ولا يرشش له بصاق ولا يقف في مأقه رمد ولا صواره زبد ومن زيهم في مصاحبة الارداء ومعاشرة الاخلاء حفظ العهود وانجاز الوعود والدوام على الوفاء وقلة الرغبة في الجفاء وحسن المؤاتاة لاودائهم والمساعدة لأخلائهم والبشر بمن لقوا والتفقد لمن فقدوا والمساعفة بابدانهم والمعونة باموالهم وتخفيف المؤن على اخوانهم وكف الاذى عن جيرانهم والصفح عن المسئ لهم عند اساءته ومقابلة المحسن باحسانه والترحيب بالصغير والتبجيل بالكبير وقد حدثني محمد بن يونس القيسي قال حدثنا يزيد بن بيان قال حدثنا أبو الرجال عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن شاب أكرم شيخاً عند سنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه وقد يجب أيضاً على أهل المروءة مثل الذي يجب على أهل الظرف

والفتوة والأدب لأنهما ليسا بالقذافة والقصف ولا بالمفاخرة والحسب وانما هما بكمال المروءة والادب ولن يعرف الفتى جميل مواهب الفتوة الا بسلوك طرائق المروة وقد ذكرت الفتوة عند بعض العلماء فقال ان الفتوة ليست بالفسق والفجور ولكنها طعام موضوع وأذى مرفوع ونائل مبذول وبشر مقبول وعفاف معروف واجتناب للقبيح وأدب ظاهر وخلق طاهر وترك مجالسة أهل الشرور والسمو الى معالي الامور والاحسان الى من أساء ومكافأة من أحسن وقضاء حوائج الناس فهذه جملة من زيهم في حسن مناقبهم ومستحسن جميل مذاهبهم ولهم أيضاً رقة الطبع والتلطف في كل الامور والمداراة والتملق والتأني والترفق ومن ذلك قولهم من حب طب أي رفق وداري ومن ذلك سمي الطبيب طبيباً لترفقه ومداراته والعرب تقول هو طب بالامور أي عالم رفيق قال عمرو بن أبي ربيعة

فأتتها طبيبة عالمة تخلط الجد مرارا باللعب
ترفع الصوت اذا لانت لها وتراخى عند سورات الغضب

ولهم حسن التأني فيما يريدونه ولطيف الحيل فيما يحاولونه وخفي التلطف لما يطالبونه حوائجهم سرية وسرائرهم مخفية وأمورهم باطنة وحيلهم لطيفة يوردون الامور مواردها ويصدرونها مصادرها ولهم فيما استحسنوا من الهدايا بينهم والبر والملاطفة والمكاتبة والتحفة من غيرهم ما يستصغر ومن ذلك انهم ربما أهدوا الا ترجة الواحدة والتفاحة الواحدة و لدستبويه اللطيفة والشمامة اللطيفة والغصن من الريحان والطاقة من النرجس والرطل من الشراب والقطعة من العود والمخزنة من الطيب والشيء اليسير والوعظ الصغير ونظير ذلك من الاشياء القليلة الحقيرة والذليلة التي لاقدر لها عند ذوى العقول فيستكثر

ذلك منهم ويلقى بالقبول وتستحسن هـدايا هم وتستظرف ويفرح بها وتستطرف ورغبة غيرهم من الناس في الاشياء الجليلة والهـدايا النبيلة والطرف السرية والتحف السنية غير أهل الظرف فانهم اقتصروا على اللطف اللطيف والبر الخفيف * ومن ذلك كتبهم الملاح وألفاظهم الصحاح التي يستعطفون بها القلوب ويسترون بها العيوب ويستقيلون بها العثرات ويستدركون بها الهفوات التي قد استخلصوها من بديع الحرير الصيني ومليح الملحم النيسابوري وصفيق الدبيقي الخفي ونقي الناحتج والقوهي * وتغلغوا الى الكتاب في ذلك بالذهب والمسك والزعفران والسك واتخـذوا لها طرائف المناديل الرقاق وجياد الزنانير الدقاق وطيبوها بالمسك والذوائر وعنونوها بمتظرفات الامثال والنوادر وختموها بالغالية المستمسكة وطبعوها بنتف الالفاظ المهلكة وقد ضمنت من مليح المكاتبـة وطرائف المعاتبة وجميل المطالبة وشكيل المداعبة ما يقربون به البعيد ويهونون به الشديد وقد بينت ذلك أحسن البيان وشرحتـه باخص المعاني ووصفت ما يتوصلون به من الرسائل وما يضمنونه كتبهم من الرسائل في كتاب معرد وكلام مجرد ترجمتـه كتاب فرح المهج وجعلت مافيـه ذريعة الى الفرج فاغنى عن تطويل هذا الباب ما مر في ذلك الكتاب وأنا أصف لك أيضاً في كتابنا هـذا جملة ما استحسنوه بينهم من المكاتبة وما استعملوه بينهم من المعاتبة وأقصـد في ذلك الى مداعبة الكتاب ومعاتبة الاحباب وما تعاتبوا به من الابيات واختاروه من المقطعات وما ذكروا على العنوانات من الكلام وما ضمنوه في كتبهم من السلام على غير نقص مني لكل ما في ذلك من الاشعار اذ كان قصدي في كل أبواب الكتاب الى الاختصار وبالله أستعين وأستكفي واياه أسترشد وأستهدي

﴿ باب ما اختير من ألفاظ الادباء فى المكاتبات ﴾

﴿ واستحسن من الظرفاء من مليح المعاتبات ﴾

أخبرني الوضاح بن ثابت الكاتب قال كنت عند بعض الكتاب اذ دخلت عليه وصيفة كأنها قمر تتثنى فى مشيتها كأنها جان أو كأنها غصن بان ريان حتي وقفت بين يديه فقالت مولاتى تقرأ عليك السلام وتقول لك يا أخي جفوتنا من غير استحقاق للجفاء وملت الى غير مذاهب الظرفاء وانى لم أزل واثقة باخائك راجية لحسن وفائك وتحقيق ظن مؤملك أولى بك من الوقوف على تجنيك * فقال لها اقرئي عليها السلام وقولى لها يا أختي أنا من ودك على أحسن عهدك ومن الامل لك على أضعاف ما عندك ولقد استوحشنا من فقدك فاجعلي لنا حظاً من أنسك * فسألته عنها فقال جارية على بن الجهم * وأخبرني محمد بن ابراهيم الهمداني قال أخبرنى مولى لمحمد بن عبد الله بن طاهر قال قرأت رقعة لمولاى الى بعض اخوانه * يأخى مددت يداً الى المودة مبتدئاً فشكرناك وشفعت لك بشيء من الجفاء فعذرناك والرجوع الى محمود الوداد أولى بك من المقام على مكروه الصد * وكتب بعض الظرفاء الى صديق له * أيدك الله بوفاء الادب من النزع الى الجفاء وجعل آخر سخطك موصول بأول الرضاء * وكتب بعض الادباء الى صديق له يستعتبه على جفاء كان منه ليس من تدبير من شملته أبهة الحكم وسمت به معالي الهمم أن يعطف على عهود صديق بعقوق ولا تضمحل واجبات الحقوق ولا تغيره نوب أيامه عن رعاية ذمامه والسلام * وكتب آخر الى صديق له * بدأتنا بمودة عن غير خبرة وهجرتنا من غير سبب يوجب طول الهجرة وقد أطمعنا أولئك في أخائك وآيسنا آخرك من وفائك فسبحان من لو شاء

كشف باليقين من الرأى عن غير سمة الشكوك فى أمرنا فاتفقنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف والسلام * وكتب سعيد بن حميد الى بعض الكتاب * بلغني حسن محضرك فغير بديع من فضلك ولا غريب عندي من برك بل قليل الفضل بكثير وصغير الحق بكبير حتى اجتمع في قلب قد وطن لمودتك وعنق قد دانت لطاعتك وليس أكبر سؤلها وأعظم أربها الا طول عمر بقاء النعمة عليك والسلام * وكتب بعض الكتاب الى صديق له * مازال أحمد من عواقب رأيك وأشبه من وفائك حتي وثق فى ضميرى من مودتك ما استنجدنى لطاعتك واستوى على من موافقتك ماسهل على سبيل عتبك فما أسلك بغلبة الهوى طريقاً الا الى رضاك ولا أستعين بهواك منك عليك الا كان عونا عليك لك ولنعم المستعبد لى أنت على المحامد واكتساب سنا الفوائد ولذلك أقول

على رقيب من هواك يقودني ... اليك على الحالات فى السخط والرضى

وليس هواى حيث لا يستحقه ... ولكن هواي حيث كان لك الهوي

لساني رهين بالذي أنت فاعل ... ورأبي موصول بما كنه نري

وما زلت لى عوناً برأي موفق ... على صلة القربي بهدي أولى النهي

وكتب الحسن بن وهب الى محمد بن عبد الملك * سرورى أعارنى الله حياتك اذا رأيتك كوحشتى لك اذا لم أرك وحفظي لك في مغيبك كمودتي لك في مشهدك وأنى لصافى الاديم غير نغل ولا متغير فامنحنى من مودتك مزن لذاذة مشربك وكن لى كأنا فوالله ماعجبت عن ناحيتك الا وأنا محني الضلوع اليك والسلام * فكتب اليه محمد * يا أخي مازلت عن مودتك ولا حلت عن أخوتك ولا استبطأت نفسى لك ولا استزدتها في محبتك وان شخصك لماثل نصب طرفي ولقل مايخلو من ذكرك قلبي ولله در الذى يقول

أما والذي لو شاء لم يخلق النوي　　لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي
يذ كرنيــك الشوق حتى كانني　　أناجيك من قرب وان لم تكن قربي

وكتب بعض الكتاب الى صديق له تبين منه جفوة سيدي الزمتني الخضوع وحرمت على الهجوع وضرمت ناراً بين الضلوع فتركتني فيك لاذاً بالمدو وممنوعا من السلو منخفضاً من العلو بمنزلة من خان وداً أو نقض عهداً أو أخلف وعداً او أظهر صداً أو جحد يداً أو كفر عارفة أو غمط نعمة سالفة سيدي لما اشتغلت بك النفس القلقة والعين الارقة حلت عن محمود الوفاء وزلت عن غير ذنب يوجب عقوبة المجترم وغير سبب يقدح في مودة العبــد المهتضم الذي توقعه جريرته وتوبقه خطيئته وتحل به اساءته وتلزمه هفواته سيدي أوقعني يسير جفائك واعراض لحظاتك في بحار هموم عرفتها صبابة وغموم أخاطبك بلسان يعجز عن المخاطبة وأكاتبك بيد لاتجرى الى المكاتبة وأناجيك بضمير الهيبة المشاهد لك في الغيبة مناجاة مغرم وصريع تجلد وحليف تلدد سيدي كل عذاب ووجد جديد وسقام عتيد فهو في محبتك والدوام على مودتك يسير فاما السبيل الى وجه السرور فتعذرة والخلاص في طرق السلامة الى الراحه فستوعرة قد غلب الظمأ وبعد المورد وقل العزاء وفقد الصبر وانحلت العزيمة وبطل الرأي وثبت الهوي فتمكن في الحشاء فلا محيص لعبدك عنك ولا بد له في حالة السخط والرضى منك سيدي الرجوع الى محمود الشيمة أشبه من العود بالفضل والتطول بالوصل أولى بالمولى من الوقوف على الصد الذي يقدح في النية ويزيل عقــد الطوية وشفيعي اليك الذي أرجوا نجاح الشفاعة خضوعي لك واعتصامي بك وانحطاطي في طاعتك ووقوفي بين يديك مستكينا متحيراً معترفا فان ذلك أبلغ شفيع وأنت فيما تراه في أمري أكرم مولى في كل حال

فانه يتوقع جواب كتابه بما يسكن اليه وتتجدد به النعمة لحق تأميله وأكرم صفده وأقم أوده وعد في جفائه الى دوام صفائه والسلام

﴿ باب ماضمنوه كتبهم من الاشعار ﴾

(وتكاتب به ذوى الظرف والاخطار)

انشدني بعض الادباء

هـذا كتاب متيم خطت اليك أنامله
مزج المداد بدمعه فبكت عليه عواذله
أنت الطبيب فداوه يامبتليه وقاتله *

وقال آخر

هـذا كتاب فتى له همم عطفت اليك رجاءه هممه
غلب الزمان يدي عزيمته ورمى به من حالق قدمه
* أفضي اليك بسره قلم لو كان يعقله بكى قلمه *

وقال آخر

هذا كتابي بدمع عيني أملاه قلبي على بناني
الى غزال كنيت عنه يجل على اسمه لساني

وقال آخر

هذا كتاب أخي هوى وصبابة لايستطيع لما به كتمانا *
لاقى الدواة بعبرة مسفوحة كانت لمضمر لاعج عنوانا
قرح الفؤاد تسوده أشجانه لما به بخل الطبيب وخانا

وقال آخر

هـذا كتاب متيم يشكو الصبابة فى كتابه
فاردد عليه جوابه كى يستريح الى جوابه

لو كان ينطق ذا الكتا　　ب شكا اليك عظيم مابه

وقال آخر

هذا كتاب فتى شكا سقما　　ألف السهاد فشفه سقمه
يبكي عليه جفون مقلته　　عدد الحروف وقد بكى قلمه
لولا مراقبة العدو ومن　　أضحى من الرقباء يتهمه
لبكى علانيـة وقال لهم　　برح الخفاء وباح مكتتمه

وقال آخر

هذا كتابي اليك أشكو　　ان لم تجد لى فما احتيالى
كتبت أشكو اليك مابي　　مما أقاسى فما تبالى *
ياحسن الوجه كن شفيعى　　اليك ان لم أبح بحالى
ماذكر القلب منك شيئاً　　الا تمثلت لى حيالى

وقال آخر

هذا كتاب فتى لغيبك حافظ　　صب بذكرك مستهام مدنف
ان غبت آنس طرفه بدموعه　　واذا أصابك طرفه لم يطرف

وقال آخر

هذا كتاب أخي هوى مشتاق　　قرح الجفون بدمعه المهراق
أملى هواه على بنان يمينه　　فابان كيف مصارع العشاق
وكأنه ينبي بما فى نفسه　　من طول شوق وا كتئاب باق

وقال آخر

هـذا كتاب متيم مشتاق　　يشكوا الى مستظرف ذواق
أهدي له الهجران بعد تواصل　　وكذاك فعل الخائن المذاق
ماهكذا فعل الكرام فاجمل　　وتحرجي ان تنقضي ميثاقى
وارثي لصب هائم قد شفه　　طول التحبيب وشدة الاطلاق

وأنشدني ابراهيم بن محمد لنفسه

هذا كتاب متيم في قلبه ... ناراً تضرم بكرة وأصيلا
فاذا قرأت كتابه فاجعل له ... بعد الصدود الى الوصال سبيلا
فلقد تركت فؤاده في غمرة ... وتركت في الاحشاء منه غليلا
ولقد تبرم بالحياة وطولها ... وعسي مداه أن يكون قليلا
* لاتغرين به رداه وحينه ... حاشاك أن تردي يداك قتيلا
حاشاك من قلق أطار رقاده ... فابي الرقاد فما يلذ مقيلا

وأنشدني أيضاً لنفسه

هذا كتابي اليك فاقرأ ... كتاب ذي صبوة عميد
أقلقه شوقه المعني ... وهده لوعه الصدود
لكنه في الظلام يبكي ... بكاء ذي الفقد للفقيد
ان كنت غضبان فارض عني ... رضي الموالى للعبيد

ولابى الطيب فى هذا المعنى

هذا كتابي اليك فاقرأ ... كتاب من شفه السقام
وارث لسقمي وطول صبرى ... فقد وهت مني العظام
ولا ترد قتلى وهجري ... فقتل حلف الهوي حرام

وقال آخر

أثر المحو فى سطور كتابي ... شاهد لى بعبرة وانتحاب
* وبكائي يدل أني سقيم ... خاضع للهوى طويل العذاب
أنا بين الرجا واليأس وقف ... لست أدري بما يكون جوابي
فاذا اشتقت ان أراك أنادي ... فرج الله لى من الحجاب

وقال آخر

غضبت لمحو في الكتاب كثير ... قالت أراد خيانتى وغروري

كتب الكتاب على خلاف ضميره　　والمحو فيه لعلة التغيير
ما كان دمعي للغرور وظنكم　　كلا ولا للسهو والتقصير
كتبت بيمني والدموع هواطل　　حذر الفراق لما يجن ضميرى
فالمحو من قبل الدموع وانما　　تجرى دموع العاشق المهجور

وقال آخر

ما زلت أبكي وفي يدى قلم　　حتى استهلت مدامع القلم
أكتم وجدى والدمع يظهره　　بوا كف كالجمان منسجم
مازلت حلواً من الهوي فلقد　　عذبني من هويت بالسقم
* ياسيداً ناه مايكلمنى　　نمت وعين الشجي لم تنم
أنا قتيل الهوى وميتـه　　لاعذب الله قاتلى بدمى

وقال آخر

انى رفعت اليك قصة عاشق　　ورجوت عدلك فانظرى في قصتي
ولقد كتبت ودمع عيني سا كب　　فاذا قرأت فاحسني ونبتي *
ان الدموع تفجرت فتحدرت　　منها فنون في صفات مودتي
* لافرج الله الصبابة والهوي　　عنى ولا زالت عليك محبتي

وقال آخر

أما الرسول فقد مضي بكتاب　　ياليت شعرى مايكون جوابى
وتعجلت روحي الظنون وأشربت　　طمع الحريص وخشية المرتاب

وقال آخر

أسأل الله خيرهذا الكتاب　　قد أتاني برحمة وعذاب
أشتهي فكه فأفرق منه　　ففؤادى مفرق الاسباب

وقال آخر

كتاب صب بدمع عين　　يمله قلبه الكئيب

يكتبه كفه بضعف　　وما لها في الهوى نصيب

وقال آخر

أما الكتاب فقد مضي وامامه　　خوف الرقيب وسطوة الحجاب

طلب الجواب فاحسنوا في ودكم　　لا تبخلوا عني برد جواب

هل تنقذون متيما ذا صبوة　　أضحي أسير تذكر وتصابي

جودوا عليه برحمة وتعطف　　فلقد أطلتم بالصدود عذابي

أما الكتاب فمن كئيب عاشق　　كلف الفؤاد مواصل الاوصاب

لكنه غاد الى ذى سلوة　　متعتب فى غير كنه عتاب

وقال آخر

لولا الكتاب الذي جاء الرسول به　　من الحبيب لذاب القلب واحترقا

جاء الرسول على يأس بموعده　　وقد قضيت فاحيي لى به رمقاً

وقال آخر

صليني بالكتاب وبالسلام　　وزوري زورة فى كل عام

وجودي بالكتاب وعنونيه　　الى الصب الكئيب المستهام

من الشمس المنيرة يوم دجن　　وبدر لاح من بين الغمام

وراحلة فديتك يامناي　　أمانا للفؤاد من الغرام

وقال آخر

كتبت الىّ يا روحي كتابا　　فوافق منيتي وبلوغ سؤلي

ولولا العيب همت اليك لما　　تناولت الكتاب من الرسول

مخافة نظرة من عين واش　　وتشنيع المقالة بالخليل

وقال آخر

لم يزدني الكتاب الا اشتياقا　　واشتعالا من الهوي في ضميري

بأبي أنت ياحبيبة قلبي　　ومناي وغايتي وسروري

وأنشدني أبو عبد الله الواسطي لنفسه

كتبت الى تذكر ماتلاقى   من الشوق المبرح والفراق
لعمرك ما أتهمتك في وداد   ولكن لم تلاق كما ألاقى
فؤادي هائم والعين تذري   دموعا تستهل من المآقى
وقد ذقت الفراق وكان مراً   كريهاً طعمه عند المذاق
على انى وان أبديت صبراً   على حد الصبابة غير باق

وقال آخر

فولا لمن كتب الكتاب بكفه   ارحم فديتك ذلتي وخضوعى
ما زلت أبكي مذ قرأت كتابها   حتى محوت سطوره بدموعى

وقال آخر

الدمع يمحو ويدي تكتب   عن الهوى وامتنع المطلب
* آثار خدى قمر زاهر   اليه من زهرته المذهب
لقد براني سقم قاتل   وهد جسمي دنف منصب

وقال الحسين بن وهب

يامناي وسروري   جهدنا غير يسير
والذي نشكوه فى الكتب قليل من كثير
لم تطق ألسننا من   *وصفه عشر عشير
فتى يا بأبي أنت بمكنون الضمير
ثم قولى مطلع الجوزاء والشعرى العبور
حفظ الله فتي با   ت لها خير سمير

ولبعض المحدثين

من الوهم من آثار قبر مسنم   وهام ترى قبر القتيل المتيم
ومن طلل الشوق لم يعفه البلى   ونوءى وفاء ليس بالمتهدم

الى زينة الدنيا ومنية أهلها ... وأحسن من يزهو بطرف ومبسم
وأملح خلق الله قداً وصورة ... ودلا وادلالا على حب مغرم
سلام على من شفني وأذابني ... وأسكن قلبي كل وجد ومألم
ووكلني بالنجم أرعي أفوله ... وأندبه بالدمع طوراً وبالدم
وأحمد من أبلي شبابي بحبكم ... على البؤس والسراء حين التنعم
وبعد فقد والله يسؤل عبدها ... ومولاتها نضحت أحشائي فاعلمي

﴿ ومما ضمنوه كتبهم من السلام ﴾

(وجعلوه تلوا للشعر والنظام)

عليك سلام لا سلام مودع ... ولكن سلام لم يكن آخر العهد
سلام محب خانه حسن صبره ... فاصبح في كرب الحياة وفي جهد
آخر عليك سلام الله ماهبت الصبا ... وما قرقر القمري في ورق السدر
سلام سقيم مدنف القلب مقرح ... مشوم عليل مشعل القلب بالجمر
آخر عليك سلام الله مالاح كوكب ... بأفق لساري الليل واستوثق البدر
سلام غريب شفه الوجد والهوي ... وبل حشاه الهم والذكر والعسر
آخر عليك سلام الله هل أناميت ... بداء هوانيك الشوق المقلقل
فعيشي بخير واسلمي ليس حبكم ... ولا الوجد عني ماحييت بمنجلي
آخر عليك سلام الله أما قلوبنا ... فرضي واما ودنا فصحيح
نبيت بود خالص وصبابة ... ونغدو بحب صادق ونروح
آخر عليك سلام الله قد شطت النوي ... وقد كدت ألقى الله من كمد جهدا
أموت بوجد مضمر وصبابة ... وأزداد ان زدتم على نأيكم صداً
آخر عليك سلام الله قدمت صبوة ... ومالى عزاء مذ نأيت ولا صبر
أرى الصبر عنكم كاسمه مذ نأيتم ... فقد وجلال الله ضاق به الصدر

آخر عليك سلام الله قلبي متوق وجسمي نحيل والمدامع تذرف

ومثل الهوى أضنى الحشا وبمثل ما بليت به تنكي القلوب وتشعف

وقال آخر

عليك سلام الله قدر صبابتي اليك وشوقي أنني مدنف القلب

أبيت حليف الهم والوجد والاسي رهين يد الاحزان والشوق والكرب

آخر عليك سلام الله ماحن آلف وما اشتاق ذو وجد وماطلع الفجر

سلام مشوق نحوكم متطلع أخي حسرات خانه فيكم الصبر

﴿ باب ما كتبوه على العنوانات ﴾

(وسلكوا به سبيل المداعبات)

الى ستي ومالكتي وروحي من الجسد الطريح بغير روح

آخر إلى الشمس المنيرة حين تبدوا غداة الدجن من يوم الغيوم

من الصب الكئيب أخي التصابي حليف الشوق محتبس الغموم

آخر من الدنف الذي يضحي حزيناً وبين ضلوعه قلب مصاب

الى الخود التي أبلت شبابي فاضحي مايسيغ لي الشراب

آخر مني الى قلبي ولم أر كاتباً يخط بأقلام الى قلبه قبلي

أرى كل شيء بالياً متغيراً وحبك لايبلى ولكنه يبلى

آخر مني اليك فاني هائم دنف حالف السقام براني الشوق والاسف

النفس ذاهبة والعقل مختلس والقلب محتبس والروح مختطف

آخر مني اليك فما وجدي بمنصرم حتى الممات وما قلبي بمعذور

ولو رأيتك يوما لاانقضى حزني وعاد عيشي صفواً بعد تكدير

آخر مني اليك فاني هائم قلق حليف هم قرين العين بالسهد

الله يعلم ما بالقلب من قلق اذا نأيت وما ألقاه من كمد

وقد مضى من هذا الباب مافيه كفاية ولو ذهبت الى تطويله لم يكن لآخره نهاية وقد أحببت أن أختم كتابنا باشياء يستحسنها الظرفاء ويميل اليها الادباء مما يكتب على الاقلام من النتف ومليح المقطعات والظرف وأنا ذاكر في ذلك بعض مااستحسنته وملحا مما استرقته ان شاء الله قد جمعنا فى هـذا الفصل أشياء من مستظرفات الاشعار ومستحسن الاخبار ومتنخل الابيات ومنتحب المقطعات ونوادر الامثال ومليح الكلام الذى يجوز كتابه على الفصوص والتفاح والقنانى والاقداح وفى ذيول الاقمصة والاعلام وطرز الاردية والكمام والقلانس والكرازن والعصائب والتكك والوقايات وعلى المناديل والوسائد والمخاد والمقاعد والمناص والحلل والاسرة والتكك والرفارف ووجوه المستنظرات وفي المجالس والايوانات وصدور البيوت والقباب وعلى الستور والابواب والنعال السندية والخفاف الزنانية وعلى الجباه والطرر وعلى الخدود بالغالية والعنبر وعلى الوطأة والوشاح وفى تفليج الاترج والتفاح ومما يعدل به من تنضيد الورد والياسمين ويكتب على أواني الذهب والفضة والسكاكين وقضبان الخيزران المدهونة والمخاد الصينية والمراوح والمذاب والعيدان والمضارب والطبول والمعازف والنايات والاقلام والدنانير والدراهم وجعلنا ذلك أبواباً مبوبة وحدوداً مبينة لنقف على أصولها ونبين حسن فصولها

﴿ باب ما يكتب على الفصوص ﴾

نقش بعض الظرفاء الصوفية على خاتمه

انا لله وبالله انا انا والله مقر بالفنا

آخر قد فاز بالطاعة من نالها لعمت الطاعة عمالها

آخر أعـــددت لذنـبي حسن ظـني بربي
آخر ختم الله بخـير عملي وتوفاني على حب علي
آخر حب علي بن أبي طالب فرض على الشاهد والغائب
آخر بحب آل محمـد ألـقى اله محمـد
آخر انا بالله قانـع ان ربي لصانـع
آخر انا بالله واثـق ان ربي لرازق
آخر أتركاني والمعاصي وعلى الله خلاصي
آخر ما علينا من جنـاح في هوى البيض الملاح
آخر أحب من يهواني برغم من ينهاني
آخر آفة عقلي بصري وله عقلي نظري
آخر تحت ثيابي مدن ناحل وفى فؤادى شغل شاغل
آخر أمسيت عبدا لك لا أجحد انا مقر والهـوى يشهد
آخر انا مولى لاهل هل من تولاهم عقل
يعنى هل أتى على الانسان لانها نزلت في علي

﴿ ومما ينقشه أهل الحزم على خواتيمهم ﴾

القناعة خير من الضراعة . التقلل خير من التذلل . السلامة خير من الندامة . الاسف أهون من التكلف . بادر الفرصة قبل أن تكون الغصة الهرب قبل الطلب . الفرار قبل الحصار . الرجوع قبل الوقوع

﴿ وفى ضرب آخر ﴾

لكل حق حقيقة ولكل زمان خليقة القصد أقرب من التعسف الكف أحرى من التكلف . الموت معبر والسبيل مختصر الحق ينجي

والباطل يردي • النصح ملامة والتصريح سلامة • الامل يلوى والشيطان يغوى • لكل امرئ طريقة • ولكل عامل وثيقة • بطول التجارب يكشف المآرب • طول الاعتبار من حسن الاختيار • فوت الامل أشد من حضور الاجل

﴿ ومما ينقشه أهل الهوى على خواتيمهم ﴾

من كثرت لحظاته دامت حسراته • من تداوى بدائه لم يصل الى شفائه • من قدم هواه دام أساه العقل عند الهوى أسير والشوق عليهما أمير • اذا كثر الجفاء مل الوفاء • اذا صح الظفر وقعت الغير • اذا صحت القلوب اغتفرت الذنوب • قل من سلا الا استفزه الهوي • من منع من النظر اقتصر على الاثر • من منع من الوصال قنع بالخيال

﴿ وفى ضرب آخر ﴾

الحين خير من البين • القبر أسمح من الهجر • الموت خير من الفوت غصص الفراق شر من السياق • كأس الهجر أمر من الصبر • طول الجفاء يكدر الصفاء • حسن الوفاء ركن الاخاء • آفة الحبيب نظر الرقيب • آفة الغزل سرعة الملل • الهوي ثوب الضنى • ذهب الفراق بحيلة العشاق

﴿ وفى ضرب منه آخر ﴾

حنى فلق • ألف فتالف • حن فأن • حظى فرضي • عشق فزهق هوى فضنى • صرم فظلم • صد فجد • صبر فقدر • منع فجزع • نال فاستطال • باح فاستراح سلا فقلا • ملك ففتك • عدل فقتل • عف فكف • وكان الحسن بن وهب تعشق جارية يقال لها ناعم فنكس

اسمها ونقش على خاتمه معان وذكر ذلك في أبيات يقول فيها

نقشت معانا على خاتمي لكيما أعان على ظالمي
كذا اسم من هام قلبي به وأصبح في حالة الهائم
نكست الهجاء فاعلنته بطرفي ليخفى على الحازم

وكان محمد بن عبد الملك الزيات يحب بعض جواري القيان ثم تنكر لها فكتبت علي خاتم لفظاً تعرض له فيه بالعتاب فبلغه ذلك فكتب على خاتمه ضد ما كتبت فبلغها فمحت ما كان على خاتمها وكتبت ضد ما كتب فبلغه ذلك فمحا ما كان على خاتمه وكتب ضد ذلك فى أبيات يقول فيها

كتبت على فص لخاتمها من مله من أحبابه رقدا
فكتبت فى فصي ليبلغها من نام لم يشعر بمن سهدا
فمحته وا كتتبت ليبلغني مانام من يهوي ولا هجدا
فمحوته ثم اكتتبت أنا والله أول ميت كمدا
قالت يعارضني بخاتمه والله لا كلمته أبدا

﴿ باب ماوجد على التفاح من الالفاظ الملاح ﴾

قرأت على تفاحة مكتوباً بماء الذهب

قبل تهدوني تخطوا فيّ سطراً من ذهب
انني أعطف من صد ليصفى ذا كرب

وعلي أخري بالفضة

ليس شئ بتهادى مثل تفاح مكتب
* خط بالفضة تحرير مهذب
يا مصفى قلبى ماتر نى لذي عشق معذب

وعلى أخري أنا للاحباب بالسر وبالوصل رسول

أتهادي فارق الـ قلب والقلب ملول

وعلى أخرى وإذا ما مرسل نم فما أنت نموم‍ـه

أنت ريحانة قلبي نم للسر كتومه

وعلى أخرى أنا شهامة الكري‍ـــــــــ لمجلسه

ورســول مبارك مذهب صد مؤلسه

وعلى أخري أشرب على خمرة تفاح يا مؤلسي من بارد الراح

حياك معشوق له زهرة وقينة بالعود مفصــاح

وعلى أخري ما تحيا ببلاء الـ ناس مذ كانوا بمثلي

لى طيب وبقاء وملاحات تســلى

وعلى أخري لى طراوت وريح نم ماء ونضاره

ليس للياقوت فضل كل يا قوت حجاره

وعلى أخرى جرح الله الذي يجـ ـرح بالسكين لحمى

فلجوا حامضــة ا: ى كمثل الشهد طعمى

وعلى الاخري أنا حمراء دعونى لمحب وحبيب *

وكلوا ذات بياض أ كلها غــير معيب

وعلى الاخري حياك انسان له رونق نوارة دانية تزهر

تفاحة حمراء منقوشة تخجل من حمرتها الجوهر

﴿ باب ما وجد على ذيول الاقمصة والاعلام ﴾

﴿ وطرز الاردية والاكمام ﴾

قال الماوردي رأيت جارية ونحن عند محمد بن عمرو بن مسعدة لم أشك انه عاشق لها والها مائل لما رأيت من حركاته اذا نظرت وسروره اذا نطقت وتهلله اذا غنت وكانت فوق وصف الواصف من الحسن

والجمال وعليها قميص موشح بالها ورداءمعين مكتوب في وشاح القميص

أغيب عنك بود لا يغيره نأي المحل ولا صرف من الزمن
تعتل بالشغل عنا ما تكلمنا الشغل للقلب ليس الشغل للبدن

وعلى طراز الرداء

أقل الناس في الدنيا سروراً محب قد نأى عنه الحبيب

قال ورأيت جارية لبعض الهاشميين يقال لها عريب عليها قميص ملحم موشح بالذهب مكتوب في وشاحه

واني لاهواه مسيئا ومحسنا وأقضى على قلبي له بالذى يقضى
فحتى متى روح الرضي لا ينالني وحتى متى أيام سخطك لا تمضى

وعلى طراز كمه

اذا صد من أهوى وأسلمني الغرى ففرقة من أهوى أحر من الجمر

ورأيت على ماجن جارية مكاتم المغنية قميصا في وشاحه بالذهب

زفراتي ليس تفنى وفؤادى بك مضنى
أترضاك وأبدي لك ــــــــ نا
بأبى كم أعــــــنى والى كم أعـــــى
بعد ما أصبح قلبي فى يد الاحرار رهنا

قال ورأيت في صدر قميص جارية تبارح الكوفية مكتوبا بالفضة والذهب سطراً وسطراً

يافتى قلت اذ دعاني هواه مستجيبا لصوته لبيكا
ما بكت مقلتي لفقدك الا جزعا أن أموت شوقا اليكا

قال ورأيت مرة أخرى عليها دراعة ملحم بترانين أبريسم ولبنة سوسنجرد وفى دور اللبنة مكتوب

ياراميا ليس يدري ما الذي فعلا أمسك عليك كان السهم قد قتلا

أصبت أسود قلبي اذ رميت فلا   شلت يمينك أن صيرتني مثلا

وكتبت بنان جارية الخيزوان على ترانين دراعة لها بذهب

لم تقل قولا ولكن حلفت   انها أحسن عين أطرقت
زعمت أني قد لا حظتها   أى عين لحظت فاعترفت
أظهرت حجة من يعشقها   واستباحت غفلة وانصرفت

وعلى طراز كمها

ليس بى صبر ولا بي جلد   قد نفي حبك عني جلدي

وأخبرني بعض أصحابنا قال أخبرني من رأى في ذيل جارية الحسن ابن قارن منسوجا فى العلم

أحسن ما قد خلق الله وما   لم يخلقه
شكوى فتاة وفق   يعشقها وتعشقه
نار الهوي دانية   تحرقها وتحرقه
ياحبذا الحب اذا   دام ودامت حرقه

وكتبت راهي جارية الاحدب قبل أن يشتريها اسحاق بن ابراهيم الموصلى على وشاح قميصها

اذا وجدت لهيب الشوق في كبدى   أقبلت نحو سقاء القوم أبترد
هبني طفئت ببرد الماء ظاهره   فمن لحر على الاحشاء يتقد

وكتبت جارية لقبيحة على رداء لها رشيدي

أراهم يأمرون بقطع وصلى   صريحهم فى أحبتهم بذاك
فان هم طاوعوك فطاوعيهم   وان عاصوك فاعصى من عصاك

وكتبت جارية أبي حرب على رداء لها ممسك

من ألف الحب بكى   من شفه الشوق شكا
من غاب عنه الفه   أو صد عنه هلكا

يا مالكا عذبني بجوره اذ ملكا
رفقا بمملوكك ما يحل ذا الظلم لكا

وكتب بعض الظرفاء على طراز مطرف خز

وهبت شمال آخر الليل قرة ولا ثوب الا بردها وردائيا
فما زال ثوبي طيباً من ثيابها الى الحول حتى أنهج الثوب باليا

وكتبت دبسية جارية زرزور على قباء معصفر

وما البـدر المنير اذا تجلى هدوا حين ينزل بالعراق
بأحسن من بثينة يوم قامت تهادى في معصفرة رقاق

﴿ باب ما وجد على الكرازن والعصائب ﴾

(ومشاد الطرر والذوائب)

وكتبت علل على قلنسوة لها ديباج وهي جارية محمد بن المأمون

ما يمل الحبيب طول التجني لبلائي به ولا الصـد عنى
كل يوم يقول لى لكذبت يتجنى ولا يرى ذاك مـنى
ربما جئته لاسلفه العذ ر لبعض الذنوب قبل التجنى

وكتبت جارية المارقى على قلنسوة لها بذهب

كتب الشوق في فؤادي كتابا هو بالشوق والهوي مختوم
رحم الله معشراً فارقوني لا يطيعون في الهوى من يلوم
ساق طرفى الى فؤادي بلائي ان طرفى على فؤادي مشوم

وكان على قلنسوة جارية محمد بن سعيد الفارسي مكتوبا

انا بعد القضاء سمت فؤادي وأصبت الغداة عيني بعيني
لم تزل بي حوادث الدهر حتى فرقت بين من أحب وبيني

وكتبت جارية الحباب على قلنسوتها

الله يحفظه على شحط النوي ما كان أوصله الى تعذيبه

وكتبت جارية ابن السلمى على كرزنها

الشمس تطلع للمغيب ولا أري شوقي اليك على الزمان يغيب

وكتبت بيان الشاعرة على قلنسوة لجاريتها

ان كنت خنت ولم أضمر خيانتكم فالله يأخذ ممن خان أو ظلما
سماحة من محب خان صاحبه ماخان قط محب يعرف الكرما
والله لا نظرت عيني اليك ولا سالت مساربها شوقا اليك دما

وقال الجاحظ رأيت نشوان جارية زلزل وعليها عصابة مكتوب عليها

عين مسهدة فى مائها غرقت ياليتها ذهبت لو لم تكن خلقت
لم تذهب النفس الا عند لحظتها ولا بكت بدم الا لما أرقت
يا مقلة سوف أبكيها ويا كبدا بها أحاط الهوي والشوق فاحترقت

وكان على كرزنها

الحب يعرف فى وجوه ذوى الهوي باللحظ قبل تصافح الاجفان

قال ورأيت على قلنسوة تبارح

أهل الهوى في الارض تلقاهم يمشون أحياء كاموات

وكتبت شادن جارية حنث قيمة جوارى المأمون على وقاية تجمع بها ذوائبها

بيضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو جثل أسحم
فكانها فيه نهار مشرق وكانه ليل عليها مظلم

وقال على بن الجهم حضرت مجلس بعض الظرفاء فخرجت علينا جارية كانها تمثال وعليها عصابة قد أرسلت لها طرفين على صدرها مكتوب

من يكن صباً وفيا فزمامى في يديه
خذ مليكي بعناني لا أنازعك عليه *

قال فوثبت وأخذت بطرف العصابة وقلت أنا والله صب وأوفى
خلق الله لمحب قالت انه لابد للفرس من سوط قلت ياغلام هات الصوت
قالت هيهات ذاك صوت الدواب وصوت مثلي شبيه فضة وعلاقته ذهب
وكان على قلنسوة زين مغنية اسماعيل

أقيم على الآصال منتظراً لها — وقد أشرفت من هول ذاك على نحبي
أموت وأستحيي الهوى أن أذمه — وان كنت منه في عناء وفي كرب

وقال الزبير بن بكار رأيت على قلنسوة بعض المغنيات

أدميت باللحظات وجنتها — فاقتص ناظرها من القلب

وعلى عصابتها

فاذا نظرت الى محاسنها — أخرجتها عطلا من الذنب

وقال الماوردي رأيت جارية لبعض ولد المأمون وعليها قلنسوة
عليها مكتوب

ياتارك الجسم بلا قلب — ان كان يهواك فما ذنبي
يامفرداً بالحسن أفردتني — منك بطول الشوق والكرب

وعلى كرزن لها

أنا العبد المقر بطول رق — وليس عليك من عبد خلاف

قال ورأيت على جارية لاهي كرزناً مكتوباً عليه

عذبه بالهجر مولاه — وزاده شوقا وأضناه
فدمعه يجري على خده — ولم تنم للوجد عيناه
قد كتب الحب على قلبه — مت كمدا يرحمك الله

وكتبت جارية لعيسى بن جعفر بن المنصور وكانت قيمة له على كرزنها

ليت النقاب على القباح محرم — وعلى الملاح خطيئة لاتغفر

وكتبت على وقاية تجمع بها ضفائرها

جزى الله البراقع من ثياب   عن العينين شرا ما بقينا
يغطين الملاح فلا تراهم   ويسترن القباح فيستوينا

وكتبت عارم جارية جناح على كرزنها وكانت تتعشق بعض ولد الحسن بن وهب

واني لاخلو مذ فقدتك دائباً   فانقش تمثالا لوجهك في الترب
فاسقيه من دمعي وأبكي تضرعا   اليه كما يبكي العبيد الى الرب

وكتبت ابنة الرصافية وكانت تتعشق ابن الرشيد على كرزنها

قالوا عليك سبيل الصبر قلت لهم   هيهات أين سبيل الصبر قد ضاقا
ما يرجع الطرف عنه حين يبصره   حتى يعود اليه الطرف مشتاقا

قال الفضل بن الربيع قال أبي رأيت على عصابة دبسية جارية أبي حرب

محاسن وجهك تمحو الذنوبا   وتعمل في القلب شيئاً عجيبا
فمن ثم تهجرني ظالماً   تجني وتحصي على الذنوبا

وكتبت شمسة الطنبورية على عصابتها وكانت تغني الرشيد

لا لصبر هجرتكم علم الله   ولكن لشدة الاشتياق
رب سر شاء كتمته ضميري   وطواه اللسان عند التلاقي

وكان على قلنسوة شمائل جارية المراهنية

ليلي بوجهك مشرق   وظلامه في الليل ساري
فالناس في سدف الظلا   م ونحن في ضوء النهار

وكان على كرزن مشتاق جارية اسحاق بن على الهاشمي مكتوباً بالذهب سطران

ان كان قلبي يهوى وصل غيركم   اذاً فعاقبني الرحمن في بصري
أو لم يكن بكم ما عشت ذا كلف   فانزل الله بي ياسيدي حذري

وكان على عصابتها مكتوباً بالذهب

ما كنت الا حلماً   رأته عيني فى الوسن
ياسمح الفعل ويا   أحسن من كل حسن

باب ما وجد على الزنانير والتكك والمناديل

قال على بن الجهم رأيت في منطقة واجد الكوفية زناراً منسوجة مكتوب فيه

لست أدري أطال ليلى أم لا   كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلى   وارعي النجوم كنت مخلا

ورأيت جارية في بيعة مدرى مريم فى دار الروميين بمدينة السلام كانها فلقة قمر خارجة من الهيكل في وسطها زنار عليه بيتان

زنارها في خصرها يطرب   وريحها من طيبها أطيب
ووجهها أحسن من حليها   ولونها من لونها أعجب

وقرأت في زنار وقابة لبعض القصريات

أليس عجيباً أن بيتاً يضمني   واياك لاتخلوا ولا نتكلم

ورأيت جارية أبلية لبعض المخنثين وقد علقت طبلا في عنقها بزنار عليه مكتوب

آونا من بدنى كله   فتت منى مفصلامفصلا

وعلى تكتها مكتوب

غابوافاضحى الجسم من بعدهم   لاتبصر العين له فيا *
واخجلنا منهم ومن قولهم   ماضرك البعد لنا شيا *
* بأى وجه أتلقاهم   اذ رأونى بعدهم حيا

وكان على تكة هاتف جارية الناجي مكتوبا

ولى عاذل قد شف قلبي بعذله   وواش بنبل الحب يرمي مقاتلى

كفى حزناً والحمـــد لله أنني   نقطع قلبي بين واش وعاذل

وكتبت خاضع المغنية على زنار كانت تشد به طرتها

ما أتيه المعشوق في نفسه   وأبين الذل على العاشق

وأخبرني من قرأ على طرفي تكة لقينة

ما أواني حلت التكـــة الا لهنات

وانما خلى للتكـــة انجاز العدات

وأخبرني آخر انه قرأ على تكة لبعض المداجن

اقطع التكة حتى   تذهب التكة أصلا

ثم قل للردف أهلا   بك يا ردف وسهلا

وكتبت سلم جارية لمم الى فتى كانت تحبه في منديل دبيقي بالذهب

هاءنذا يستقلني للبـلا   من فرشي أنفاس عوادى

لو يجد السلك على دقة   خلقا لاضحي بعض حسادى

فكتبت اليه فى منديل آخر

لا تسئلي كيف حالى بعد فرقتكم   ها فانظري وأجيلي طرف ممتحن

تري بلى لم يدع مني سوي شبح   لو لم أقل ها أنا للنـاس لم أبن

وقرأت على منديل لبعض الظرفاء وقد أدرج فيه كتابا

واني لتنشاني لذكراك فترة   كما انتفض العصفور بلله القطر

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها   فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وكتب آخر على منديل

ان بعض العتاب يدعو الى العتـب ويؤدي به الحبيب حبيبا

واذا ما القلوب لم تضمر الحـب فلن يعطف العتاب القلوبا

وأخبرني من رأي على منديل ممسك لبعض الظراف

أنا مبعوث اليكم   أنس مولاي لديك

صنعتني بيديها فامسحي بي شفتيك

وكتب آخر على منديل أهداه

أنا منديل محب لم يزل ناشفا بي من دموع مقلتيه

ثم أهداني الى محبوبة تمسح القهوة بي من شفتيه

وقرأت على منديل لبعض الظراف

ان يكن حبلك من حبلي وهى والى شوقى اليك المنتهى

لم تذكرنيك شوقى حادث انما يذكر من كان سها

وكتبت أسماء بنت غضيض جارية حمدونة ابنة المهدى على تكتها من الوجهين

جلد على أعظم دقاق مسكن أنفاسه التراقى

توقد أحشاؤه فيطفى حرقتها هاطل المآقى

لولا تسليه بالتبكى اذا جنيناه باحتراق

يارب عجل وفاء روحى قبل هجومي على الفراق

وكتبت على منديلها

اليك أشكو رب ماحل بى من صد هذا العاتب المذنب

صد بلا جرم ولو قال لى لاتشرب البارد لم أشرب

وكتب آخر على منديل أهداه

أيامى لا أرجي منه رفقا ولا من رقة ماعشت عتقا

لقد أفنيت دمع العين حتى بكيت دما لفقدك ليس برقا

وكتبت عنان جارية النطاف على منديل وجهت به الى أبي نواس وكانت تحبه

أما يحسن من أحسن أن يغضب أن يرضي

أما يرضى بأن صر ت على الارض له أرضا

(باب ما وجد على الستور والوسائد والبسط والمرافق والمقاعد)

وقال على بن الجهم قرأت على ستر لبعض أمهات ولد المأمون

هجرتني كي أحاريكم بفعلكم   لا تهجريني فاني لا أجاريك
قلبي محب لكم راض بفعلكم   أسترزق الله قلبا لا يجانيك
أصبحت عبداً لادنى أهل داركم   وكنت فيما مضى مولى مواليك

وكتب بعض ولد المتوكل على ستره

يا أيها اللائم فيها لاصرفها   أكثرت لو كان يغني عنك اكثار
أرجع فلست مطاعا ان وشيت بها   لا القلب سال ولا في حبها عار

وكتب موسى الهدي بن المهدي على ستره

يا أيها الزاعم الذي زعما   أن الهوي ليس يورث السقما
لو أن ما بي بك الغداة لما   لمت محباً اذا شكا المها

وكتب بعض الظرفاء على مخدة له

يا راقد الليل عمن شفه السقم   وهذه قلق الاحزان والالم
جد بالوصال لمن أمسيت تملكه   يا أحسن الناس من قرن الي قدم

أخبرني من قرأ على مخدة لبعض الظرفاء

لم أذق ياسول قلبي   للكرى مذ غبت طعماً
ترك الدمع على خـــدي لما فاض رسما

وقرأت على وسادة لبعض الكتاب

تشكي المحبون الصبابة ليتني   تحملت مايلقون من بينهم وحدى
فكانت لروحي لذة الحب وحدها   فلم يلقها قبلي محب ولا بعدى

وأخبرني بعض الكتاب أنه قرأ علي بساط لبعض أهل الهوي

أحسن من قهوة وعود   توريد خديك ياوحيد
تابت عنى فذاب جسمي   وهدني الشوق والصدود

وطال سقمى لبعد حبي   وملني الأهل والبعيد

وكتب بعض الظرفاء على مصلاه

وقف الهوي بي حيث أنت فليس لى   متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة   حباً لذكرك فليلمني اللوم

وأهنتني فأهنت نفسي عامداً   مامن يهون عليك ممن أكرم

أشبهت أعدائى فصرت أحبهم   اذ صار حظى منك حظي منهم

وكتب سعيد بن قيس على مصلاه

سأمنع عينى أن تلذ بنظرة   وأشغلها بالدمع عن كل منظر

وأشكر قلبي فيك حسن بلائه   أليس به القاك عند التذكر

وكتب بعضهم على بساط

كتمت حبهم صونا وتكرمة   فما دري غير إضمارى به وهم

قوم بذلت لهم صفو الوداد فما   جازوا عليه ولا كافوا ولا رحموا

هم علمونى البكا لا ذقت فقدهم   ياليتهم علمونى كيف أبتسم

باب ما وجد على المناص والحجل والاسرة والكلل

قرأت على كلة معصفرة لبعض الكتاب بالذهب

من قصر الليل اذا زرتني   أبكي وتبكين من الطول

عدو عينيك وشانيهما   أصبح مشغولا بمشغول

وأخبرني بعض الظرفاء أنه قرأ على منصة لبعض المجان

يقول وقد جردتها من ثيابها   ألست تخاف اليوم أهلك أو أهلى

فقلت كلانا خائف بمكانه   فهل هو الا قتلك اليوم أو قتلى

وقرأت على كلة حرير أسمانجوني بالذهب

سهرت وعانقتها ليلة   على مثلها يحسد الحاسد

كانا جميعاً وثوب الدجا   علينا لمبصرنا واحد

وقرأت على كأس لبعض الظرفاء

فبتنا على رغم الحسود وبيننا حديث كريح المسك شيب به الخمر
حديث لو ان الميت يوحى ببعضه لاصبح حياً بعد ماضمه القبر

وقرأت على وجه أريكة لبعض الهاشميين

جعلت محلة البلوي فؤادي وسلطت السهاد على رقادي
دعيني لا أبوح بكل وجدى أليس النار من طرفي زنادى
وبت خلية وسلبت نومي أماتستحي رقادك من سهادى

وكتب بعض الظرفاء على حجلة له معصفرة بالذهب

دعيني أمت والشمل لم يتشعب ولا تبعدي أفديك بالام والاب
سقى الله ليلا ضمنا بعد هجمة وأدنى فؤاداً من فؤاد معذب
فبتنا جميعاً لو تراق زجاجة من الراح فيما بيننا لم تشرب

وأخبرني بعض الكتاب أنه قرأ على حجلة مكتوبا

نشرت على غدائر أمر شعرها حذر الفضيحة والعدو الموبق
فكأنه وكأنني وكأنها صبحان باتا تحت ليل مطبق

ودخلت على بعض الكتاب في يوم شديد الحر وهو على دكان ساج مكتوب في وجهه باللاز ورد

حر حب وحر هجر وحر أى شئ يكون من ذا أمر

وعلى الجانب الآخر

ثلاثة أحباب فحب علاقة وحب تملاق وحب هو القتل

وأخبرني بعض من قرأ حول سرير لبعض الظرفاء

ومجدولة أما مجال وشاحها فغصن وأما ردفها فكثيب
لها القمر السارى شقيق وانها تطالع أحيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله علينا بك العيش الخسيس يطيب

فقالت نعم ان لم يكن لك غيرنا　　ببغداد من أهل القصور حبيب

وكتب بعض الظرفاء على سرير له آبنوس بعاج

ان طيف الخيال أرق عيني　　مالعيني وما لطيف الخيال

جمع الله بين كل محب　　قد جفاه الحبيب بعد الوصال

وكتب على منصته بالذهب

ينام المسعدون ومن يلوم　　وتوقظني وتوقظها الهموم

صحيح بالنهار لمن رآني　　وليلى لا أنام ولا أنيم

﴿ باب ما يكتب من المجالس والابواب ﴾
﴿ ووجوه المستظرات وصدور القباب ﴾

قال على بن الجهم رأيت في صدر قبة مكتوبا بألوان فصوص منضدة

لاتطمع النفس فى السلو اذا　　أحببت حتى تذيبها كمدا

من لم يذق لوعة الصدود ولم　　يصبر على الذل والشقا أبدا

فذاك مستطرف الفؤاد يرى　　في كل يوم أحبابه جددا

وأخبرني أبو جعفر القارئ قال أخبرني بعض شيوخنا انه قرأ فى صدر مجلس لامير المؤمنين

صل من هويت ودع مقالة حاسد　　ليس الحسود على الهوى بمساعد

لم يخلق الرحمن أحسن منظرا　　من عاشقين على فراش واحد

متعانقين عليهما أزر الهوى　　متوسدين بمعصم وبساعد

يامن يلوم على الهوى أهل الهوى　　هل تستطيع صلاح قلب فاسد

وقرأت على وجه مستظر لبعض الكتاب

هبت شمال فقلت من بلد　　أنت به طاب ذلك البلد

وقبل الريح من صبابته　　هل قبل الريح قبله أحد

وأخبرني أحمد بن الحسين بن المنجم المقرئ انه قرأ على مستنظر

لبعض الكتاب

لى الى الريح حاجة لو قضتها　　كنت للريح ما حييت غلاما

حجبوها عـن الرياح لاني　　قلت يا ريح بلغيها الســلاما

لو رضوا بالحجاب هان ولكن　　منعوها يوم الرياح الكلاما

أخبرنى عبد الحميد الملطي انه قرأ على باب مجلس بملطية

لا يمنعك خفض العيش في دعة　　نزوع نفس الى أهل وأوطان

تلقى بكل بلاد ان حللت بها　　أهلا بأهل وجيرانا بجيران

وفي صدر المجلس أيضاً مكتوب

اذا كنت في أرض غريبا فرجها　　ولا تكثرن فيها نزوعا الي الوطن

فما هي الا بلدة مثل بلدة　　وخيرهما ماكان عونا على الزمن

وقرأت على باب دار خدشا في الجص بعود

هلا رحمتم موقفي بفنائكم　　متعرضاً لنسيمكم أتنشق

متلذذا أبكي لما قد حل بي　　مثل الغريق بما يرى يتعلق

وأخبرنى صديق لي انه قرأ على باب دار بالحجاز

يادار ان غزالا فيك عذبنى　　لله درك ماتحـوين يا دار

الدار تملكني ويحي وصاحبها　　قلبي مليكان رب الدار والدار

يادار لولا غزال فيك تملقنى　　ما كان لي فيك اقبال وإدبار

وأخبرني من قرأ علي باب دار باصطخر منقوشاً بحجر

أرى الدار من بعد الحبيب ولا أرى　　حبيبي مع الباقين في عرصة الدار

فيا عجبا اذ فارق الجـار جاره　　أليس شديداً فرقة الجار للجار

﴿ باب ماوجد للمتظرفات والظراف مكتوبا على النعال والخفاف ﴾

قال الماردى كتبت جارية للمارقى على نعلها بالذهب

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه　　الا حسبتك ذلك المحبوبا

حذراً عليك وانني بك واثق ... أن لاتنال سواي منك نصيبا

وكان على نعل جارية سعيد الفارسي

لا تأنفن من الخضو ... ع لمن تحب وداره

اخضع له فلطا ... لماملكت حل ازاره

وكتبت ملك جارية ابن عاصم على خف لها رهاوى بذهب

واني لاشفاقي عليك وصبوتي ... اليك كأني في المنام أراكا

تحدثني نفسي اذا غبت ساعة ... بأن لقاء الموت دون لقاكا

وكتبت متيم المغنية على نعلها

أقسمت مقلتـه لا تنثني ... عن فؤادي أو تراه قطعا

فلقد بر فهل من مطمع ... أن ترى ما قطعت مجتمعا

واهدى سعيد بن حميد نعلا الى صديق له وكتب عليها

نعـل بعثت بهـا لتلبسها ... قدم بها تسعى الى المجـد

لو كان يصلح أن أشركها ... خدي جعلت شراكها خدي

وكتبت جارية على بن عيسى بن يزداد كاتب اسحاق بن ابراهيم على خفها

تؤملـــــه الالحاظ لما بدا ... محجبا عن لحظات العباد

مـــــنزله نائي ولكنه ... يسكن مني في سواد الفؤاد

وأهدى بعض الكتاب نعلا وكتب على شراكها

لي فؤاد شفه الحز ... ن وأضناه الصدود

وهواي كل يوم ... هو ينمى ويزيد

وكتب بعض الظرفاء على خف له محالسي بالذهب

لولا شقاوة جدي ما عرفتكم ... ان الشقي الذي يشقى بمن عرفا

طاف الهوى بعباد الله كلهم ... حتى اذا مر بي من بينكم وقفا

وأخبرني من رأى نعلا من فضة أهديت لبعض الظرفاء عليها مكتوب

بأبي أنت سيدي ومناى   جعل الله والدي فداكا

لك خدي من الثرى لك نعلا   قد للنعل من فؤادي شراكا

وقرأت على نعل سندي مدهون

جعلت خدي له أرضا   فقلت طأ من فوقها وارضا

فقال لا قلت بلى يا سيدي   صبراً على الحب وان مضا

﴿ باب ما يكتب بالحناء في الوطأة والوشاح ﴾

﴿ وعلى الاقدام والراح ﴾

كتبت ذويت جارية حمدونة على وطأتها اليمنى

اعلمي يا أحب مني اليا   أن شوقي اليك يقضى عليا

وعلى اليسرى

ان قضى الله لي رجوعا اليكم   لم أعد للفراق مادمت حيا

وكتبت لبنى جارية عباس النديم على راحتها بمسك وعنبر في اليمنى

قالوا تمن وقل فقلت لهم   ياليتها حظي من الدنيا

وعلى اليسرى

لا أبتغي سقيا السحاب لها   في عبرتي خلف من السقيا

وكتبت جارية السعدية على راحتها اليمنى بالحناء

رفعت للوداع كفا خضيبا   فتقلبتها بدمع خضيب

وعلى اليسري

وأشارت الى غزال بحق   لمته مثله فسه في القلوب

وكتبت جارية ابن الساحر على وطأتها اليمنى

وما أنا عن قلبي براض لانه   أشاط دمي عمدا أبى متطوعا

وعلى اليسرى

تمنى رجال ما أحبوا وانما تمنيت أن أشكوا اليها وتسمعا

قال الماردى رأيت على راحة قائد جارية لبعض جوارى المأمون اليمنى بالحناء

فديتك قد جبلت على هواكا فقلبي ما ينازعنى سواكا

وعلى اليسرى

أحبك لا ببعضى بل بكلى وان لم يبق حبك من جراكا

وقرأت في كفى جارية بالنقش

اذا قيل مانشكو أشار الى الحشا فاول ما تشكوا وآخره الهجر
فياليت قلبي صار صخرا كقلبه ولم يبله الشوق المبرح والفكر

وأخبرني من رأى جارية لبعض آل طاهر قد كتبت في وشاحها وقدمها

عزموا المقامة أم تراهم أزمعوا ياطول وجدي ان هم لم يربعوا
ومراعة البين تحسب أننا شمس على غصن يغيب ويطلع
كتبت الى علي شقائق خدها سطراً من العبرات ماذا تصنع
فاجبتها بلسان صدق ناطق مالي الحياة من التفرق مطمع

وكتبت الماهانية على كم جاريتها شماريخ بالحناء

أبي الحب الا أن أكون معذبا ونيرانه في الصدر الا تلهبا
فوا كبدا حتى متى أنا واقف بباب الهوي ألقى الهوان وأنصبا

باب ما يكتب على الجبين والخد ويطرف به ذوو الصبابة والوجد

قرأت على جبين جارية لنحاس بالغاليه وقد أخرجها للعرض

وشادن أحسن خلق الله في كفه سيف رسول الله
قد كتب الحسن على وجهها سطرين بالعنبر باسم الله
على يدي رضوان منسوجة صنعة حسن في طراز الله

أنا غريق في بحار الهوي   شبه قتيل في سبيل الله

وأخبرني من رأى على جبين جارية نخاس مكتوبا في سطرين

اذا حجبت لم يكفك البدر فقدها   وتكفيك فقد البدر ان حجب البدر

وحسبك من خمر تفوتك ريقها   ووالله مامن ريقها حسبك الخمر

وقال على بن الجهم رأيت على خد جارية لفاطمة بنت محمد بن عمران الكاتب مكتوبا بالمسك

رضيت على رغمي بحبك فاعدلي   ولا تسرفي اذ صار في يدك الحكم

متى يظفر المظلوم منك بحقه   اذا كنت قاضيه وانت له خصم

قال المازني كان على جبين جارية شريط مكتوب بالغالية

صرمتني ثم لا كلمتني أبدا   ان كنت خنتك في حال من الحال

ولا هممت ولا نفسي تحدثني   قلبي بذاك ولا يجري على بال

وقال الجاحظ كتبت مؤلف جارية الصخري على جبينها

ومحسودة بالحسن كالبدر وجهها   وألحاظ عينيها تجور وتظلم

ملكت عليها طاعة الشوق والهوي   وعلمتها مالم تكن منه تعلم

قال وقرأت على جبين قينة بالعسكر مكتوبا بغالية وعنبر

ياقمرا لاح في الظلام   عليك من مقلتي السلام

وكتبت ظلوم على جبينها بالمسك

العين تفقد من تهوي وتبصره   وناظر القلب لايخلو من النظر

وظلوم هذه كان يحبها العباس بن الاحنف وفيها يقول

ان بالكرخ منزلا لغزال   بين قصر الامير والخيزران

والهوى قائدي اليه وشوقي   ليس بالشوق والهوى لي يدان

لست أنساك يا ظلوم وعهد الله حتى ألف في أكفاني

فثقي بي فانت أعرف مني   بحفاظي في السر والاعلان

﴿باب مايفلج به التفاح والأترج والمستبويات﴾

﴿ويعدل به تنضيدالورد والياسمين والخيريات﴾

أخبرني بعض شيوخنا من الكتاب بالعسكر قال قرأت على طبقين اهداها بعض الفرس الى بعض الكتاب قد نضد بأنواع من السوسن والياسمين والشقائق والرياحين على أحدها مكتوب

شادن راح نحو سرحة ماء   مسرعا وجناه كالتفاح
ورد الماء ثم راح وقد أصـــــدره الماء في غلالة راح

وعلى الآخر

وق حق حسبته ورق الور   د نديا يزف بين الرياض
ورد الماء ثم راح وقد ألـــــبسه الماء حمرة في بياض

قال ورأيت بين يدي بعض الكتاب طبق ورد أحمر مكتوب فيه بالابيض

لم يضحك الورد الا حين يعجبه   زهر الربيع وصوت الطائر الغرد
بدا فأبدت لنا الدنيا محاسنها   وراحت الراح في أبوابها الجدد

وأخبرني من رأى طبق ريحان مكتوب في دوره بياسمين ونسرين

فما ريح ريحان بمسك وعنبر   بند وكافور بدهنة بان
بأطيب ريا من حبيبي لوانني   وجدت حبيبي خاليا بمكان

وقرأت في تفليج أترجة أهديت لبعض الظرفاء

هي في العالم كالشمـــــس أضاءت في البلاد
وهي في كل كمال   قد علت فوق العباد

وأخبرني من قرأ في تفليج تفاحة

أنا الى العاشق منسوبة   أهدى لمحبوب ومحبوبه

وعلى تفاحة أخرى مفاعجة

خطت يميني فوق تفاحة   أطلقني هجرك يا قاتلي

وحضرت هدية لبعض متظرفات القيان الى بعض ظرفاء الكتاب وفيها تفاحة في تعليقها مكتوب

ليس تفاحة بأطيب طيبا   من حبيب معانق لحبيب

وأترجة في تعليقها مكتوب

أهدى هلال لكل يوم   اذا بدا الثغر بابتسام

وطبق خيريات مكتوب في كمدله

ياطيب رائحة فاحت لبستان   من بين ورد ونسرين وريحان

وياسمين ذكي زادني طربا   حتى تكشف عني كل أحزان

﴿ باب مايكتب على القنانى والكاسات ﴾

(والاقداح والارطال والجامات)

قرأت على كأس لبعض الظرفاء

اذا فكرت خاطبني مثال   وان أغمضت نبهني خيال

ولي حال اذا مالكاس طافت   لشاربها وللندمان حال

وقرأت على كأس لبعض الكتاب

أشرب على ذكرهم اذ حيل دونهم   عيناك منهم على مال اذا شربوا

يدعوا الى قربهم والدار نازحة   حتى يناجيهم قلبي وما قربوا

وعلى كأس

اذا لم يمزج الندمان كأسي   جعلت مزاجها ماء الجفون

وان ضحكوا بكيت وان تغنوا   أجبتهم بألوان الحنين

وكتب عبيد الماجد على كأسه

اشرب هنيئا لاتخف طائفا قد آمن الطواف أهل الطرب

وكتب بعض الكتاب على قدح له

وما لبس العشاق ثوبا من الهوى ولا أخلقوا الا بقية ما أبلي

ولا شربوا كاسا من الحب حلوة ولا مرة الا وشربهم فضلي

وبعث نشوان الكراعة الى على بن عيسي بن عبد الله الهاشمى برطل عليه مكتوب

ياباعث السكر من طرف يقلبه هاروت لاتسقنى خمراً بكاسين

ويا محرك عينيه لبقتانى إني أخاف عليك العين من عيني

وأخبرني من قرأ على قنينة بين يدى أبى دلف العجلي

وقهوة كوكبها يزهر يفوح منها المسك والعنبر

يسقيهما من كفه أحور كأنها من خده تعصر

وكتب آخر على طاس

لا تحسبي أن طول الدهر غيرني بل زادنى كلفا يا أملح الناس

لم يجر ذكرك فى لهو ولا طرب الا مزجت بدمعى عنده كاسى

كم عاذل قد لحانى فيك قلت له شلت يمينك هل بالحب من باس

وأخبرني يحي بن محمد المسلمي انه قرأ على كأس لقينة

اشرب الكاس على صرف الزمن قل مادام سرور أو حزن

انما كان لمثلى سكن من جميع الخلق طرا فظعن

وقرأت على قدح

اشرب وسق حبيبك الراحا وبح من الوجد بالذى باحا

وعلى آخر

اشرب واسق الحبيب يا ساقى واسقني فضل كأسه الباقى

واسقني فضل ما تخلف فى الكأس بعمد بغير اشفاق

وعلى آخر

فديت من لم يزل على طرب   يدير بيني وبينه الكاسا

ألثمني خده وقال ألا   دونك ماقد منعته الناسا

وكتبت بنت المهدى على قدح بالذهب

اشرب على وجه الغزال   الاغيد الحسن الدلال

اشرب عليه وقل له   ياغل ألباب الرجال

وكتب بعض الظرفاء على قنينة

فقلت لها وقد أبديت سكرى   ألا ردي فؤاد المستهام

فقالت من فقلت أنا فقالت   متى ألقيت نفسك فى الزحام

وقرأت على قينة مدهونة مكتوب عليها بالذهب

أحسن من موقف على طلل   كأس عقار تجرى على ثمل

يديرها أهيف به حور   معتدل الخلق راجح الكفل

اذا تمشي بها مصفقة   رأيت فيها تلهب الشعل

وعلى جام

اشرب هنيئاً فى أنم النعيم   طاب لك العيش بطيب النديم

وعلى آخر

وكؤوس كأنهن نجوم   طالعات بروجها أيدينا

طالعات مع السقاة علينا   فاذا ماغربن يغربن فينا

﴿ باب مايكتب على أوانى الفضة والذهب ومدهون الصينى والمذهب

قال العباس بن الفضل بن الربيع حدثني أبي قال رأيت على صينية بين يدى المأمون مكتوبا فيها

لاشيء أملح من أيام مجلسنا   ان تحمل الرسل فيمابيننا الحدقا

واذ جوانحنا تبدى سرائرنا   وشكلنا في الهوى تلقاه متفقا

ليت الوشاة بنا والعاشقين لنا في لجة البحر ماتوا كلهم غرقا
أو ليت من ذمنا أوعاب مجلسنا شبت عليه ضرام النار فاحترقا

وأخبرني بعض الكتاب انه قرأ على صينية بين يدى الحسن بن وهب مفصلة بالفصوص بألوان شتى

من كان لا يرحمني عاشقا أحضرته أوضح برهان
انى على رطلين أسقاها أروح فى أثواب سكران
وكنت لا أسكر من تسعة يتبعها رطل ورطلان
فصار لى من غمرات الهوى والسكر سكران عجيبان

والشعر للحسن بن وهب وكتب بعض الظرفاء على صينية له صينى

حث الندامي بعاجل النخب وحث كأس الندمان يا بأبي
ان لم تدرها وا الكأس مترعة حتى تميت الهموم لم تطب

وكتب آخر على صينية له

قد قلت لما صبابى القلب وبا كرتنى الشمول والطرب

وكتب آخر على قضيب مدهون

أصبحت يشبهني القضيب وأنت يشبهك القضيب
غصنان الا أن ذا بال وذا غصن رطيب

وقرأت على مذبة لبعض الكتاب

تعلمت أنواع الرضى خوف سخطه وعلمه حبى له كيف يغضب
ولى ألف وجه قد عرفت طريقه ولكن بلا قلب الى أين أذهب

وعلى آخر

دل البكاء على عينى فأرقها ظبي يطيل البكا من ظله فرقا
لو مس غصنا من الاغصان منجردا لاخضر في كفه واستشعر الورقا

وأخبرني أبو جعفر القاريء قال أخبرني من قرأ على مُروحة بيتين للقطامى

قد يدرك المتأني بعض حاجته | وقد يكون مع المستعجل الزلل
وربما فات بعض القوم أمرهم | مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

قال فخضرني بيتان فكتبت على الجانب الآخر

لاذا ولاذاك في الافراط أحمده | وأحمد الامر ما في الفعل يعتدل
افراط ذا في التأني فوت حاجته | وليس يعدم عثرا دونها العجل

وقرأت على مروحة لبعض الظرفاء

محتمل حسبك لى ساعة | ذاك اذا أجهدك الحر
غيرك منى طالب مثل ما | تطلبه يا أيها الحر

وكتب بعض الادباء على مروحة

ان روح الحياة فى | حركات المراوح
كم بنان لطيفة | من ظباء سوانح
حركتها فنفست | عن حدود ورواشح

وقرأت على قوس جلاهق مكتوبا بالذهب

بينما الطير في الجو يتكفى | اذ سقيناه جرعة الموت صرفا
ونزعنا من القرين قرينا | وجعلنا هناك بالالف ألفا

وكتبت على قوس أهديتها بعض اخواني

لما رأيت الطير عالي المرتقا | هيأت قوسا يا لها وبندقا
ثم غدونا اذ غدونا حلقا | فلم يحم حتى هوى ممزقا

(باب ما يكتب على العيدان والمضاوب والسرنايات)

(والطبول والمعازف والدفوف والنايات)

كتبت قصمة المغنية على عودها

ما طاب حب لانسان يلذ به | حتى يكون به في الناس مشتهرا
فاخلع عذارك فيما تستلذ به | واجسر فان أخا اللذات من جسرا

وكتب مخارق على عوده

كم ليلة نادمني ذكره يسعدني المثلث والزير
حتى اذا الليل جلا نفسه على الدجى ابتسم النور
أصبحت مستوراً لجيرانه والوصل بالهجران مستور

وكتب بعض المغنين على عوده

سقوني وقالوا لا تغن ولو سقوا جبال حنين ماسقوني لغنت
تجنت على الحسود ذنبا علمته فيا ويلتى منها ومما تجنت

وأهدي بعض الكتاب الى قينة كان يهواها عودا وكتب عليه

من ذا يبلغ نحلة عن عبدها أني اليك وان بعدت قريب
تستنطقين بحسن صوتك أعجما يدعوا بذاك صوابه فيجيب
فالعود يشهد والغناء بأنه لولاك لم يك في الأنام مصيب

وقال على بن الجهم قرأت على مضراب لقينة

أحبك حباً لست أبلغ وصفه ولا عشر ما أصبحت أضمر في صدرى
وأكتم ما ألقاه منك تشجعا لعل إله الخلق يدنيك من نحرى

وعلى مضراب آخر

ياذا الذي أنكرني طرفه اذا ذاب جسمي وعلاني شحوب
ما مسنى ضر ولكننى جفوت نفسي اذ جفاني الطبيب

وعلى آخر

لضو هموم بكا وحق له دمع حداه الضنى فاسبله
وطال ليل الهوى عليه وما أمر ليل الهوي وأطوله

وكتبت كراعة على طبل لها

يانفسا ليس ينقضي أمده ويافؤاداً أذابه كمده
ويامحباً جفاه سيده تقطعت من جفائه كبده

وكتبت أخري على ناى

فكيف صبري وبئس الصبر لى فرج ... والطرف يعشق من في طرفه غنج

وقرأت على معزفة

ان كنت تهوى وتستطيل ... فانني عبـدك الذليل
أعرضت عني وخنت عهدي ... وجرت فى الصد ياملول
كيف احتيالى وايس يأتي ... منك كتاب ولا رسول

وعلى آخر

ألذ عندي من الشراب ... تقبيل أنيابك العذاب
وأم خد كلون خمر ... قد شفه كثرة العتاب

وقرأت على دف

* يابدعا في بدع ... جارت على من ملكت
ارثي لصب نفسه ... ممـا به قـد تلفت

وعلى آخر

ماسرني أن لساني ولا ... أن فؤادي منك يوماخلا
وأن لى ملك بني هاشم ... يجبي الى أولا أولا

وقرأت على طنبور

ياأول الحسن يامن لانظير له ... هلت سحائب عيني لغمة الزير
وأى مزنة ضرب لانسح دما ... من عاشق عند نغمات الطنابير

وعلى طنبور آخر

بكيت طرب عنـد السماع كما ... يبكي أخو قصص من حسن تذكير
وصاحب العشق يبكى عند شجونه ... اذا تجـاوب صوت البم والزير

﴿ باب ما يكتب على الاقلام من مستظرف الكلام ﴾

كتب بعض الكتاب على قلم أهداه

اني لاعجب أن يزهو به قلم | أن لايلين فيبدي حوله ورقا
يا ليتني قلم في بطن راحته | ألتذ باطن كفيه اذا مشقا

وعلى آخر

اذا دخل الديوان أشرق نوره | ولم يك للشمس المضيئة نور
فياليت أني كنت في بطن كفه | له قلماً ان المحب شكور

وكتب عمر بن ابراهيم البصري على قلم أهداه لبعض غلمان ديوان الخراج

ياقمر الديوان يا | ملبس قلبي سقما
كانما في كبدي | انت تخط القلما
يا أحسن الناس معاً | جيداً وعيناً وفما

وأخبرني من قرأ على قلم لبعض الكتاب بالديوان

اذا دخل الديوان حارت عيوننا | وقلنا كما قالت صحابات يوسف
فيمشق والتشوير في حركاته | فيورثنا من ذاك ما ليس يوصف

وقرأت على قلم

اذا دخل الديوان حارت عيوننا | وكادت قلوب الناظرين تطير
فيا نعمتا أن لم تصبك عيونهم | لك الله من تلك العيون مجير

وعلى آخر

أفدي البنان وأفدي الخط من علم | وقد تطرف بالحناء والعنم
كانما قابل القرطاس اذ مشقت | فيه ثلاثة أقلام على قلم

﴿ باب ما يكتب على الدراهم و لدنانير التي ضربت للملوك في المقاصير ﴾

قال علي بن الجهم قرأت على دينار في خلافة المتوكل من ضرب الدار

وأصفر صاغته الملوك تضربا | باسمائها فيه المروة والفخر
بسم أمين الله زينت سطوره | كما زين بالتفصيل في نظمه الدر
هو الملك المأمون من آل هاشم | بهم ان أغب القطر يستنزل القطر

له غرة فينانة جعفرية بها تضحك الشمس المضيئة والبدر

قال ورأيت على دينار من ضرب المتوكل أيضاً ٠٠٠٠٠ درهم ودينار مكتوبا عليه

وأصفر من ضرب دار الملوك يلوح على وجهه جعفر

وقرأت على درهم من ضرب المنتصر

درهم أبيض مليح المعاني بسطور مبينات حسان

صاغه الصائغ المنمق بالحسن ليهدى صبيحة المهرجان

فيه اسم الامام أكرمه الله ووقاه نائبات الزمان

وقرأت على درهم

أخي درهمي مادام والناس اخوتي فان غاب عني غاب كل صديق

هذه جملة مما بلغنا وفيها كفاية لمن اكتفى وبيان لمن تبين واقتفى وما استوعبنا كل ماانتهى الينا ولو قصدنا الى تكثير لما استصعب علينا وانما قصدنا التخفيف لا التأليف والاقتصار والاختصار وليس كل ماسمعناه ذكرناه ولا كل ماقيل فى ذلك سمعناه وقد أدينا بعض مابلغنا ووصفنا بعض ما استحسنا وخلطنا جداً بهزل واعوجاجا بقصد وجعلنا كل ذلك فى نظام والى الله نرغب فى السلامة والسلام

والحمد لله بجميل التسديد وهو المتفضل بالاعانة

والتوفيق واياه نستعين وهو حسبنا ونعم

الوكيل كمل الكتاب وتم بقوة الله ومنه

والحمد لله رب العالمين وصلى الله

على خيرته من خلقه محمد

وآله وصحبه ان شاء الله